القدس

دراسة تاريخية حول
المسجد الأقصى والقدس الشريف



القدس

دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف

تأليف
الدكتور/ عبد الفتاح حسن أبوعلية
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



ص. ب: ١٠٧٢٠ ـ الرياض: ١١٤٤٣ ـ فاكس ٤٦٥٧٩٣٩
المملكة العربية السعودية ـ تلفون ٤٦٥٨٥٢٣ ـ ٤٦٤٧٥٣١

ردمك : ٤ - ٤٦٤ - ٢٤-٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويـــات

مقدمـــة:	١٣
الفصل الأول: الأصل الدينيّ في تسمية القدس	١٥
- الأصل الدينيّ في التسمية الكنعانيّة	١٧
- الأصل الدينيّ في التسمية اليهوديّة	١٨
- الأصل الدينيّ في التسمية الرومانيّة	١٩
- الأصل الدينيّ في التسمية الإسلاميّة	١٩
الفصل الثاني: الأصول الدينية للمسجد الأقصى	٢٥
- المسجد الأقصى: اصطلاحه ومساحته	٢٧
- الجذور التاريخيّة لقداسة المسجد الأقصى	٣٤
الفصل الثالث: المسجد الأقصى قبل عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب	٣٩
- الرواية الأولى حول بناء المسجد الأقصى	٤٢
- الرواية الثانية حول بناء المسجد الأقصى	٤٣
- الرواية الثالثة حول بناء المسجد الأقصى	٤٤
- الرواية الرابعة حول بناء المسجد الأقصى	٤٦
الفصل الرابع: الخليفة عمر بن الخطاب يبني مسجدا في بقعة المسجد الأقصـــى	٥١
- الفتح الإسلاميّ لإيلياء القدس	٥٣
- المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب في ساحة الأقصى	٥٥

- موقع مسجد عمر ٥٦
- بناء مسجد عمر بن الخطاب ومظهره ٦٠

الفصل الخامس: الخليفة عبد الملك بن مروان يبني مسجد الصخرة ٦٣

- الصخـــــرة ٦٥
- بناء مسجد الصخرة ٦٧
- الإعداد والتحضير والتنفيذ ٦٩

الفصل السادس: بناء المسجد الأقصى في العهد الأموي ٧٩

- مقدمـــة ٨١
- بناء المسجد الأقصى ومساحته ٨١
- أوصـــاف المسجد الأقصـــى ٨٢
- آراء حول من بنى المسجد الأقصى ٨٦

الفصل السابع: عناية المسلمين بالمسجد القدسي الشريف قبل العهد العثمـاني ٩٣

- عناية العباسيين بالمسجد القدسيّ الشريف ٩٦
- عناية الفاطميين والأيوبيين بالمسجد القدسيّ الشريف ٩٦
- عناية المماليك بالمسجد القدسيّ الشريف ١٠٠

الفصل الثامن: العثمانيون وبيت المقدس والمسجد الأقصى ١٠٧

- القدس الشريف في الخطة العثمانيّة ١٠٩
- مجال الدراسة وأهدافها ١١١
- المنشآت الأمنيّة والدفاعيّة والحربيّة ١١٢
- المنشآت الدينيّة ١١٧
- المنشآت الاجتمـاعيّة ١٢٨
  ١ - المنشآت الاجتماعية الخاصة بالمياه ١٢٨
  ٢ - المنشآت الاجتماعية: التكايا والأربطة والزوايا ١٢٩
  ٣ - منشآت اجتماعية أخرى ١٣٠

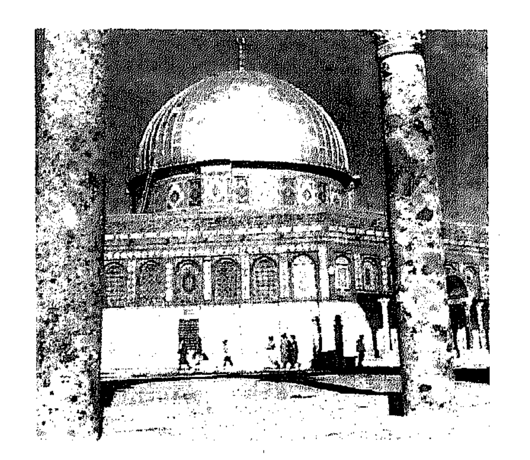
الفصل التاسع: القدس تحت الاحتلال البريطاني ١٣٥
- الاحتلال البريطاني للقدس الشريف ١٣٧
- حال القدس بعد الاحتلال البريطاني ١٣٩

الفصل العاشر: القدس في ظل الاحتلال اليهودي الصهيوني ١٤٧
- إسرائيل تضم القدس ١٤٩
- اليهود يخربون المسجد القدسيّ الشريف ١٥٠
- تهويد أراضي القدس وماحولها ١٥٥
- تهويد الكثافة السكانيّة في القدس. ١٦١

الفصل الحادي عشر: القدس ثقل ديني وسياسي وواجب العالم الاسلامي نحوها ١٦٥
- القدس ثقل ديني وسياسي ١٦٧
- القدس ثقل سياسي ١٦٧
- واجب العالم الاسلامي ١٧٢
- لجنة القدس ١٧٢
- أهداف لجنة القدس ١٧٣
- تشكيل لجنة القدس ١٧٣

الخاتمـــــة ١٧٧

قائمة المصادر والمراجع ١٨١



أقوال

في بيت المقدس

وبيت المقدس مدينة مرتفعة على جبال يصعد إليها من كل مكان من قصدها من فلسطين، وبها مسجد ليس في الإسلام مسجد أكبر منه، يسرج فيه في الليلة خمسة آلاف قنديل، وله سبعون خادماً.

الاصطخري

وبيت المقدس ليس في مدائن الكون أكبر منها. لا شديدة البـرد، وليس بها حر، وقلما يقع فيها ثلج، وبناء المدينة من الحجر، وأنت لا ترى في أي بلد آخر أبنية أجمل وأقوى من أبنيتها. أما أهلها فلن تجد أحداً أطهر وأعف منهم، وخيراتها على ما يرام، ومساجدها لا تبارى في عددها ورونقها. وفي بيت المقدس من العلماء والفقهاء والأطباء العدد العديد.

المقدسي

فلمـا دخلت المسجـد الأقصى، وأبصرت بدائعـه التي لا تستقصى، بهرني جماله الذي تجلى الله به عليه، وسألت عن محل المعراج الشريف، فأرسلت إليه، وشاهدت محلاً أمّ فيه صلى الله عليه وسلم الرسل الكرام الهداة.

التلمساني

إن مسجـد قبة الصخرة بلا شك من أجمل الأبنية فوق البسيطة، لا بل إنه أجمل الآثار التي خلدها التاريخ.

البروفسور هايتر لويس

بلدة بيت المقـدس كبـيرة مبنية بالصخر المنحوت، وفيها المسجد الأقصى وهو من المساجد العجيبة الرائعة الحسن، يقال إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه.

ابن بطوطة

مقدمـــة

أضع بين يدي القاريء الكريم هذا البحث المتواضع وموضوعه دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف. ورأيت من المفيد أن يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل عدداً من المسائل المهمة ذات الصلة بهذا الجانب أذكر منها: الأصل الدينيّ في تسمية القدس الشريف وتأصيله، التقصي عن جذور الأصل الدينيّ للمسجد الأقصى المبـارك، حال هذا المسجـد وكيفيته قبل عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنـه، بنـاء الخليفة عمر بن الخطاب مسجده في بقعة المسجد القدسيّ الشريف، بناء الخليفـة الأمويّ عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة في البقعة المقدسة نفسها، بناء المسجـد الأقصى المعـروف اليوم بالمسجـد الكبـير في العهد الأمويّ، عناية المسلمين بالمسجـد القـدسي الشريف ومـدينـة القـدس قبـل العهـد العثـمانيّ، عناية آل عثمان والعثمانيين بالمسجد القدسيّ الشريف وبيت المقدس، وعناية المسلمين بالمسجد الأقصى وبيت المقدس بعد العهد العثماني، ثم الخاتمـــة.

ويكمن الهدف من وراء هذه الدراسة في الاعتراف الكامل بالواجب الأكيد الملقى على كاهل كل فرد مسلم تجاه المسجد الأقصى الشريف، بالإضافة إلى توضيح بعض المسائل التي تثير تساؤلات الكثيرين من الناس، تلك التساؤلات التي هي بحاجة إلى إجابات شافية مرتكزة على أساس علمي.

وما هذه الدراسة إلا تجسيد وعرفان لما شيده أجدادنا المسلمون من بيوت الله ومنشآت دينيّة، وما قام به هؤلاء من واجب تجاه حماية المقدسات الإسلاميّة والدفاع عنها والعناية بها والاهتمام بشؤونها والعمل على تحسينها وصيانتها. وهي في الوقت نفسه تكريم واعتزاز بذكرى تحرير بيت المقدس على يد البطل المجاهد المسلم صلاح الدين الأيوبيّ، رحمه الله تعـالى، فكلهـا ثوابت دينية على كل المسلمين الدفاع عنها والمحافظة عليها. فهي واجب على الحكومات الإسلاميّة والجماعات الإسلاميّة والهيئات والمنظمات الإسلامية، وواجب على المسلمـين فرادى في كل قطر من أقطارهم وفي كل موقع من مواقعهم من

أجل أن يظل الإسلام مرفوع الراية، وتظل هامة المسلمين مرفوعة وعالية. وبالقدر نفسه فهي مسؤوليّة ملقاة على كاهل الشعب العربيّ المسلم في فلسطين، فهو شعب القضية الأول، وهو رأس الحربة في المسألة الفلسطينية، وهو صاحب الأرض، والقدس تشكل القلب بالنسبة لأرض فلسطين، وهي عاصمة الكيان العربيّ الفلسطيني الذي لا يرضى بغير القدس عاصمة لبلاده. فهم حماتها، وهي مكان مقدّس بالنسبة لهم، وبالتالي فإن الشعب العربيّ الفلسطينيّ يرفض التد ويل، ويصر على المحافظة على المقدسات في القدس الشريف، ويصر على أن تكون القدس عاصمة دولته.

واللّـــه المـــوفـــق

عبد الفتاح حسن أبوعلية

الفصل الأول

الأصل الدينيّ في تسمية القدس

- الأصل الدينيّ في التسمية الكنعانيّة.
- الأصل الدينيّ في التسمية اليهوديّة.
- الأصل الدينيّ في التسمية الرومانيّة.
- الأصل الدينيّ في التسمية الإسلاميّة.

الفصل الأول
الأصل الديني في تسمية القدس

الأصل الدينيّ في التسمية الكنعانيّة

من المعروف بداهة أن للقدس الشريف عدة تسميات، وهي في كليتها لم تأت من فراغ، ولا هي محض اختيار أو بطريق الصدفة، وإنما كلها اشتقت وأخذت من ألفاظ هي ذات أصول دينيَّة، وقد تكرر ذلك على مر حقب تاريخ المدينة، تلك المدينة المقدسة ليس لدى أتباع الديانات السماويّة الثلاث: اليهوديّة والنصرانيّة والإسلام فحسب، وإنما هي مقدسة أيضا لدى القدماء من الكنعانيين وفروعهم اليبوسيين، وجميعهم أقوام من العرب الساميين.

ولما شيد العرب الكنعانيون مدينة القدس قبل حوالي خمسين قرنا من الزمان، أطلقوا على المدينة اسم «أوروسالم» أي مدينة الإلة سالم، وهو إله الكنعانيين العرب.[1] وقد حرف هذا الاسم عدة مرات فجاء على شكل «يروشالايم» و «روشالايم» وهما اسمان للمدينة وردا في أسفار العهد القديم.[2] وسماها اليونان في عهد الإسكندر المقدونيّ «هيروسوليما». وردت أيضا تحت اسم «جيروزلم» وغيرها من أسماء ومسميات أخرى.

وغدت المدينة الكنعانيّة مدينة روحيّة ومقدسة لدى الكنعانيين واليبوسيين الذين كانوا يؤمنون بتوحيد الرب سالم، وقدم زعميهم وملكهم ملكي صادق الدبائح لهذا الرب على الصخرة الكائنة في المسجد القدسيّ الشريف، وأصبحت تلك الصخرة مقدسة لديهم. وظل الكنعانيون واليبوسيون يعتزون بحضارتهم وفكرهم الدينيّ الذي ارتكز على الإيمان بتوحيد الرب، ذلك الإيمان الذي هو في جوهره مخالف للمألوف والسائد لدى الجماعات

---

(١) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، في بيت المقدس (١)، دار الطليعة، بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٥٠.

(٢) راشد، سيد فرج، القدس عربيَّة إسلاميّة، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ص ٢٧ - ٢٨.

البشريَّة الأخرى التي عبدت أوثانا في ظل الفكر الوثنيّ الكامل، ويظل هذا المعتقد الذي مارسه الكنعانيون قديما يشكل نمطا جديداً في فهم مبادىء الديانات السماويّة لدى الشعوب التي عاشت في تلك المنطقة.

وتأسيسا عليه فإن الكنعانيين العرب هم أول من قدس مدينة أوروسالم (القدس)، وهم الذين صاغوا اسمها وشكلوه وطبعوه بالطابع الدينيّ المتداول لديهم وقتذاك لأنهم ظلوا يعتزون بقدسيتها ومكانتها، وظلت قدسية المدينة ماثلة منذ فجر التاريخ وحتى أيامنا الحاضرة والمستقبلية، وهو أمر يقدره الجميع ويحترمه. وقد أيدت التوارة[٣] تلك القدسيّة التي كانت تتمتع بها المدينة في ظل العهد الكنعانيّ واليبوسيّ كدليل آخر على مدى ما وصلت إليه تلك المدينة من مكانة دينية وقدسيّة شاملة قبل اليهوديّة بزمن ليس بقصير.

وقد تركز هذا المفهوم الدينيّ ودعم من خلال ما شيده الكنعانيون وأقاموه من أماكن دينيَّة في المدينة تخص عبادتهم، ولتكون وسيلة من وسائل الممارسة الدينيّة في مجال التوحيد ودائرته.

الأصل الدينيّ في التسمية اليهوديّة

لقد تغير اسم المدينة بعدما دخلها النبيّ داود عليه السلام فأطلق عليها اسم مدينة داود نسبة إليه.[٤] ونلمس في هذه التسمية دلالة دينيّة واضحة. فكما نسبها الكنعانيون إلى إله السلام عندهم، فإن نسبتها إلى النبي داود فيها الدلالة الدينيّة ذاتها، ويكون اليهود بذلك قد عمموا عليها هالة من القدسيّة اعترافا منهم بقدسية المدينة واحترامها الديني. وقد صبغوها بطابع ديني يتناسب مع معتقداتهم ودينهم، وبذلك يكونون قد ورثوا الطابع الدينيّ الذي تركه الكنعانيون العرب بعد سقوط دولتهم، وهو في الوقت نفسه يوضح مدى التأثير الحضاريّ الكنعانيّ على اليهود.

ولم يدم اسم مدينة داود طويلاً، فحل محله اسم «أورشليم»، وقد ورد هذا الاسم في العهد القديم في سفر يوشع في الإصحاح العاشر، وكلمة أورشليم ليست جديدة، وإنما

(٣) سفر التكوين: ١٤: ١٨.
جريس، سمير، القدس. المخططات الصهيونيَّة، الاحتلال، التهويد، مؤسسة الدراسات الفلسطينيَّة، بيروت ١٩٨١م، ص ٩.

(٤) الدباغ، بلادنا فلسطين، في بيت المقدس (١)، ص ٣٢.

هي تحريف لاسم المدينة الأساس وهو «أوروسالم» الاسم الكنعانيّ العربيّ، كما وردت أسماء أخرى محرفة مثل «يروشاليم» و«روشاليم» وجاء في الموسوعة الفلسطينيّة[٥] مايلي:

«وردت كلمة أورشليم التي تلفظ بالعربيّة «يروشالايم» أكثر من (٦٨٠) مرة، وهذه الكلمة مشتقة مباشرة من التسمية الكنعانيّة الأصليّة. وتطلق التوارة كذلك على المدينة أسماء أخرى كثيرة هي: «شاليم و«مدينة الله» و«مدينة القدس» و«مدينة العدل» و«مدينة السلام»، وتذكها أحيانا يبوس أو مدينة «اليبوسيين».

الأصل الدينيّ في التسمية الرومانية

إبان العهد الرومانيّ في المدينة قامت ثورة يهوديّة بزعامة باركوخيا سنة **١٣٢**م، فأخمدها الإمبراطور هادريانوس سنة **١٣٥**م، وخرب المدينة المقدسة، وبنى على أنقاضها مستعمرة رومانيّة حرم اليهود من دخولها قطعياً، وأطلق الإمبراطور هادريانوس على المدينة الجديدة اسم إيليا كابيتولينا[٦]. واسم إيليا أو إلياء هو اسم القدس كما ورد في العهدة العمريّة، فيذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أن إيليا يعني بيت الله، وهو اسم رومانيّ يدل على قدسيّة المدينة عند الرومان. وقد وردت في شعر الفرزدق بهذا المعنى فيقول:

وبيتان بيت الله نحن ولاته ومقر بأعلى إيلياء مشرف.

وقد أعاد الإمبراطور قسطنطين بعد دخوله في الديانة النصرانيّة اسم أورشليم إلى المدينة، وألغى اسم إيليا كابيتولينا من الوجة الرسميّة لكنه لم يستطع أن يلغيها على الصعيد العام في مجال التخاطب بين الناس، وبقي هذا الاسم شائعا في الاستعمال والتداول ردحا من الزمن. وقد ورد اسم مدينة إيلياء في العهدة العمريّة، وهي الأمان الذي أعطاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سكان المدينة بعد الفتح الإسلامي لها، وورد في العهدة المذكورة اسم أهل إيلياء دلالة على سكان المدينة.

الأصل الدينيّ في التسمية الإسلاميّة

مما لاشك فيه أن الإسلام الحنيف عني بالقدس عناية فائقة جدا. فوردت في القرآن

---

(٥) الموسوعة الفلسطينيّة، المجد الثالث، ص ٥١٠.

(٦) ورد في الموسوعة الفلسطينيِّة أن إيليا هو اسم هادربان (هادريانوس) الأول. الموسوعة، مجلد ٣ ص ٥١١.

ورد في كتاب القدس عربية إسلاميِّة لمؤلفه الدكتور سيد فرج راشد أن كلمه الكابتول هي اسم معبد جبتر الكبير. انظر الكتاب المذكور في هامش (٢)، ص ٢٨.

الكريم عدة أسماء تدل عليها وتعنيها كاملة. فجاء في سورة الإسراء: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾(٧) ووردت ضمناً في سورة البقرة: ﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**﴾.(٨) ووردت في سورة التين: ﴿**والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين**﴾.(٩) قال ابن عساكر عن ابن عباس: «إن التين بلاد الشام، والزيتون في بلاد المقدس، وطور سنين هو الجبل الذي كلم الله موسى عليه، وهذا البلد الأمين هو مكة المكرمة».(١٠) وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿**ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولاترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين**﴾* وقال تعالى: ﴿**ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين**﴾**.

وورد ذكر المدينة نصاً في الحديث الشريف: عن أنس بن مالك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم عرج بنا إلى السماء»(١١) وروي عن جابر رضي الله عنه أن رجلا قال: يارسول الله أي الخلق أولا دخولاً إلى الجنة يوم القيامة؟ قال الأنبياء. قال ثم من؟ قال الشهداء؟. وقال تم من؟ قال مؤذنو المسجد الحرام. قال ثم من؟ قال مؤذنو بيت المقدس. ثم قال مؤذنو مسجدي هذا. قال ثم من؟ قال سائر المؤذنين على قدر أعمالهم».(١٢) وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض. قال: «المسجد الحرام». قلت ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»(١٣) وورد في كتاب «الملل والنحل» بخصوص موضع دفن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما توفي. أراد أهل مكة من المهاجرين دفنه

(٧) سورة الإسراء، الآية الأولى.
(٨) سورة البقرة، الآية (١٤٤).
(٩) سورة التين، الآيات (١) و (٢) و (٣).
(١٠) الدكتور راشد سيد فرج، القدس، دار المريخ للنشر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٨.
(*) سورة المائدة: أية ٢١.
(**) سورة الأنبياء: أية ٧١
(١١) رواه مسلم في صحيحه.
(١٢) الشفا في التعريف بحقوق المصطفى، للقاضي عياض، ص ١٤٨.
(١٣) رواه كل من البخاريّ ومسلم والنسائيّ.

في مكة المكرمة على اعتبارها مسقط رأسه وموطىء قدمه وموطن أهله . . . الخ . وأراد أهل المدينة من الأنصار دفنه في المدينة لأنها دار هجرته ودار نصرته ، وأراد جماعة نقله إلى بيت المقدس لأنه موضع دفن فيه الأنبياء ، ومنه كان معراج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماء . وفي النهاية اتفقوا على دفنه في المدينة المنورة ، لما روي عن الرسول أنه قال: «الأنبياء يدفنون حيث يموتون» . (١٤)

وهكذا نرى مدى توافق الروابط الدينيّة والصلة القويّة بين مكة المكرمة وبيت المقدس ، وبين المسجد الحرام والمسجد الأقصى وهي روابط توحيديّة كاملة وشاملة ، قد أقرها الإسلام الحنيف وركزها وحافظ عليها .

وقد تكررت قدسية المدينة واحترامها الدينيّ عند المسلمين ، وانطبق هذا على كل التسميات التي أطلقها المسلمون في كل عهودهم التاريخيّة المتعاقبة على اسم المدينة . فسموها «بيت المقدس» وتعني اسم للموضع الذي طهر من الذنوب . * وقد اشتقت تلك التسمية من كلمة «القدس» وهي لفظة تعني البركة والطهارة والنقاوة ، ومعهما يصبح اسم بيت المقدس هو المكان الذي يطهر في الذنوب ، وهو في مفهومه الشامل يعني الطهر والطهارة ، فمدينة بيت المقدس تعني مدينة مقدسة يطهر فيها الذنوب . (١٥)

وقد أطلق المؤرخون المسلمون ، وكذلك الجغرافيون المسلمون على المدينة عدة تسميات في كتاباتهم ومؤلفاتهم ، منها اسم بيت المقدس ، ويعني التطهر والتطهير ، وفي هذا المعنى قوله تعالى : ﴿**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ . (١٦) ويكون بذلك البيت المقدس يعني البيت المطهر من الذنوب . (١٧)

ويذكر لنا النويريّ أن المدينة سميت بالمدينة المقدسة لأنها طهرت من الشرك ،

---

(١٤) الشهرستانيّ ، الملل والنحل ، جـ١ ، ص ١٥ .

(*) أبو الفرج الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، مكتبة مصطفى البانيّ الحلبيّ ، القاهرة ، ص ٣٩٧ .

(١٥) الحنبليّ ، مجير الدين العليميّ ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، فيما يخص تسمية بيت المقدس .

النويريّ ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء الأول ، وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ بمصر ، القاهرة ، ص ٣٢٥ .

(١٦) سورة البقرة : الأية ٣٠ .

(١٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جدة ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥م ، ص ١٦٦ .

وجعلت مسكنا للأنبياء والمؤمنين.[١٨] وأطلق القلقشنديّ على المدينة اسم القدس[١٩] وهذا الاسم لا يختلف في معناه ومفهومه الدينيّ عن غيره من معاني الأسماء التي سميت بها المدينة المقدسة.

وسميت المدينة أيضا باسم «القدس». وظلت المدينة المقدسة تسمى بهذا الاسم زمنا طويلا حتى أصبح اسم القدس اسما شائعا ومعروفا لدى الجميع، وهو الاسم المتداول في وقتنا الحاضر. والقدس في معناها لا تختلف عن معاني الأسماء الأخرى التي سميت بها المدينة المقدسة. والقدس تعني المكان أو الموضع الذي باركه الله تعالى. وقد شاعت تسمية المدينة باسم القدس الشريف طيلة العهد العثمانيّ، وهي أيضا في معناها لاتختلف عن الأسماء التي أوردناها في هذا المتن.

وبإجماع شهادات التاريخ في كل مراحله، تلك الشهادات المتأصلة والمؤصلة، فإن مدينة القدس تظل تأتي في قائمة المدن العالمية والدوليّة ذات التاريخ العريق الممتد بجذوره إلى أبعد من (٥٠٠٠) سنة من وقتنا الحاضر، يوم أن عمرها الكنعانيون العرب، وسموها «مدينة السلام نسبة إلى سالم أو «شالم» «إله السلام» عندهم. وقد انتقل بهذا الاسم الدينيّ إلى الأمم القديمة وشعوبها عبر الساميين القدماء الذين توطنوا في العراق القديم.[٢٠]

وبناء عليه فإن مدينة القدس من أعتق المدن المقدسة، وأن أصالتها التاريخيّة، وجذورها الدينيّة المتأصلة والمتعمقة تمتد بجذورها إلى عهد بعيد، ولدى أمم وشعوب عالمية كثيرة، وديانات مختلفة ومتنوعة، كل هذا أعطى المدينة صفة دينيّة عالميّة ودوليّة. وأن قدسيتها وثبات منزلتها وقيمتها الدينيّة التي لم تقتصر على أتباع دين بعينه، وإنما نالت تقديس جميع أتباع الديانات السماوية الثلاث: اليهوديّة والنصرانيّة والإسلام، وامتدت قدسيتها قبل ذلك إلى عهد أبعد، وهو عهد الجماعات الساميّة: الكنعانيّة واليبوسيّة وغيرهما. وإن أوج عظمة المدينة وتطورها واحترام منزلتها بلغ في العهد الإسلامي في ظل فترات حكمه المتعاقبة على المدينة، وليس هذا من قبيل الصدف ولا مصانعة للتاريخ، وإنما انطلق هذا من عمق المفهوم الإسلاميّ وتقديره لكل الديانات السماويّة وأتباعها،

---

(١٨) النويري، نهاية، ص ٣١٣.

(١٩) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ ٤، المطبعة الأميريّة بالقاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٠٠.

(٢٠) الدباغ، بلادنا فلسطين، في بيت المقدس (١). ص ٥.

ولما يتحلى به المسلمون بموجب مبادىء الإسلام من صفات مميزة قد لاتتوافر لغيرهم، فهم رسل محبة وسلام لكل شعوب الدنيا، فهم يعترفون بكل الأنبياء والرسل وما جاءوا به من ديانات بأمر ربهم، وهم يحترمون أتباعها ويحافظون عليهم ويرعون شؤونهم، وتأسيسا عليه فإنهم البشر الذين يحق لهم أن يحكموا المدينة المقدسة، ويشرفوا عليها ويديروا كل شؤونها السياسيّة والإداريّة، لأن هذا الحق هو ملك لمن يتحلى بكل تلك الصفات ذات الأساس الدينيّ والتاريخيّ والإنسانيّ. ولابد أن يكون مبدأ هذا الحق مبدأ مقراً ومعمولاً به كي تظل المدينة المقدسة ورعاياها المرابطون ينعمون بالأمن والاستقرار، ولكي تنعم كل أمم الأرض في ممارسة واجباتها الدينيّة بكل حرية واطمئنان، يوم أن تظل المدينة المقدسة بعيدة عن الحروب والصراعات الدوليّة والمحليّة.

ولاغرو فإن بقعة المسجد الأقصى الذي باركه الله تعالى وبارك البقاع من حوله تعد من بين أوسع بقاع الأرض قدسيّة يشترك فيها: الموحدون الأوائل من الكنعانيين وغيرهم، واليهود والنصارى والمسلمين ولابد للجميع من المحافظة على سلسلة الوصل والربط الدينيّ والحضاريّ والإنسانيّ التي تشد البشر كلهم نحو القدس لتوافق روابط أسس التوحيد الكامل والشامل.

الفصل الثاني
الأصول الدينية للمسجد الأقصى

المسجد الأقصى: اصطلاحه

إن المسجد الأقصى اسم شامل لكل ما يعرف في وقتنا الحاضر باسم المسجد القدسيّ الشريف، وهو الاسم الشائع للمسجد الأقصى في عصرنا الحاضر. وهو يتألف من المسجد الكبير وهو ما يعرف اليوم بالمسجد الأقصى ـ ومسجد الصخرة ومابينهما، وما حولهما من منشأت مثل السبل والبرك وأماكن الوضوء والأروقة والملحقات وغيرها، أي هو كل البقعة المقدسة التي يحيط بها سور المسجد الأقصى. وتبلغ مساحة الجميع في حدود (١٤٠٩٠٠)م٢، أي أكثر من مائة وأربعين دونما.[١] وتقوم بقعة المسجد الأقصى على جبل موريا[٢]. وكقاعدة شرعية فإن اسم المسجد يطلق شرعا على كل ماهو بداخل السور، وحكم السور هو حكم المسجد نفسه، لأن جدار المسجد يعد شرعاً من أرض المسجد.

يقول العلامة مجير الدين الحنبليّ عن مساحة بقعة المسجد الأقصى مايلي:

«توليت بنفسي وقيس بحضوري بالحبال فكان طوله قبلة بشمال من السور القبليّ (الجنوبيّ) عند المحراب المعروف بمحراب داود عليه السلام إلى صدر الرواق الشماليّ عند باب الأسباط (٦٦٠) ذراعا بذراع العمل التي تذرع الأبنية به في عصرنا غير عرض السورين، وإن كان فيه زيادة أو نقص نحو ذراعين أو ثلاثة فهي لاضطراب القياس لبعد المسافة، فإنني اختطت في تحريره وقيس بحضوري مرتين حتى تحققت صحة القياس، وعرضه شرقا بغرب من السور الشرقي المطل على مقابر باب الرحمة إلى صدر الرواق الغربيّ الذي هو أسفل مجمع المدرسة التنكزيّة أربعمائة ذراع وستة أذرع بذراع

---

(١) الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١)، ص ١٩٩. والدنم عبارة عن مساحة (١٠٠٠)م٢

(٢) منظمة التحرير الفلسطينيّة، القدس تاريخ وصور، ص ص ٢٨-٢٩.

الفصل الثاني

الأصول الدينية للمسجد الأقصى

- المسجد الأقصى. اصطلاحه ومساحته
- الجذور التاريخيّة لقداسة المسجد الأقصى.

العمل غير عرض السورين». [٣]

وأورد الأستاذ الآثاريّ الفرنسيّ «دي سولسي» في كتابه «تاريخ القن اليهوديّ» مقياساً للمسجد الأقصى الشامل، فأورد أن طول الضلع الشرقي لسوره هو (٣٨٤) متراً. وطول الضلع الجنوبيّ (٢٢٥) متراً. ثم يمتد الضلع الغربيّ في خط مستقيم بزاوية منفرجة وبذلك يصبح الضلع الشماليّ من السور أطول بكثير من الضلع الجنوبيّ. وخرج بنتيجة واضحة وهو أن مساحة المسجد الأقصى (المسجد القدسيّ الشريف) أكبر من ضعف مساحة مسجد النبي سليمان عليه السلام[٤] لأن السور الذي أحيط بمسجد سيدنا سليمان عليه السلام المقام على جبل موريا كان أشبه بسور يحيط ببقعة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها في حدود (١٨٠) متراً[٥]. كما أن شكل مساحة المسجد الأقصى كانت تشبه مستطيلا يأخذ اتجاهه من الشمال إلى الجنوب اتجاه قبلة مكة المكرمة، على خلاف مسجد نبيّ الله سليمان، فعلى الرغم من أن مساحة هذا المسجد تشبه المستطيل إلا أن هذا المستطيل يأخذ الاتجاه من الغرب إلى الشرق وهو بذلك يخالف اتجاه مستطيل المسجد الأقصى. [٦] ومع هذا فإن هناك فرقاً كبيراً بين مساحة المسجد الأقصى كما قاسها مجير الدين الحنبليّ وبين قياسات دي سولسي، ومن الواضح أن قياسات الحنبليّ هي أعم وأشمل بالإضافة إلى تعمقه الأكبر والأكثر في المجال الدينيّ وفهم موقع المسجد القدسيّ ومساحته.

ووصف ابن الفقيه مساحة المسجد القدسيّ الشامل في كتابه «مختصر كتاب البلدان» فقال «يقال إن طول بيت المقدس ألف ذراع وعرضه سبعمائة ذراع . . .» هذا بذراع العادي.

وقال المقدسيّ في كتابه «أحسن التقاسيمة: «طول المسجد ألف ذراع بذراع الملك الأشباني*، وعرضه سبعمائة . . .».

---

(٣) مجير الدين الحنبليّ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، جـ٢، مكتبة المحتسب، عمّان، ١٩٧٣م، ص ٢٤.

(٤) د. راشد سيد فرج، القدس: عربية إسلاميّة، دار المريخ للنشر بالرياض، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. ص ٥٩.

(٥) د. راشد، القدس، ص ٥٩.

(٦) د. ظاظا، حسن، إسرائيل ركيزة للاستعمار بين المسلمين، مجلة البحوث الإسلاميّة، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ص ١١٦-١١٧.

(*) الدراع الأشباني هو ذراع الملك المسمى في حراسان كزشايكان وهو أقل بقليلا من ذراع ونصف =

وقال ناصر خسرو الذي زار بيت المقدس عام ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م في رحلته «سفر نامة»: «وقد أردت أن أقيس هذا المسجد، ولكني آثرت أن أتقن معرفة هيأته ووضعه أولا ثم أقيسه، فلبثت فيه زمنا أمعن النظر، فرأيت عند الجانب الشماليّ بجوار قبة يعقوب عليه السلام طاقاً مكتوباً على حجر منه أن طول هذا المسجد أربع وخمسون وسبعمائة ذراع، وعرضه خمس وخمسون وأربعمائة ذراع، وذلك بذراع المكل المسمى في خراسان «كزشايكان...».

وقال ابن جبير في رحلته للشرق عام ٥٧٨ ـ ٥٨١هـ/ ١١٨٣ ـ ١١٨٥م: «وطول مسجد بيت المقدس، أعاده الله للإسلام، سبعمائة وثمانون ذراعاً، وعرضه أربعمائة وخمسون ذراعاً...».

وقال ابن عبد ربه في كتابه «العقد الفريد»: «طول المسجد سبعمائة ذراع وأربع وثمانون ذراعاً، وعرضه أربعمائة ذراع وخمس وخمسون ذراعاً بذراع الإمام...».

وقال ابن بطوطة في رحلته «وإن طول المسجد القدسيّ من شرق إلى غرب سبعمائة وإثنان وخمسون ذراعاً بالذراع المالكيّة، وعرضه من القبلة إلى الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً...».

وبناء عليه فإن مساحة المسجد الأقصى الشامل تشمل كل بقعة المسجد القدسيّ الشريف بما فيه السور. ويرى صاحب مؤلف «القدس إيمان وجهاد» أن هذه البقعة المقدسة الواقعة على جبل موريا هي التي ورد ذكرها في القرآن الكريم بأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين[٧]، وهي في الوقت نفسه تختلف في مساحتها عن مساحة مسجد النبي سليمان عليه السلام، وبالتالي فإن هناك فرق في الموقع أيضا بين مسجد سليمان عليه السلام وبين الأرض التي خصها الله بقدسيته، أرض أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وهي في كليتها أرض المسجد الأقصى أو ما يعرف اليوم اسما ومساحة «المسجد القدسي الشريف» كاسم شائع ومتوارث لدى أجيال المسلمين وغيرهم.

وقد عرف القاضي مجير الدين الحنبليّ المسجد الأقصى وحدد معالمه في ـول في هذا الصدد:

= من الأذرع المتداولة في بلاد الشام وقتذاك.

(٧) نظام الدين عرفان، والدجانيّ، علي طاهر، القدس إيمان وجهاد، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧م. ص ٦٧.

«إن المتعارف عند الناس أن الأقصى من جهة القبلة الجامع المبنيّ في صدر المسجد الذي به المنبر والمحراب الكبير. . . وحقيقة الحال: أن الأقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور وذكر قياسها طولاً وعرضاً، فإن هذا البناء الموجود في صدر المسجد وغيره من قبة الصخرة والأورقة وغيرهما تسمى بالمسجد الأقصى، وهو جميع مادار عليه السور[٨]، وسور المسجد الأقصى مرتفع، فيبلغ طوله في حدود عشرين متراً عند زاويته الشمالية الشرقيّة وأربعين متراً عند الزاوية الجنوبيّة الشرقيّة.

ويقول الشيخ ابن تيمية مايلي:

«المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام، وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى المصلي الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مقدمه، والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد. .»[٩]

ونلحظ من هذا القول انطباق مساحة المسجد الأقصى وحدوده واصطلاحه على مسجد سليمان عليه السلام، لكن الدراسات الآثارية الدقيقة اثبتت بما لا يدعو إلى الشك بأن مثل تلك الانطباقيّة غير واردة وغير صحيحة.

وتجدر الإشارة هنا أن سليمان عليه السلام كان قد عمر بيتا لعبادة الرّب وبيت العبادة هو المسجد، والمساجد هي بيوت الله، وقد ورد نص صريح في ذلك، فورد في سفر الملوك، وهو سفر ألف في بابل بعد سقوط مملكة يهوذا في فترة السبيّ البابليّ مايلي:

«فأرسل سليمان إلى حيرام (مل صور الفينيقيّ) يقول له. . . هأنذا متكلم على بناء بيت لاسم الرب إلهي كما كلم الرب داود أبي قائلا: «إن ابنك الذي أجعله مكانك على كرسيك هو يبني البيت لاسمي. . .» والآن فأمر أن يقطعوا لي أرزاً من لبنان. . . لأنك تعلم أنه ليس بيننا من يعرف قطع الخشب مثل الصيدويين.[١٠]

وأورد اليعقوبيّ ما نصه:

قال سليمان عليه السلام: «إن الله أمر أبي داود أن يبني بيتا، وإن داود عليه السلام شغل بالحروب، فأوحى الله إليه أن ابنك سليمبان يبني البيت باسمي. . .»[١١]. وذكر

(٨) الحنبليّ، الأنس، جـ ٢، ص ٢٧٢.
(٩) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المجلد السابع والعشرون، ص ص ١١-١٢.
(١٠) سفر الملوك الأول: ٥/٢، ٥/٦.
(١١) اليعقوبيّ، تاريخ اليعقوبيّ، الجزء الأول.

البيت هنا هو مكان العبادة لله، وهو المسجد. وقد ورد اسم المسجد هذ في كثير من المؤلفات الإسلاميّة التي ألفها علماء أذكر على سبيل المثال لا الحصر ما أورده الشيخ العلامة ابن تيمية عن هذا الأمر فيقول: «إن المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام». [١٢]

وقد استخدم القاضي العلامة مجير الدين الحنبليّ، قاضي قضاة القدس كلمة مسجد عند ذكره مكان العبادة الذي بناه سليمان عليه السلام. [١٣] واستخدم الأستاذ محمد سليم كلمة مسجد مشيرا في ذلك إلى البيت الذي بناه سليمان عليه السلام. [١٤]

وقد وردت كلمة مسجد وتعني بذلك مسجد سليمان عليه السلام في الآيات:

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾[١٥]

وبعمق تأصيلي للمصطلح المكانيّ الخاص بعبادة النبي سليمان عليه السلام ومن تبعه، فإن مكان العبادة الذي أنشأه سليمان عليه السلام للصلاة والتعبد والذبح للرب، هو البيت الذي أقامه سليمان لممارسة العبادة، وهو المسجد بشهادة الآيات القرآنية وهي أقوى دليل ثابت، وبشهادة الأسفار والروايات الإسرائيلية كدليل آخر مدعم ومساند. ومن هنا لم يرد مايفيد بأن سليمان عليه السلام أقام هيكلا وإنما بنى مسجداً، وسليمان عليه السلام ومن جاء قبله من الأنبياء ومن جاء منهم بعده كلهم مسلمون، حتى أن الهيكل الذي ينسبه اليهود لسليمان عليه السلام، مشكوك في أمر موضعه، هل هو في مدينة القدس أم أنه بالقرب من مدينة نابلس الفلسطينيّة؟.

وتجدر الإشارة هنا أن نبي الله داود عليه السلام والد سليمان عليه السلام كان في عهد حكمه الذي دام في حدود أربعين سنة في مدينة اليبوسيين، أورسالم قد جهز كثيرا من

---

(١٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المجلد السابع والعشرون، ص ١١.

(١٣) الحنبلي، الأنس، جـ١، ص ١٢٣.

(١٤) سليم، محمد، الإسراء والمعراج، المختار الإسلاميّ للطبع والنشر، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١١٠.

(١٥) الإسراء والمعراج، آيات ٤-٧.

المـواد الإنشائيّة والبنائيّة لإقامة مسجده لولا انشغاله بالحروب الكثيرة من جهة وإخماد القلاقل والثورات والفتن الداخلية من جهة أخرى، علماً بأن مدينة يبوس قد غير اسمها في عهد نبي الله داود ليصبح مدينة داود نسبة إليه. (١٦)

ومن مسلمات الأمور البدهيّة أن يقوم نبي الله داود وكذلك ابنه نبي الله سليمان بإقامة بيوت الله لأن ديانة جميع الأنبياء هي ديانة التوحيد، وهذا الأمر ينطبق على الإنسان في مطلع ولادته ونشـأته الأولى، قبـل أن ينحرف عن الأصل التوحيديّ ويبتدع لنفسه عبادات شركيّة ووثنيّة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المعنى: «إن الناس كانوا على التوحيد والإخلاص كما كان عليه أبوهم آدم أبو البشر عليه السلام حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان بدعة من تلقاء أنفسهم». (١٧)

وعلى الرغم من علامات الاستفهام التي طرحت على التوراة(١٨) المتداولة لا الأصل فإنها مليئة بالنصوص التي تثبت التوحيد بشكل قاطع، بخاصة في الأسفار الأولى منها حتى مابعد عهد نبي الله سليمان عليه السلام. فجاء في سفر التثنية مايلي:

«اسمـع يا إسرائيل، الـرب إلهنـا رب واحـد»(١٩)، وجاء في السفر نفسه: «الرب هـو الإلـه ليس آخـر سواه»(٢٠) يقول النبـي أشعيا: «أنـت هـو الإلـه وحـدك لكـل ممـالك الأرض». (٢١)

وبناءً عليه فإننا نتوصل إلى القناعات الآتية:

١ - إن أرض المسجـد الأقصى هي البقعة نفسها التي عرفت قديما وحديثا بأرض المسجـد القـدسيّ الشريف في مساحته الكاملة وحدوده المحددة بالسور المحيط بتلك الأرض المقدسة التي باركها الله تعالى، وهي أرض الإسراء والمعراج، قال تعالى في قرآنه

---

(١٦) الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١)، ص ٣٢، ٣٥.
(١٧) ابن تيمية، رسائل من السجن، جمعها محمد العبدة، ط ٢، ص ص ٥٥-٥٦.
(١٨) راجع ما أورده الإمام شمس الدين بن قيم الجوزية في كتابه هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.
(١٩) سفر التثنية، الاصحاح السادس، فقرة ٤.
(٢٠) سفر التثنية، الاصحاح الرابع، فقرة ٣٥.
(٢١) سفر أشعيا، ١٧: ١٦.
لمعـرفـة المـزيد عن التوحيد وعقيدته ارجع إلى: رفيق شاكر النتشة، الإيمان بين الوحيِّ والعقل، الفصل الثالث، ط ١، ١٩٩٢م/ ١٤١٢هـ.

الكريم: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**﴾[٢٢]. ويقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «لاتشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى».[٢٣] وعليه فإن عمق قدسيّة المسجد الأقصى أكثر من عمق قدسيّة مسجد سليمان عليه السلام لأنها أكثر شموليّة وامتدادا وأتباعاً.

٢ ـ إن البيت الذي بناه سليمان عليه السلام، والذي كان والده داود عليه السلام قد جهز المواد لبنائه، هو مسجد أقامه نبي الله سليمان وأتباعه الموحودن لعبادة الرّب. فكلمة مسجد هي خير تسمية لهذا الموضع الخاص بعبادة التوحيد، لأن كلمة مسجد ذات مفهوم دينيّ واسع، وتنطبق على مواضع العبادة التوحيديّة ذات المفهوم الدينيّ المطلق.

٣ ـ لا تطابق بين مساحة أرض المسجد الأقصى ومساحة أرض مسجد سليمان عليه السلام، حيث إن بقعة المسجد الأقصى المبارك هي أوسع وأعم من بقعة مسجد سليمان عليه السلام. وقد حددت بقعة المسجد الأقصى بالسور المحيط بها، والذي ظل يحدد حدودها ويحافظ على هويتها، وهو في موقعه المكاني هذا يشكل جزء من تلك البقعة المقدسة.

واستناداً إلى ما جاء في التلمود عن الصخرة التي هي عند اليهود نواة قدس الأقداس، وهي التي أقيم عليها مسجد سليمان عليه السلام: فهي تختلف عن الصخرة المشرفة، صخرة المعراج، التي منها عرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وإلى سدرة المنتهى، فهناك تباين واضح بين صخرة المعراج وصخرة نواة قدس الأقداس، فقد وصف التلمود صخرة مسجد سليمان عليه السلام بأنها ترتفع عن مستوى سطح الأرض بثلاثة أصابع، بينما صخرة المعراج التي أقيم عليها مسجد الصخرة فيما بعد ترتفع عن مستوى الأرض بنحو متر واحد.[٢٤] وهذا أمر يؤكد تماماً على أن موضع مسجد سليمان عليه السلام ليس في موضع المسجد الأقصى أو مايعرف اليوم بالمسجد الكبير.

والصخرة المشرفة هي قبلة المسلمين الأولى، وهي قبلة اليهود، ومنها عرج الرسول إلى

---

(٢٢) سورة الإسراء، الآية الأولى.

(٢٣) متفق عليه.

(٢٤) د. طمسن، جون، قاموس الكتاب، المقدس بيروت، ١٩٦٤م.
د. حسن، محمد أحمد، المسجد الأقصى في الكتب المقدسة، ص ١٢٧.

السمـوات وإلى سدرة المنتهى.[٢٥] وروي أن صخرة بيت المقدس هي المكان القريب الذي ينادي منه إسرافيل بالحشر.[٢٦] قال تعالى: ﴿**واستمع يـوم ينـادي المنـادي مـن مكـان قريـب**﴾.

ويقول ابن تيمية عن الصخرة: «فلم يصل عندها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولا الصحـابـة، ولا كان على عهـد الخلفـاء الراشدين عليها قبة... وأما أهل العلم والصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبلة منسوخة...»[٢٧]

الجذور التاريخيّة لقداسة المسجد الأقصى:

استنادا إلى المصادر التاريخية والدينية القديمة فإنها تذكر أن بقعة المسجد الأقصى أو مايعرف اصطلاحا بالمسجد القدسيّ الشريف هي البقعة نفسها التي كان الملك الكنعانيّ «اليبوسيّ» ملكي صادق قد خصصها لعبادة ربه، وكان يقدم الذبائح له طلبا لمراحمه، على الصخرة الكائنة هناك.[٢٨] وقد مارس ملكي صادق وأتباعه عبادة التوحيد وكانوا بذلـك أول جماعة اعتقدت بالتوحيد برعاية ملكها ورئيسها «ملكي صادق». وبذلك تكون تلك البقعة الدينيّة المقدسة في مدينة السلام (القدس) هي من بين أقدم الأماكن المقدسة التي ذكرت في التاريخ، آمن أهلها إيمانا جازما بالله الواحد الذي لا شريك له في ملكه ويشمل برعايته وعنايته جميع الكائنات. وفي هذه البقعة الطاهرة وضعت أسس حياة العالم الدينيّة منذ نحو أربعة آلاف سنة من أيامنا الحاضرة. وهي فترة زمنية بعيدة عن أيام داود عليه السلام وسليمان عليه السلام. وقدسيّة تلك البقعة والمدينة الموجودة فيها هي قدسيّة راسخة وقداستها ثابتة كل الثبات عند الكنعانيين اليبوسيين ومن عاشوا في ظلهم قبل مجيء العبرانيين اليهود بحوالي ألف سنة. وكان بيت العبادة الذي أقامه ملكي صادق في تلك البقعة المقدسة موجوداً قبل أن يمر إبراهيم عليه السلام بمدينة

---

(٢٥) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم، تصحيح وتعليق محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، ١٣٩٠هـ، ص ٤٢٥.

(٢٦) الحنبليّ، الأنس الجليل، جـ ١، ص ١٢٧.

(٢٧) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مجلد ٢٧، ص ١٣.

(٢٨) الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١)، ص ص ٥-٦.

- كانت الذبائح مستخدمة في العصور التاريخية القديمة، وكانت معروفة عند السكان منذ فجر التـاريخ والمذبح وقتذاك كان على شكل بناء مرتفع تقدم عليه الذبيحة تقربا للرب الواحد، وكرمز لتقديم الشكر وطلب الرحمة والغفران.

القـدس بزمن ليس بقصير. وفي التوارة إشارة واضحة إلى أن اليهود لم تكن لهم علاقة بتلك البقعـة المقـدسة وكذلك بمدينة السلام قبل عهد سيدنا داود عليه السلام وابنه سليمان عليه السلام، بل ظلوا يرون أنفسهم غرباء عن تلك الديار قبل ذلك العهد، وهو أمر أثبتته التوراة فتقول التوارة عن بعض الإسرائيليين الذين دخلوا فلسطين عام ١١٥٠ق.م تحت قيادة زعميهم وملكهم يشوع مايلي.

كان رجل إسرائيلي وامرأته وغلامه مسافرين ذات يوم فأدركهم الليل... وفيما هم عند يبوس قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة غريبة لا أحد فيها من بني إسرائيل.[٢٩]

وكـان اليبـوسيون قد شيدوا معبدهم للإله «سالم» على أحد مرتفعات مدينة يبوس (القدس)، وهو جبل موريا البقعة التي يقع عليها المسجد الأقصى. وقد اقتبس اليهود عن أولئك اليبوسيين هذا المظهر الدينيّ، فقرر نبي الله داود أن ينشيء في مدينة يبوس مسجدا للعبادة على غرار معبد اليبوسيين، لكنه لم يتمكن من ذلك فعمره من بعده ابنه سليمان عليه السلام، ويكون اليهود العبرانيون بزعامة سليمان عليه السلام قد أقاموا بيتا لعبـادتهم على غرار معبد ملكي صادق اليبوسيّ وكان ذلك متأخرا بزمن طويل، إذ أن تشييد مسجــد سليمان كان في خلال فترة حكمـه التي أمتـدت إلى أربعـين سنـة من ٩٦٣-٩٢٣ ق.م.

وأثبتت التوارة كما يروي سفر التكوين في الاصحاح الثاني والعشرين أن إبراهيم عليه السلام كان قد ذهب إلى جبل المريا (موريا أو مورين) أو بقعة المسجد الأقصى ـ امتثالا لأمر ربه بذبح ابنه[٣٠]، وورد في الكتاب المقدس، العهد القديم، الاصحاح الرابع عشر: أن ملكي صادق... ملك شاليم... وكـان كاهنـا لله العلي، وبارك إبراهيم قائلا له «مبارك إبرام من الله العلي مالك السموات والأرض».[٣١] وتجدر الإشارة هنا أن إبراهيم عليه السلام كان قد جاء إلى فلسطين للمرة الثانية بعد عودته من مصر في حدود سنة ١٩٠٠ق.م، حيث توجه إلى مدينة السلام، وهناك استقبله ملكها اليبوسيّ ملكي

(٢٩) منظمة التحرير، القدس تاريخ وصور، ص ٨.

(٣٠) حسن، محمد أحمد، المسجد الأقصى في الكتب المقدسة، ص ٩.

(٣١) أبو عرفة، عبد الرحمن، القدس تشكيل جديد للمدينة، دراسات صامد الاقتصادي، عمّان، ١٩٨٦، ص ١٥.

جارودي روجيه، فلسطين أرض الرسالات السماويّة، ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٨م، ص ١٢٥.

صادق بالترحاب وقامت بينهما علاقات قوية ووطيدة.

وتوطيد العلاقة والمحبة بين إبراهيم عليه السلام وملكي صادق الملك اليبوسيِّ الموحد بالله العلي دلالة قاطعة على قدسيّة البقعة التي كان يمارس فيها كل من إبراهيم عليه السلام وملكي صادق الشعائر الدينيّة التوحيديّة، وهو أمر يوضح عمر قدسيّة بقعة المسجد الأقصى وعمق امتداها التاريخيّ. وسيدنا إبراهيم عليه السلام نبي مسلم، وكان يدعو إلى الاسلام والدليل القرآني شاهد على ذلك. قال تعالى: ﴿**ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾. (٣٢) وقال تعالى وهو خير القائلين: ﴿**وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا، قل بل ملة إبراهيم حنيفاً، وماكان من المشركين، قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**﴾. (٣٣) وظل الأنبياء المسلمون يحكمون الأقوام في بيت المقدس وحوله، يحكمون بمبادىء شريعة التوحيد، شريعة الأنبياء المسلمين، قال تعالى: ﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن، قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾. (٣٤) وقال تعالى: ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلةً، وكلاً جعلنا صالحين، وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا، وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وكانوا لنا عابدين**﴾. (٣٥)

ومما لاشك فيه أن قدسيّة القدس وبالتالي أرض فلسطين ترجع في إسنادها الدينيّ والتاريخيّ إلى أنها أرض المسجد الأقصى الذي باركه الله وبارك من حوله. والمسجد الأقصى هذا موجود قبل عهدي موسى وعيسى عليهما السلام.

وكعمق دينيّ وتاريخيّ لقدسيّة المسجد الأقصى وقداسته، ما يراه عدد من العلماء من أن الذي بنى المسجد الحرام هو آدم عليه السلام، ويجوز أن يكون ولده قد بنى المسجد الأقصى بعده. (٣٦) ومن الممكن أيضا أن تكون الملائكة قد بنت المسجد الأقصى بعد

(٣٢) سورة البقرة: آية: ١٣٢.
(٣٣) سورة البقرة: الآيات: ١٣٥-١٣٦.
(٣٤) سورة البقرة: آية: ١٢٤.
(٣٥) سورة الأنبياء: آية: ٧٢-٧٣.
(٣٦) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ ٤، بيروت، ١٩٦٤م. =

بنائها البيت الحرام بإذن الله، ويستند هذا الأمر على ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت في الأرض، وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلق آدم، ثم إن آدم بنى منه مابنى، وطاف به، ثم الأنبياء، ثم استتم بناءه إبراهيم عليه السلام.»[٣٧].

وبناء عليه فإن بقعة المسجد الأقصى، هي بقعة عبادة وتعبد لله العلي القدير على مدى حقب التاريخ الإنسانيّ: قديمه وحديثه، ماضيه وحاضره ومستقبله، فهي مازالت منطقة توحيد منذ عهد ملكي صادق الكنعانيّ اليبوسيّ وإبراهيم عليه السلام، مرورا بعهود داود وسليمان وعيسى ومحمد عليهم السلام، فقدسية تلك البقعة متوغلة بجذورها إلى قدم التاريخ وقدم أممه، وهذا هو الأمر الثابت الذي منح تلك القدسية، وتلك الطهارة والبركة لهذا المكان المقدس المبارك من الله العلي الواحد القهار.

وهنا نجد ملتقى الجذور الدينيّة التي تربط المسجد الأقصى بالمسجد الحرام، حتى أن تسمية المسجد الأقصى بالأقصى راجعة كما حللها العلماء والمؤرخون إلى بعد المسافة الجغرافية الدنيويّة بين المسجدين أي بعد المسافة بين المسجد الأقصى في بيت المقدس والمسجد الحرام في مكة المكرمة. وفسر البعض تسمية المسحد الأقصى بالأقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار، واعتقد أن مرد هذا البعد المسافي نابع من بعد المسجد الأقصى عن مكة والمسجد الحرام الذي هو أساس المساجد الإسلاميّة التي تشد إليها الرحال، فموقع المسجد النبويّ الشريف هو أقرب إلى المسجد الحرام.

ويكمن العمق الديني للمسجد الأقصى وكذلك العمق التاريخيّ له بأنه مكان عبادة وتعبد قديم جداً، فصلى فيه الذين آمنوا بالتوحيد قديماً، وصلى فيه الأنبياء كداود وسليمان عليهما السلام، فقد جاء في صحيح مسلم «أن الرسول صلى الله عليه وسلم

= ص ١٣٨.
وكذلك: د. جمال عبد الهادي محمد مسعود، الطريق إلى بيت المقدس، ص ص ١٠-١١.

(٣٧) القرطبيّ، الجامع، جـ ٤، ص ص ١٣٨-١٣٩.
لمزيد من التفصيلات عن هذا الموضوع أرجع إلى:
د. محمد عثمان شبير، بيت المقدس وماحوله، مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ص ص ٣٦-٣٧. وكذلك د. جمال عبد الهادي محمد مسعود، الطريق إلى بيت المقدس، ط ٤، جـ ١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ص ص ١٠-١١.

ركب الـبراق وهو يضع حافره عند منتهى طرفه إلى بيت المقدس، فربطه بالحلقة التي يربط به الأنبياء (قيل إنها حلقة باب مسجد بيت المقدس)، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجـد فصـلى فيه ركعتين، ثم عرج جبريل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء».

وروى عن القاضي عياض قال: عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وصليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد، ثم دخلت الصخرة». (٣٨)

ويمكن معرفة العمق الدينيّ والتاريخيّ لقداسة المسجد الأقصى ومدى امتداد هذا العمق إلى الأصل إذا أخذنا بالرواية القائلة بأن الملائكة هم الذين بنوا كلا من المسجد الحـرام والمسجد الأقصى، والفرق الزمنيّ بين بنائهما يصل إلى أربعين سنة. (٣٩) ونرى عمق الجذور التاريخيّة لقدسيّة المسجد الأقصى وقداسته إذا أخذنا أيضا بالرواية القائلة إن أول من بنى المسجد الحرام هو آدم عليه السلام، ومن المحتمل أن يكون ولده قد عمره بعد أربعين سنة من إعمار آدم عليه السلام للمسجد الحرام. (٤٠)

---

(٣٨) القاضي عياض: الشفا في التعريف بحقوق المصطفى.

(٣٩) ابن حجر، فتح الباري، جـ ٦، ص ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٤٠) القرطبي، الجامع، جـ ٤، ص ١٣٦.

الفصل الثالث

المسجد الأقصى قبل عهد أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب

- الرواية الأولى حول بناء المسجد الأقصى.
- الرواية الثانية حول بناء المسجد الأقصى.
- الرواية الثالثة حول بناء المسجد الأقصى.
- الرواية الرابعة حول بناء المسجد الأقصى.

الفصل الثالث
المسجد الأقصى قبل عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

إن قدسية المسجد الأقصى وقداسته الدينيّة أمر بدهي ولا يحتاج منا إلى برهنة أو إثبات مادام أن هذه القداسة وتلك القدسيّة عممها القرآن الكريم وثبتها بآياته الكريمة. قال تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع العليم**﴾.[١] وقوله تعالى في شأن مسألة طلب نبي الله موسى عليه السلام من بني إسرائيل الذين هاجروا معه دخول أرض فلسطين التي فيها القدس والمسجد الأقصى: ﴿**ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولاترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين**﴾.[٢] وقوله تعالى في مسألة نجاة إبراهيم ولوط عليهما السلام: ﴿**ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين**﴾.[٣] وقوله تعالى: ﴿**ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين**﴾.[٤]

ومن منطلق فهم القدسيّة في هذه الآيات الكريمات نلحظ مدى تعميم تلك القدسيّة والقداسة والبركة على المسجد الأقصى، وعلى القدس باعتبار أنها أرض المسجد الأقصى، وعلى أرض فلسطين باعتبار أن المسجد الأقصى جزء من أرض القدس، وأرض القدس جزء من أرض فلسطين، وعلى أرض بلاد الشام لأن أرض فلسطين هي جزء منها. وهكذا فإن حركية البركة ولولبيتها تنطبق ماديتها ومعنويتها على تلك المنطقة

---

(١) سورة الإسراء، أية: ١.
(٢) سورة المائدة، أية: ٢١.
(٣) سورة الأنبياء، أية: ٧١.
(٤) سورة الأنبياء، أية: ٨١.

الجغرافية التي ضمت أرضها أرض المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. ومن هنا تأتي المسؤولية الدينيّة على كل أتباع الدين الإسلاميّ فعليهم حماية تلك المقدسات وصيانتها والمحافظة على رقيها وازدهارها لأن ذلك واجب على كل مسلم، وأن هذا الواجب ليس مقصوراً على جماعة مسلمة بعينها، وإنما الواجب في هذا المقام ممتد إلى كل مسلم، وبالتالي فإن مسؤولية المحافظة على المسجد الأقصى والدفاع عنه وصونه وازدهاره منوط بالعالم الإسلاميّ كله، وعليه فإن المسؤولية الكاملة تقع على كاهل كل فرد مسلم، ويجب عليه الاعتراف بها والعمل بموجبها دون إلقاء هذا العبء على شعب بمفرده أو جماعة دون غيرها. ويجب أن يتساوى الجميع في تحمل هذا العبء لأن كل المسلمين متساوون في الواجبات الدينية التي شرعها الله عليهم. وعلى الشعب الفلسطينيّ العربيّ المسلم أن يتحمل المسؤولية الأولى والكبرى في هذا المجال لأن المسجد الأقصى ومدينة القدس الشريف هيَ جزء لا يتجزأ من بلادهم فلسطين، ولهم حق الريادة والقيادة في هذا الأمر، فلا تفريط فيه، ولا تجزئة أو تدويل.

الرواية الأولى حول بناء المسجد الأقصى:

إن الأمر الثابت في المصادر الدينيّة أن أول مسجد بني هو المسجد الحرام، وأن ثاني مسجد بني هو المسجد الأقصى المبارك، فهذه قاعدة دينيّة ثابتة لا جدال فيها معتمدين في هذا على الحديث الشريف الذي نص على هذا الأمر نصاً واضحاً وجلياً. روى البخاري في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال أربعون سنة.[٥]

وتعددت الروايات حول من بنى المسجد الأقصى. فمنها ماتقول بأن الملائكة هم الذين بنوا المسجد الأقصى بأمر الله عز وجل بعد أن كانوا قد بنوا المسجد الحرام قبل ذلك بنحو أربعين سنة. وتعتمد الرواية في ذلك على مارواه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: قال: أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت في الأرض وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلق آدم، ثم إن آدم بنى من ما بنى، وطاف به، ثم الأنبياء بعده، ثم استتم بناءه

(٥) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ، صحيح البخاريّ، طبعة المكتب الإسلاميّ باستنبول، جـ ٤، ص ١١٧.
وكذلك: ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، جـ ٩، دمشق، ١٩٦٩، ص ٢٧٥

إبراهيم عليه السلام.[٦] وواضح من نص رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنها لا تذكر بناء المسجد الأقصى وإنما ذكرت بناء المسجد الحرام، فكما أن الله تعالى أمر الملائكة ببناء المسجد الحرام اعتمادا على تلك الرواية، فعليه لا يستبعد أن يكون الملائكة هم الذين بنوا المسجد الأقصى بعد بناء المسجد الحرام لصلة حلقة التطابق والتوافق بين المسجدين المباركين.

الرواية الثانية حول بناء المسجد الأقصى المبارك:

يذكر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في المجلد الرابع من هذا السفر القيم أن آدم عليه السلام هو أول من بنى البيت ويعني بذلك المسجد الحرام. ويجوز أن يكون ولده قد بنى البيت في القدس الشريف بعد ذلك بأربعين سنة. وعلى الرغم من أن رواية القرطبيّ قابلة للأخذ والرد إلا أنها تظل تشكل رواية محتملة. كما أن القرطبيّ يذكر أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان قد جدد بناء البيت الحرام الذي أسسه غيره، معتمداً في ذلك على تفسير الآية الكريمة: ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت**﴾.[٧]، فهي من وجهة نظر القرطبيّ ليس فيها مايفيد أن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى المسجد الحرام بمكة المكرمة، وعليه يمكن أن يكون قد جدده، وهذا الأمر نفسه ينطبق على الرواية القائلة بأن سليمان عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى في مدينة القدس، وتعتمد هذه الرواية الثانية على مارواه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال: «أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت في الأرض، وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلق آدم، ثم إن آدم بنى منه ما بنى، وطاف به، ثم الأنبياء، ثم استتم بناءه إبراهيم عليه السلام». ومعروف أن أول بيت بني في الأرض هو البيت الحرام، وثاني بيت بني في الأرض هو المسجد الأقصى استناداً إلى حديث الرسول الذي ورد ذكره في هذا المفصل في الصفحات السابقة، وعليه سميت القدس في فترة معينة باسم بيت المقدس وبيت المقدس نسبة إلى المسجد الأقصى المبارك، كما أن اسم مدينة القدس كان يسبقه أحيانا

(٦) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث، جـ ٤، بيروت ١٩٦٦م، ص ١٣٩.
أنظر كذلك: ابن حجر، فتح الباريّ بشرح صحيح البخاريّ، جـ ٦، دار المعرفة، بيروت ص ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩.
وقد تناول هذه الرواية كل من د. جمال عبد الهادي مسعود في كتابه الطريق إلى بيت المقدس ص ١٠، وكذلك د. محمد عثمان شبير، بيت المقدس وما حوله، ص ٣٧٠.

(٧) سورة البقرة: الأية: ١٢٧.

كلمة بيت وأحيانا كلمة مسجد، مثل: مسجد إيلياء، وبيت إيل[٨] والمسجد الأقصى[٩]. ووصفت تلك المدينة بالقدسيّة المباركة، فورد من بين أسماء القدس اسم الأرض المباركة، والأرض المقدسة، والقدس الشريف وغير ذلك من الأسماء ذات الطابع الدينيّ المقدس.

الرواية الثالثة حول بناء المسجد الأقصى:

كان ملكي صادق اليبوسيّ الكنعانيّ يعتقد بشكل جازم في عبادة التوحيد، وكان هو وجماعته من المعتقدين بأن الله واحد لا شريك له وهو يشمل برعايته كل الخلق. وعليه فإن ملكي صادق وجماعته التوحيديّة آمنت بدين التوحيد منذ نحو ٤٠٠٠ سنة، وقد وضعوا أسس تلك العبادة في مدينتهم مدينة السلام[١٠] أو القدس فيما بعد.

ويذكر لنا صاحبُ الأنس الجليل أن «ملكي صادق نزل بأرض بيت المقدس وقطن بكهف من جبالها يتعبد فيه واشتهر أمره حتى بلغ ملوك الأرض الذين هم بالقرب من أرض بيت المقدس بالشام وسدوم وغيرهما...».

وجاء في قاموس الكتاب المقدس أن «ملكي صادق كان محافظاً على سنة الله بين شعب وثنيّ، ولذلك كان له الأسبقيّة على إبراهيم عليه السلام وعلى الكهنة الذين تسلسلوا منه.[١١] ويعني القاموس بالكهنة أي الأنبياء الذين هم من نسل إبراهيم عليه السلام.

وهنا نلمس الصلة والعلاقة بين إبراهيم عليه السلام وملكي صادق الذي كان صديقا حميما لإبراهيم عليه السلام، وكان كاهنا لله العلي حسب ماذكرته لنا التوراة. ومن الثابت في الروايات التاريخيّة أن إبراهيم عليه السلام كان معاصراً لملكي صادق. وكان إبراهيم عليه السلام قد زار ملكي صادق في مدينة السلام التي بناها اليبوسيون بزعامة ملكي صادق، وسموها مدينة الإله سالم، وهو ما ذكرناه في موضع سابق من هذا الكتاب.

وقد اتخذ ملكي صادق أرض المسجد الأقصي أو مايعرف بأرض مسجد القدس الشريف مكانا للعبادة والتعبد. وبنى في هذا المكان معبداً كنعانيّا يبوسيّا يمارس فيه

(٨) وتعني منزلة الإله إيل.
(٩) د. سيد فرج راشد، القدس، دار المريخ للنشر، ص ٢٧.
(١٠) الدباغ، بلادنا فلسطين، في بيت المقدس (١)، بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٢٥.
(١١) عبد الملك، بطرس، وآخرون، الكتاب المقدس، جـ٢، بيروت ١٩٦٧م، ص ٩٢٢.

العبادة لله العلي هو وجماعته الذين اعتقدوا بما كان يعتقد. ويقول صاحب الأنس في هذا الصدد: «وهذه الأقوال (أي الأقوال التي تقول إن المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام) تدل على أن بناء داود وسليمان عليهما السلام له إنما كان على أساس قديم لا أنهما المؤسسان له بل هما مجددان.»[١٢] وهنا فإن صاحب الأنس لا يجزم بأن البناء القديم الذي بنى عليه سليمان عليه السلام مسجده كان معبد ملكي صادق، وإنما يؤكد ما رواه القرطبيّ بأن سليمان عليه السلام ليس هو أول من بنى المسجد الأقصى، كما أن إبراهيم عليه السلام ليس هو أول من بنى المسجد الحرام بمكة المكرمة.

وتأسيسا على ماورد ذكره فإن بناء بيت للعبادة في بقعة المسجد الأقصى المبارك كان على يد ملكي صادق الملك اليبوسيّ الكنعانيّ العربي وهذا يوضح لنا أن مبدأ التوحيد الصادق والعبادةالصادقة لله تعالى كان منبعها وأصلها عند العرب وهم الذين انطلقوا بهذا التوحيد لينشروه بين الأقوام والشعوب الأخرى غير العرب، وبهذا الأسلوب الدينيّ العمليّ لدى العرب، يكون اليبوسيون العرب هم الذين بنوا مكاناً لعبادة التوحيد في بقعة المسجد القدسيّ الشريف قبل أن يبني سليمان عليه السلام مسجده في تلك البقعة بما يقرب من ألف سنة، وهو أمر يثير الإعجاب في عقلية العرب الدينيّة وصفائها الروحيّ والوجدانيّ.

وهكذا كان في القدس قديما بقعة مطهرة ومقدسة روت عنها الروايات التاريخية القديمة والكتب السماويّة تمجيدا لها واعترافا بطهرها وقداستها. وكانت تمارس في هذه البقعة المطهرة الشعائر الدينيّة الخالصة لوجه الإله الواحد العلي، وهذه البقعة المطهرة هي المسجد الأقصى القديم، وربما هو المسجد الأقصى الأول بدون أن نجزم إذا أخذنا بعين الاعتبار ما روته لنا الروايتان السابقتان.

وفي هذه البقعة المشرفة كان يصلي إبراهيم عليه السلام عندما زار القدس في عهد ملكها ملكي صادق المؤمن بالتوحيد. ومن هنا فإن المسجد الأقصى تنسبه بعض الروايات التاريخيّة والدينيّة إلى إبراهيم عليه السلام. وهذا الأمر يسبق في وجوده وجود اليهود في القدس بمدة قد تقل عن ألف سنة.[١٣] فالقدس إسلاميّة وتنتمي إلى ا الإسلام

---

(١٢) الحنبليّ، الأنس الجليل، جـ ١، ص ٥.
وقد تعرض الدباغ لهذا الأمر في كتابه بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١)، ص ٢٦.

(١٣) الدباغ، بيت المقدس (١)، ص ٢٥.
د. راشد سيد فرج، القدس، ص ٣٤.

منـذ قديم الزمان ولا يستبعد أن يكون ملكي صادق قد أفاد من إسلام إبراهيم عليه السلام وممارسته شعائر الإسلام في بقعة المسجد الأقصى. ولايستبعد أيضا أن ملكي صادق كان قد أفاد من نمط عمران البيت العتيق الذي بناه إبراهيم أو أضاف إليه أو جدده، وفي هذا الحال يمكن أن يكون البيت الذي بناه ملكي صادق للعبادة التوحيديّة هو المسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الإسراء. ويكون بناؤه قد تم بعد بناء المسجد الحرام بمدة أربعين سنة، وهذا يتوافق زمنيا مع ماورد في الحديث الشريف الذي رواه البخاري عن أبي ذر، وهو ماذكرناه في صفحات سابقة مـن هـذا الفصل.

الرواية الرابعة حول بناء المسجد الأقصى:

تقـول الـرواية بأن سليمان عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى وهي رواية صحيحة لأنها تستند إلى حديث نبويّ شريف، فقد روى النسائيّ عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن سليمان عليه السلام لما بنى بيت المقـدس سأل الله خلالاً ثلاثاً فأعطاه اثنين وأرجو أن يكون أعطاه الثالثة. سأله ملكـا لا ينبغي لأحـد بعده، فأعطاه إياه، وسأله حكماً يواطىء حكمه، فاعطاه إياه، وسأله من أتى هذا البيت لايريد إلا الصلاة فيه أن يخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه. فقال رسول الله صلى عليه وسلم: وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة».[١٤]

وورد هذا الحديث بنص آخر مشابه في معناه للنص السابق وهو: «أن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالاً ثلاثة، حكما يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله عز وجل ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بنـاء المسجـد ألا يأتيه أحـد لاينهزه إلا الصـلاة فيه أن يخرجـه مـن خطيئته كيـوم ولـدته أمـه فأوتيه[١٥].

ومن الواضح في حديث الرسول الكريم الذي رواه أبو ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع على الأرض قال: «المسجد الحرام». قلت ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون عاما، وأينما ادركتك الصـلاة فصـل فهو مسجد». وفي رواية أخرى ثم حيثما أدركتك الصلاة فصل، فإنه

(١٤) ورد هذا الحديث في صحيحي ابن حيان وابن خزيمة.
(١٥) أخرجه النسائي بإسناد صحيح.

مسجد.[١٦] فمن الواضح أن هناك فرقاً زمنياً كبيراً بين المسجد الحرام الذي بناه إبراهيم عليه السلام وبين المسجد الأقصى الذي بناه سليمان عليه السلام[١٧] وقد يصل هذا الزمن ليس إلى مدة أربعين سنة، وإنما إلى حوالي ألف سنة. فعليه قال القرطبي إن إبراهيم عليه السلام وسليمان عليه السلام جددا بناء المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وهما ليس أول من بناهما.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: كانت عظمة غنى سليمان مذهلة، وكان عصره عصر اقتصادي، ولم تكن هناك حروب تستنزف مال الشعب، وقد أتته سفنه مرة محملة بأربعمائة وعشرين وزنة ذهب، (ووزنة الذهب قيمتها عشرة آلاف جنيه مصرية). وكانت له أساطيل تجارية في البحر الهندي والبحر المتوسط، فجلبت له الذهب والفضة والنحاس والعاج والأبنوس... وتقدر قيمة دخل سليمان عليه السلام سنوياً بما يساوي عشرة ملايين دولار.[١٨]

إن أهم عمل بنائي أقامه سليمان عليه السلام كان مسجده أو المسجد الأقصى في حدوده المقامة وقتذاك. وقد أقام سليمان عليه السلام مسجده هذا على المكان نفسه الذي كان يتعبد فيه ملكي صادق اليبوسيّ. وقد صمم ليكون مسجداً تابعاً للقصر. ولكنه أصبح فيما بعد مكانا للعبادة اليهوديّة، ويذكر فيليب حتّي أن سليمان عليه السلام قد أفاد كثيرا من أساليب البناء والفن الكنعانيّ، حتى أن الطقوس الدينيّة التي كانت تمارس في بهذا البيت كانت هي أيضا تعكس ما كان يجري في الطقوس الدينيّة الكنعانيّة.[١٩] والواقع أن قول حتيّ هذا يحتاج إلى تصويب لأن عبادة نبي الله سليمان عليه السلام هي عبادة التوحيد المنزل من الله تعالى.

ولم يكن مسجد سليمان عليه السلام مكانا للعبادة لجميع اليهود إلا في عهده فقط، وأصبح هذا المكان يتعبد فيه أقلية من اليهود في عهد خليفته ولده رحبعام حيث توجه

(١٦) ورد هذا الحديث في صحيح البخاريّ، ١١٧/٤. وكذلك في جامع الأصول لابن الأثير ٢٧٥/٩. وورد كذلك في صحيح مسلم، شرح النوويّ، المجلد رقم (٢)، حديث رقم (١) ص ١٥٣.

(١٧) ولد سليمان عليه السلام في مدينة القدس ونشأ بها وحكمها مدة أربعين سنة نحو عام ٩٦٤-٩٢٣ق.م وكان داود عليه السلام يحب سليمان حباً جماً. والمعروف أن معنى سليمان هو رجل السلام: انظر. الدباغ، القدس، ص ٣٤.

(١٨) عبد الملك بطرس، قاموس الكتاب، جـ١، ص ٤٨٢.

(١٩) حتي، فيليب، مختصر تاريخ لبنان، بيروت، ١٩٦٨م، ص ٣٩، ٤٠.

معظم اليهود في عبادتهم وصلاتهم بعد عهد رحبعام إلى معبدين أقامهما يربعام أول ملوك المملكة الإسرائيليّة، وكان الأول في بتّين وهي غير بعيدة عن القدس، والثاني في دان أو ما تسمى بتل القاضي وهي في شمال فلسطين وبعيدة عن القدس. كما أن السامريين وهم طائفة يهوديّة تعتقد بأن بيت سليمان عليه السلام كان قد بني فوق جبل جزريم وهو أحد جبال مدينة نابلس، ومازالت تلك الطائفة تقيم في هذا المكان حتى أيامنا الحاضرة...»[٢٠].

وكان سليمان عليه السلام قد بدأ ببناء السور أولا، ثم بعد ذلك أخذ يبني مسجده الذي صممه المهندسون المعماريون الفينيقيون، فهو مستوحى من الفن المعماريّ الساميّ. فهو يشبه إلى حد كبير المعبد الكنعانيّ[٢١].

وجاء في سفر الملوك الذي ألف بعد سقوط مملكة يهوذا في مدينة بابل في حقبة السبيّ البابليّ أن سليمان عليه السلام أرسل إلى حيرام (ملك صور الفينيقيّ) يقول له: «هأنذا متكلم على بناء بيت لاسم الرّب إلهي كما كلم الرّب داود أبي قائلا: إن ابنك الذي أجعله مكانك على كرسيك هو يبني البيت لاسمي والآن فأمر أن يعقوا لي أرزا من لبنان... لأنك تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين.»[٢٢]

وأورد اليعقوبيّ في تاريخه، الجزء الأول مايلي:

«ابتدأ سليمان في بناء بيت المقدس، وقال إن الله أمر أبي داود آن يبني بيتا، وأن داود عليه السلام شغل بالحروب، فأوحى الله إليه أن ابنك سليمان يبني البيت باسمي. فأرسل سليمان في عمل خشب الصنوبر وخشب السرو، ثم بنى بيت المقدس بالحجارة.. وجعل له هيكلا مذهباً، ولما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس عمل عيداً، وقرب فيه الذبائح، فأقام أربعة عشر يوماً يفعل ذلك. وقد جمع إليه بني إسرائيل، فإذا فرغ من إطعامهم، قام فقدس الله وسبحه.[٢٣] وطبيعي أن الهيكل الذي ذكره اليعقوبيّ هو ليس هيكلاً، إنما هو مسجد للعبادة بناه سليمان عليه السلام، وهو أمر ناقشناه في

---

(٢٠) رفيق التتشة، د. إسماعيل ياغي، د. عبد الفتاح أبو علية، فلسطين، تاريخاً وقضية، ط ٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٥٥

أنظر كذلك: الدباغ، بيت المقدس (١)، ص ص ٣٦-٣٧.

(٢١) د. راشد سيد فرج، القدس، ص ٥٧.

(٢٢) سفر الملوك، الصحاح ٥. وانظر: د. محمد أحمد حسن، المسجد الأقصى في الكتب المقدسة، ص ٣١.

(٢٣) واضح من هذا النص أن اليعقوبيّ ينقل عن الروايات الإسرائيلية.

موضع آخر من هذا الكتاب.

ويذكر صاحب الأنس الجليل أنه لما فرغ سليمان عليه السلام من بناء مسجد بيت المقدس، ذبح ثلاثة آلاف بقرة وسبعة آلاف شاه، ثم أتى إلى مؤخر المسجد مما يلي باب الأسباط وهو الموضع الذي يقال له كرسي سليمان وقال: «اللهم من أتاه عن ذي ذنب فاغفر له. أو ذي ضر فأكشف ضره. فلا يأتيه أحد إلا أصاب من دعوة سليمان عليه السلام. وهو الموضع المعروف بكرسي سليمان من الأماكن المعروفة بإجابة الدعاء، وهو بداخل القبة المعروفة بقبة سليمان عند باب الديوانيّة.[٢٤] ونرى أن الحنبليّ ذكر مسجد سليمان عليه السلام ولم يذكر هيكل سليمان كما فعل اليعقوبيّ في روايته السابقة.

ويذكر صاحب مقال هذا بلاغ للناس: لانقاذ المسجد الأقصى: «المراد بالمسجد الأقصى في سورة الإسراء والمعراج هو المسجد الأقصى الذي يسميه اليهود بالهيكل...»[٢٥] وهذا دلالة واضحة على أن بناء المسجد الأقصى كان على يد سليمان عليه السلام بعد أن كان أبوه داود عليه السلام قد حضّر له المواد اللازمة للبناء باستثناء مواد أخرى كان سليمان عليه السلام قد جمعها لإتمام هذا البناء.

وورد ذكر المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام في سورة الإسراء في الآيات من ٤ ـ ٨، فيما قضاه الله تعالى إلى بني إسرائيل في قوله تعالى:

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾

وقد أورد الأستاذ محمد سليم في كتابه الإسراء والمعراج ما يفيد نصاً بأن سليمان عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى. فيقول: بنى نبينا سليمان عليه السلام المسجد الأقصى الذي ذكر في القرآن في سورة الإسراء.[٢٦]

---

(٢٤) مجير الدين الحنبليّ، الأنس، جـ ١، ص ١٢٣.

(٢٥) هذا بلاغ للناس، لانقاذ المسجد الأقصى، ط ٢، ١٩٣٨م، تجد مايهم هذا الأمر في الصفحات من ص ص ٨٣-٩٣.

(٢٦) سليم، محمد، الإسراء والمعراج. المختار الإسلاميّ للطبع والنشر، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١١٠.

وقد ذكر الأب أ. س. مرمرجيّ عدة مسميات للبقعة المقدسة في بيت المقدس وهي المكان المخصص للعبادة، فذكر مسمى المسجد الأقصى أو المسجد القدسيّ الشريف، أو هيكل سليمان، أو جامع عمر بن الخطاب[٢٧]، فكلها أسماء لمكان عبادة واحد تختلف مساحته وحقبه التاريخية فقط.

وخلف سليمان بعد وفاته ابنه رحبعام الذي طلب منه اليهود في مدينة القدس أن يخفف عبء الضرائب عنهم، فرفض رحبعام هذا الطلب وقال لهم «أبي ثقل نيركم، وأنا أزيد على نيركم، أبي أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب».[٢٨]

وانقسم اليهود على أنفسهم، وثاروا على رحبعام ومن قبله على أبيه سليمان عليه السلام في أواخر أيامه. وبذلك تشتت شمل اليهود بعد عهد سليمان عليه السلام، وانقسموا إلى عدة قبائل (أسباط). وشكل الأسباط العشرة دولة يهودية منفصلة عن دولة يهود القدس، كانت في الشمال، واتخذت من شكيم عاصمة لها، وعينت تلك القبائل يربعام ملكاً عليها، وهو من أكبر معارضي رحبعام وأبيه سليمان عليه السلام، وهكذا انفصمت عرى الوحدة اليهوديّة بقيام دويلة يهوديّة ضعيفة في الشمال، وبقيت الدولة اليهوديّة الأخرى في القدس، وقد اعتراها الضعف والهوان، حتى أن يربعام منع رعاياه اليهود من زيارة القدس. وهكذا لم يقدر للقدس أن تكون عاصمة للدولة اليهودية الموحدة أكثر من سبعين سنة، وانتهى بذلك عهد الهناء والرخاء الذي تمتع به اليهود في عهد سليمان عليه السلام[٢٩] وأبيه داود عليه السلام وجانباً من عهد رحبعام بن سليمان عليه السلام. واستغل شيشاق ملك مصر انقسام الدولة اليهوديّة إلى دولة يهوذا وعاصمتها أورشاليم، ودولة إسرائيل وعاصمتها شكيم (السامرة)، فزحف على أورشاليم واحتلها سنة ٩٧٠ق.م وقفل عائدا إلى مصر بعد أن نهب خزائنها[٣٠].

(٢٧) الأب مرمرجي الدومنيكيّ، بلدانية فلسطين العربية، بيروت، ص ٣٥٣.
(٢٨) سفر الملوك الأول، الإصحاح، ٢. ١١.
(٢٩) الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١)، ص ص ٣٧-٣٨.
(٣٠) العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، ١٩٦١م، ص ١٢.

الفصل الرابع

الخليفة عمر بن الخطاب يبني مسجدا في بقعة المسجد الأقصى

- الفتح الإسلاميّ لإيلياء القدس.
- المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب في ساحة الأقصى.
- موقع مسجد عمر.
- بناء مسجد عمر بن الخطاب ومظهره.

الفصل الرابع

الخليفة عمر بن الخطاب يبني مسجدا في بقعة المسجد الأقصى

الفتح الإسلامي لإيلياء (القدس)

كانت مدينة إيلياء مدينة محصنة بحكم موقعها من جهة وأهميتها الدينيّة من جهة أخرى. ولهذا نرى سكانها النصارى الروم يحاولون الصمود في وجه الجيش العربيّ الإسلاميّ. وكعادة الفتح الإسلاميّ وقواعده، فقد أنذر القائد العربيّ المسلم أبو عبيدة عامر بن الجراح أهل إيلياء والمسؤولين فيها إما قبول الإسلام والإنضواء تحت رايته، أو دفع الجزية التي يأخذها المسلمون من أهل الذمة، أو الدخول في الحرب، فلم يستجيب أهل إيلياء لهذا الإنذار ولم يقبلوا الطلبين الأول والثاني من الإنذار، واختاروا القتال فنشب قتال شديد، واشتد حصار المسلمين للمدينة، واستمر زهاء أربعة أشهر، بعدها يئس الأهالي النصارى الروم في إيلياء من نجاح مقاومتهم، وكان عليهم منذ البداية أن يختاروا أمراً غير الحرب لو كان لديهم الاطلاع الكافي أو الفهم الجيد لمباديء الدين الإسلاميّ وتسامح المسلمين مع أهل الذمة والعناية بأحوالهم وأمورهم العامة والخاصة.

خرج الروم مستسلمين إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح بقيادة بطريرك القدس صفرونيوس وطلبوا الصلح منه فقابلهم أبو عبيدة بالترحيب وخاطبهم بالرفق واللين، لكنهم اشترطوا عليه أن لايسلموا المدينة إلا إلى شخص الخليفة عمر بن الخطاب، فوافقهم أبو عبيدة، وأمر جنده بوقف القتال، وكتب إلى الخليفة عمر يعلمه بما حدث. وجاء في رسالة أبي عبيدة الموجهة إلى عمر بن الخطاب: «فإنا أقمنا على أهل إيلياء، فظنوا أن لهم في مطاولتهم فرجاً، فلم يزدهم الله بهذا إلا ضيقاً ونقصاً وهزالاً، فلما رأوا ذلك سألوا أن يقدم عليهم أمير المؤمنين، فيكون هو الموثق لهم، والكاتب، فخشينا أن يقدم أمير المؤمنين فيغدروا ويرجعوا، فيكون مسيرك ـ أصلحك الله ـ عناء وفضلاً، فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيمانهمن. . .»[1]

(١) ارجع إلى: الواقدي، ج ١، ص ١٥١، والبلاذري، فتوح البلدان، ص ص ١٤٤-١٤٥ وغيرهما.

وكان نزول المسلمين على بيت المقدس في فصل الشتاء البارد، مما أوقع الروم النصارى في وهم بالغ حين ظنوا أن المسلمين ليس لديهم تحمل للبرد القارس، وبالتالي فهم لا يستطيعون الاستمرار في الحصار إذا هم صمدوا وراء أسوار المدينة. وقد خاب ظنهم لمارأوا أبا عبيدة عامر بن الجراح وجند المسملين قد استمروا في تطبيق الحصار وفرضه عليهم حتى الاستسلام، وفتح أبواب المدينة، وقد وافق الروم النصارى في آخر المطاف على الصلح على شرط أن يؤدوا الجزية والخراج للمسلمين، وعلى أن يتولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هذا الأمر بنفسه.

ولما وصل كتاب أبي عبيدة إلى الخليفة عمر بن الخطاب دعا الخليفة رؤساء المسلمين وقادة الأمة، وقرأ عليهم كتاب أبي عبيدة كنمط من أنماط الشورى والاستشارة وهو مبدأ ثابت في الإسلام. ولما وافق أصحاب عمر على هذا الصلح، قدم الخليفة إلى إيلياء، وقابله قادة جند المسمليمن في الجابية، وهي قرية صغيرة من قرى الجولان في حوران من بلاد الشام. وهناك جاءه وفد من الروم من أهل إيلياء يعلنون الاستسلام وطلب الصلح. وبعد أن استمع إليهم ابن الخطاب أعطاهم الأمان، ثم توجه إلى إيلياء حيث دخلها سلماً في يوم الخميس في ٢٠ ربيع أول من عام ١٥هـ/ الموافق ٢ مايو ٦٣٦م، ودخلت من ورائه الجيوش العربية الإسلامية وراياتهم تخفق فوق رؤوسهم.[٢] وقد أعطى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أهل إيلياء أماناً على أنفسهم وأمواله ودينهم في وثيقة عرفت بالعهدة العمريّة.

وهكذا نلاحظ أن الفتح الإسلاميّ للقدس كان قد سبقه فتح عربيّ امتدت جذوره التاريخيّة وتوغلت في القدم إلى العهد الكنعانيّ، وتأسيسا عليه فإن الوجود العربي في فلسطين والقدس لم ينقطع أبداً على مر حقب التاريخ القديم والحديث والمعاصر، كما أن طراز الحياة العربيّة، والثقافة العربيّة والحضارة العربيّة، وجهد الإنسان العربيّ ونتاجه لم يتحجب حتى في إبان غزوات العبرانيين والفرس والإغريق والرومان. فقد استمر الشعب العربيّ في فلسطين مقيما في دياره، عاملاً على إنمائها وتطويرها على الرغم من تعاقب الغزاة على تلك الديار، ومع أن هذه الغزوات قد أثرت إلى حد ما في حياة المجتمع العربيّ في فلسطين، سواء من ناحية العادات والتقاليد الحضاريّة، وهو ما نسميه احتكاك الحضارات وتفاعلها، إلا أن حياة هذا الشعب بكل مالها من خصائص

---

(٢) الطبريّ، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، جـ٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢م، ص ٦٠٩.

ومقومات لم تصطبغ بصبغة الفاتحين الأجانب.

وبعد الفتح الإسلاميّ للقدس ظلت هذه المدينة عربيّة إسلاميّة وقد تعاقب عليها الحكام المسلمون من الخلفاء الراشدين إلى الأمويين والعباسيين والطولونيين والإخشيديين والفاطميين والسلاجقة والمماليك والعثمانيين والحكم العربيّ الإسلاميّ المحلي من أبناء البلاد، وظلت فلسطين بما فيها القدس عربيّة إسلاميّة حتى أيامنا الحاضرة على الرغ من الغزو الصليبيِّ والغزو الصهيونيِّ

المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب في ساحة الأقصى:

من الثابت أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان قد صلى في المسجد الأقصى ركعتين في ليلة الإسراء والمعراج. وجاء في صحيح مسلم «أن الرسول صلى الله عليه وسلم ركب البراق وهو يضع حافره عند منتهى طرفه إلى بيت المقدس، فربطه بالحلقة التي يربط به الأنبياء (قيل إن هذه الحلقة هي حلقة باب مسجد بيت المقدس)، ثم دخل الرسول صلى الله عليه وسلم فصلى فيه ركعتين، ثم عرج جبريل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء». وروي عن القاضي عياض في كتابه الشفا في التعريف بحقوق المصطفى: قال: عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وصليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة».

ويعد الإسراء من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس بداية دخول الإسلام والمسلمين لتلك الديار المباركة، وهي حكمة إلهية تشير إلى عظمة هذا المكان، وتعطي مؤشراً لمستقبل الفتح الإسلاميّ في وقت كان الإسلام فيه في مطلع أمره وكانت جماعته مازالت قليلة جداً. فهي مرحلة تشجيعية للمسلمين الأوائل بأن النصر آت لا يب فيه، وهو نشر الإسلام في الأرض. وعليه فإن الإسراء والمعراج هما بداية الوجود الإسلاميّ الذي حمل لواءه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لكافة الناس في الأرض، وهو جواب أيضا للإسلام الذي شع في تلك البلاد عندما زارها وأقام فيها نبينا إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء مثل داود وسليمان وغيرهما، وكلهم مسلمون. وقد أصر نبينا داود عليه السلام وابنه سليمان عليه السلام على بناء مسجد في بيت المقدس ليكون بيتا للعبادة من جهة ولوضع تابوت العهد الذي كان يضم الكلمات العشرة التي نزلت على موسى عليه السلام من جهة ثانية، وكان هذا التابوت قبل بناء المسجد يحفظ في خيمة سميت خيمة الاجتماع، بمعنى إجتماع الناس للعبادة.[٣]

(٣) السائح، عبد الحميد، القدس: تاريخاً وحضارة ومستقبلاً، بحث قدم إلى المؤتمر الدولي =

موقـع مسجـد عمـر :

صلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج في المسجد الأقصى المبارك استنادا إلى الحديث النبوي الذي رواه أنس بن مالك «أتيت بالبراق فركبته، حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين . . . »،[٤] وهذا المسجد هو المسجد الذي بناه آدم عليه السلام وفي رواية أخرى بنتـه المـلائكـة، وجدده وزاد عليه وجمله عدد من الأنبياء منهم إبراهيم ويعقوب وداود وسليمان عليهم الصـلاة والسـلام، وقد أشرنا إلى هذا الموضوع في صفحات من هذا الكتاب. ومن هنا فإن قدسيّة هذا المسجد وأهميته تكمن في كونه مسجداً للأنبياء باركه الله تعالى.

وفي ليلة الإسراء والمعراج وجد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم عدداً من الأنبياء في بيت المقدس منهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ونفر من الأنبياء غيرهم، فأمهم الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد المبارك.[٥]

وفي موضـع هذا المسجـد بنى عمـر بن الخـطاب مسجـدا عرف بمسجد عمر بن الخطاب في بقعة المسجد الأقصى، البقعة المباركة في بيت المقدس. فجاء في الرواية أن الخليفة عمر بن الخطاب كان قد توجه في موكب من كنيسة القيامة التي رفض أن يصلي عمـر بن الخـطاب فيهـا، وكذلك رفض أن يصلي في كنيسة قسطنطين خوفا أن يقول المسلمون هنا صلى عمر بن الخطاب ويتخذون هذا الموضع مسجداً. وتوجه عمر من كنيسة قسطنطين إلى كنيسة صهيون التي قال عنها البطريرك صفرونيوس، إنها مسجد داود عليه السـلام، فأجابه الخليفة عمر بن الخطاب، أريد مكاناً أبني فيه مسجدا لا صاحب له، فتوجه الخليفة ومعه البطريرك وموكبه إلى خرائب بيت المقدس، وهناك أخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتفرس تلك الخرائب ويتفحص موضعها، وبعد مدة من البحث قال عمر بن الخطاب بصوت مرتفع : والذي نفس عمر بيده، إنه لمسجد داود الذي وصفه لنا نبينا عليه السلام في الإسراء والمعراج. وأخذ عمر رضي الله عنه ومن معه يتعـاونون على تنظيف المكان،[٦] وكان النصارى الروم قد طرحوا الأقذار والأوساخ في

= الثالث لتاريخ بلاد الشام، ٤ـ٩ جمادي الثانية/١٩ـ٢٤ نيسان ١٩٨٠م، ص ١٣.

(٤) رواه مسلم في صحيحه.

(٥) سليم، محمد، الإسراء والمعراج، القاهرة، المختار الإسلاميّ، ص ١٢٧.

(٦) العبادي، محمود، قدسنا، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٦٠. السائح، القدس، ورقة ٢٠.

هذا المكان، مكان الصخرة وماحولها غيظا في اليهود وانتقاما منهم. يقول ابن البطريق في هذا الصدد: «وكانوا (وكان) الروم لما تنصروا، وبنت هيلانة أم قسطنطين الكنائس في بيت المقدس، كان موضع الصخرة وحولها خراب، فترك، ورموا على الصخرة التراب حتى صار فوقها مزبلة عظيمة، وإنما تركوها الروم، ولم يعظمونها كما كان بني (بنو) إسرائيل يعظمونها، ولم يبنوا عليها كنيسة لقول سيدنا المسيح في إنجيله الطاهر إن: «هو ذا يترك بيتكم خراباً». وقال أيضا: «إنه لا يبقى ها هنا حجر على ألا يهدم ويخرب». [٧]

ويقول صاحب هذا بلاغ للناس: «وعند الصخرة المشرفة التي صلى إلى يمينها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج، وصلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث صلى الرسول الكريم. وكان المكان مغموراً بالأقذار[*]، فأزالها بيده الشريفة ومعه كبار القادة والرؤساء من جند المسلمين، وبنى في ذلك المكان مسجداً بجانب الصخرة المشرفة، سمي بمسجد عمر، ويضمه الآن ما يسميه المسلمون إلى اليوم «المسجد الأقصى» الذي بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. وهذه الصخرة المشرفة منها كان عروج الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي قبلة المسلمين الأولى».

ويذكر القلقشندي في نهاية الأرب: قال ابن زيد لما استقبل النبي صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس، بلغه أن اليهود تقول: والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم، قالوا جميعا: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: وددت أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها، فإني أبغضهم وأبغض موافقتهم، فقال جبريل: إنما أنا عبد ملك، ليس لي من الأمر شيء فسل ربك، فعرج جبريل: وجعل رسول الله صلى عليه وسلم يديم النظر إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة... [٨]، فنزلت الآية الكريمة: ﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**﴾[٩]

ويقول ياقوت الحموي في معجم البلدان: «إن المسجد الأقصى هو في الطرف

---

(٧) ابن البطريق، سعيد وهو من مواليد الفسطاط، واشتهر بالطب والتاريخ، وكان بطريركاً في الإسكندرية، له كتاب «نظم الجوهر» أو ما يسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، جـ ٢، عن مسجد عمر والصخرة.
أورد الدباغ هذا النص في كتابه بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١)، ص ٩٤.

(*) إرجع إلى أبي الفداء، تقويم البلدان، بيروت، ص ٢٤١.

(٨) القلقشندي، نهاية الأرب، القاهرة، ١٩٥٩م، جـ ١، ص ٣٣٠.

(٩) سورة البقرة: الآية: ١٤٤.

الشرقيّ من القدس نحو القبلة (أي باتجاه الجنوب) أساس عمل داود، وهو طويل عريض، وطوله أكثر من عرضه، وفي نحو القبلة المصلى الذي يخطب فيه الجمعة .[١٠]

والمعروف من هذا النص أن ياقوت يعني بالمسجد الأقصى، المسجد الذي بناه الخليفة الأمويّ الوليد بن عبد الملك، ولكن المهم في الأمر أن بناء الوليد للمسجد الأقصى كان في موضع مسجد داود عليه السلام، وهو أمر يتفق مع رواية عمر بن الخطاب حين تفرس موقع الخرائب في بيت المقدس وقال هنا موضع مسجد داود عليه السلام الذي وصفه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأصحابه بعد حادثة الإسراء والمعراج، وهو الموضع نفسه الذي بنى فيه عمر الخطاب المسجد الذي حمل اسمه، وهو في الواقع يعني المسجد الأقصى الذي بني وجدد وجرت عليه إضافات في حقب تاريخيّة متعاقبة، وبناء عليه فإن المسجد الذي بناه الوليد، وهو المعروف اليوم بالمسجد الأقصى، كان بناؤه في موضع مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومسجد عمر رضي الله عنه أقيم في المكان نفسه الذي فيه مسجد داود عليه السلام .

ويحدد المؤرخ الفلسطينيّ المعاصر الأستاذ عارف العارف موقع مسجد عمر بن الخطاب الذي بناه عمر عندما قدم إلى القدس واستسلمت له، بأنه في الطرف الشرقيّ الجنوبيّ من ساحة الأقصى،[١١] ويعني بالأقصى هنا البقعة الشاملة للحرم القدسيّ الشريف .

وأورد العلامة مجير الدين الحنبليّ في الأنس الجليل أن موقع المسجد الأقصى الحالي هو في الجهة الشرقية الجنوبية، وهو المكان نفسه الذي أقام عليه عمر بن الخطاب مسجده، ويؤكد كرزويل Creswell هذا الاتجاه ويأخذ به .[١٢]

وأورد المقدسيّ في أحسن التقاسيم وابن خلدون في تاريخه أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد أقام مسجدا متواضعا وصغيراً في الجزء الجنوبيّ من الحرم القدسيّ الشريف بالقرب من المكان الذي يقال إن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قد ربط البراق فيه ليلة الإسراء والمعراج .[١٣]

---

(١٠) ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، جـ ٤، دار صادر، بيروت ١٩٥٧م، ص ٢٢٣ .

(١١) العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، موضوع بناء مسجد الصخرة والمسجد الأقصى .

(١٢) Creswell, Ashort Account of Early Muslim Architecture (London, 1949), p.33.

(١٣) أنظر كذلك : الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، ص ٨٩ .

والثابت تماما أنه عندما فتح العرب المسلمون بيت المقدس لم يكن المسجد الأقصى المعروف في أيامنا، وهو المسجد الكبير الواقع في الجهة الجنوبيّة من الحرم القدسيّ موجوداً، كما أن مسجد الصخرة لم يكن موجوداً أيضا لأنهما بنيا في عهد الخليفة عبد الملك ابن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك، وكل الذي كان موجوداً وقتذاك هو السور بما فيه من ساحات واسعة والصخرة، وهذا هو المراد بالمسجد الأقصى المبارك الذي ورد في سورة الإسراء ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**﴾[١٤] .

والمسجد شرعاً يطلق على كل موضع من الأرض لقوله صلّى الله عليه وسلم : «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» .[١٥] وعرفا فإن المسجد يطلق على المكان المهيأ والمخصص للصلوات الخمس لدى المسلمين . وأما المصلى فيطلق على المكان المخصص لأداء صلاة الأعياد ونحوها .

والثابت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما كان في بيت المقدس سأل كعب الأحبار عن مكان يبني فيه المسجد . فقال كعب : خلف الصخرة ليجمع المصلى بين القبلتين . فقال عمر رضي الله عنه لكعب : خالطتك يهوديّة لكن نبنيه أمامها ، فبناه في قبلي المسجد[١٦] في الركن الشرقي الجنوبيّ من ساحة المسجد الأقصى .

ويذكر الشيخ عبد الحميد السائح أنه لما فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القدس كان أول ما اهتم به إعمار المدينة وترميم الخراب وبنى مسجداً لإقامة الصلاة فيه وبنى المسجد في المدينة لإقامة الصلوات فيه . وأقام عمر بن الخطاب المسجد في قبلي ساحة الأقصى ، في الركن الشرقيّ ، وهو المعروف حتى الآن بمسجد عمر .

وأورد ابن تيمية في شأن المسجد الأقصى ومسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يلي :

«المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام ، وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مقدمة . والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر

(١٤) سورة الإسراء : أية ١ .

(١٥) رواه الإمام أحمد في مسنده .

(١٦) تقي الدين أبي بكر بن زيد الجراعيّ الحنبليّ ، تحفة الراكع والبناجذ ، المكتب الإسلاميّ ، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

المسجد. قال عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس وكان على الصخرة زبلة عظيمة لأن النصارى كانوا يقصدون إهانتها مقابلة لليهود الذين يصلون إليها، فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإزالة النجاسة عنها، وقال لكعب الأحبار: أين ترى أن نبني مصلى المسلمين؟ فقال: خلف الصخرة، فقال: يابن اليهوديّة، خالطتك يهوديّة، بل نبنيه أمامها، فإن لنا صدور المساجد ولهذا كان أئمة الأمة إذا دخلوا المسجد فصلوا قصدوا الصلاة في المصلى الذي بناه عمر، وقد روي عن عمر ضي الله عنه أنه صلى في محراب داود.[١٧]

بناء مسجد عمر بن الخطاب ومظهره:

كم يستغرب الإنسان عندما يجد عدداً من المؤرخين المسلمين المشهورين لم يذكروا لنا تفصيلات عن المسجد الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بيت المقدس في المكان الذي بنى عليه الأنبياء والمسلمون الأوائل مسجدهم في تلك البقعة.

وعلى الرغم من ذلك فقد وصلتنا معلومات مفيدة عن بناء المسجد وسعته وشكله ومظهره والمادة البنائية والإنشائية التي استخدمت في بنائه. روى لنا شاهد عيان في القرن الأول للهجرة ما كان عليه مسجد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا الشاهد هو المطران أركولفوس "Arculfus" الذي زار القدس في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وذلك حوالي عام ٥٠هـ/ ٦٧٠م. فذكر هذا الشاهد الذي ساح في القدس والمنطقة أن المسجد مبني من ألواح الخشب ومن جذوع الأشجار. وبناؤه في حد ذاته بسيط جداً. وهو في شكله ومساحته جاء على هيئة مربع، يتسع هذا المربع لثلاثة آلاف من المصلين.[١٨]

وجامع عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتصف بالبساطة التي تغلب على مساجد المسلمين في العهد الإسلاميّ الأول، خاصة في فترة صدر الإسلام. وعلى الرغم من بساطة هذا المسجد إلا أنه يعد واسعا إذا قيس بمعايير ذلك العهد، حيث إنه يتسع لثلاثة آلاف من المصلين، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب أمر باظهار الصخرة وتنظيف مكانها الذي ظل مهجوراً وقذراً طيلة العهد الرومانيّ،[١٩] نكاية باليهود وانتقاما منهم، وظل هذا المكان مهجوراً منذ القرن الخامس الميلاديّ، وظل

(١٧) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، المجلد السابع والعشرون، مطابع الرياض، ص ص ١١-١٢.

(١٨) ارجع في ذلك إلى الموسوعة الفلسطينيّة، مجلد ٢، ص ٩٠.

(١٩) د. ظاظا، حسن، القدس، ص ٤٠.

=

بذلك ساحة مهملة مهجورة حتى جاء عمر بن الخطاب فأمر بتنظيف الصخرة وإظهارها .

وبناء عليه فإن عمر بن الخطاب كان قد أقام مسجده في موضع كان أصلا فيه مسجد تقام فيه الصلاة لله عز وجل . وقد ظل هذا المسجد قائماً ويصلي المسلمون فيه فترة طويلة من الزمن ، تكاد تكون مستمرة لولا أنه اعتراها ظروف سياسية قاهرة ، وقد وضع الخليفة عمر بن الخطاب نصب عينيه إقامة مسجده هذا ، وهو أول مسجد بناه المسلمون في بلاد الشام قاطبة ، في موضع المسجد الأقصى المتعارف على موقعه آنذاك . مستلهماً ومسترشداً بوصف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المسجد الأقصى الذي صلى فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند وصوله إلى بيت المقدس في ليلة الإسراء والمعراج ، وهي عملية ذات ظاهرة دينيّة صحيحة عندما تركز العبادة وتجسد في مسجد كان يصلي فيه المسلمون الأوائل من الأنبياء والصالحين من العباد الذين عبدوا الله وحده لا شريك له .

وما الزمن القائم بين عهدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه والخليفة الوليد ابن عبد الملك بن مروان ببعيد عهد ، بل مازالت المعاصرة قائمة لجيل من المسلمين الذين مارسوا الصلاة والعبادة في مسجد عمر بن الخطاب في بيت المقدس ، وعليه جاء تشييد المسجد الأقصى المعروف في أيامنا الحاضرة أوما يعرف بالمسجد الكبير الذي بناه الوليد بن عبد الملك في موضع من المسجد القدسيّ الشريف ، فقد جاء تشييد هذا المسجد في موضع مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد اختلف الطابع الفني في بناء المسجدين ، واختلف معه اتساع رقعة المساحة التي تظل جزء من ساحة الحرم الشاملة التي باركها الله تعالي وبارك الأرض التي من حولها . واتساع رقعة المصلى أو المسجد أمر ضروري كي يتناسب هذا مع ازدياد عدد المسلمين في بيت المقدس وخارجه .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المسجد المعروف باليوم بمسجد عمر بن الخطاب الكائن أمام كنيسة القيامة بالقدس يختلف في مكانه وشكله وطراز بنائه عن المسجد الذي أقامه عمر بن الخطاب على بقعة من أرض المسجد القدسيّ الشريف ، إذ أن مسجد عمر بن الخطاب اليوم المسمى بالمسجد العمريّ هو مسجد عاديّ وغير مميز ، حتى أن ماوردنا من معلومات عن المسجد العمريّ تظل قليلة ونادرة ، واعتقد أن مرد ذلك يعود إلى أن هذا المسجد هو من المساجد العامة العاديّة وليس له صفة خاصة تميزه أو ينفرد بها . وقد

= ـ نلحظ أن هناك فترة طويلة بين زمن إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم وعروجه من القدس والزمن الذي نظف فيه عمر بن الخطاب الصخرة وأظهرها عندما جاء إلى بيت المقدس لاستلامها من النصارى سلماً . وقد صلى رسول الله في المسجد الأقصى .

سمي بمسجد عمر بن الخطاب نسبة إلى إقامته في المكان الذي صلى فيه الخليفة عمر بن الخطاب أثناء وجوده في كنيسة القيامة وقد حان وقت الصلاة، فرفض عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يصلي في كنيسة القيامة على الرغم من إلحاح البطريرك صفروينوس عليه، خوفا من أن يتخذها المسلمون مسجداً فيها بعد، دلالة على احترام عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعهوده ومواثيقه مع الآخرين، ودلالة على مدى التسامح الدينيّ لدى المسلمين تجاه اتباع الديانات السماويّة الأخرى.

وجامع عمر بن الخطاب اليوم بناه الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي بن صلاح الدين الأيوبي أثناء سلطنته عل دمشق، وأقيم هذا الجامع في الجهة الجنوبيّة الغربيّة بالقرب من كنيسة القيامة ولا يفصل بينهما سوى شارع ليس بعريض، كما أن الأفضل هذا كان قد وقف المدرسة الأفضلية الواقعة في حارة المغاربة على جماعة المغاربة المقيمين في بيت المقدس.[٢٠] ويكون الملك بالأفضل قد شيد في القدس مسجد عمر ابن الخطاب أو ما يسمى اليوم بمسجد عمر بن الخطاب والمدرسة الأفضليّة نسبة إلى لقبه.

ورد نص في مجلة القدس بخصوص هذا المسجد جاء فيه:

«مسجد الملك الأفضل المعروف اليوم بالمسجد العمري، وهو من مساجد القدس القديمة، عمره الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبيّ سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٢م. ورممه السلطان عبد المجيد العثماني. وكان هذا المسجد موجوداً في هذا المكان قبل العصر الأيوبيّ، والأرجح أنه بني في الفترة الإسلاميّة الأولى في المكان الذي صلى فيه عمر بن الخطاب أمام كنيسة القيامة وفي باحتها. وهناك من يعتقد أنه من المساجد العمريّة القديمة، أي أن بانيه كان الخليفة عمر بن الخطاب.[٢١]

ويقول الشيخ عبد الحميد السائح: «وكانت القدس من نصيب ابن صلاح الدين علي الملقب بالملك الأفضل أبي الحسن نور الدين، وهو الذي أنشأ المدرسة الأفضليّة بحارة المغاربة، وأنشأ أيضا المسجد العمريّ في الجهة الجنوبيّة لكنيسة القيامة على المكان الذي يعتقد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلى فيه حينما امتنع عن الصلاة في كنيسة القيامة.[٢٢]

---

(٢٠) الفرحان، يحيى، قصة مدينة القدس، سلسلة المدن الفلسطينيّة، المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، ص ٦٩.

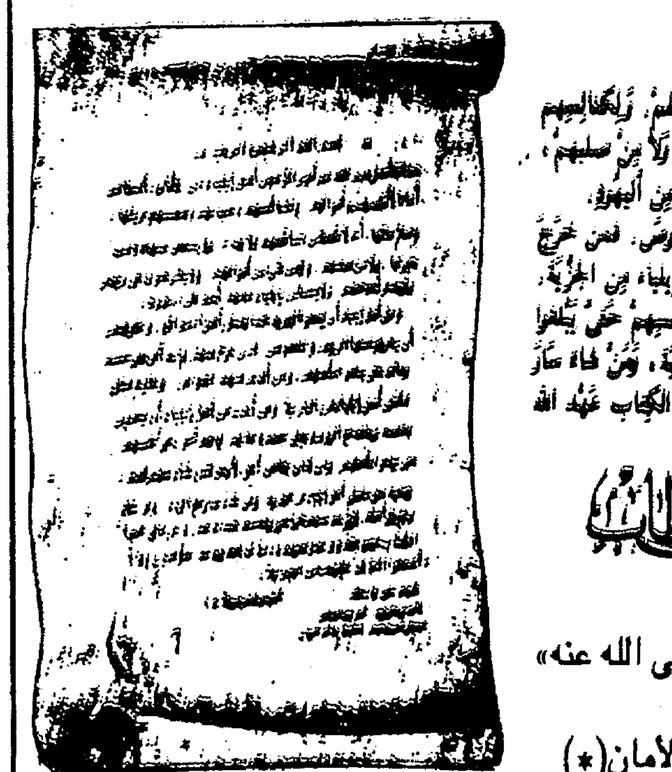
(٢١) مجلة القدس الشريف، مقال للدكتور كامل العسليّ، زيارة إلى التراث في بيت المقدس، الحلقة الرابعة، ص ٧١ ومابعدها.

(٢٢) السائح ، مقال عن بيت المقدس، ص ١٠٨

الفصل الخامس

الخليفة عبد الملك بن مروان يبني مسجد الصخرة

- الصخـــــرة.
- بناء مسجد الصخرة.
- الإعداد والتحضير والتنفيذ.



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك — كتب وحضر سنة 15 هـ

خالد بن الوليد — عمرو بن العاص — عبد الرحمن بن عوف — معاوية بن أبي سفيان

عمر بن الخطاب

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب «رضى الله عنه»

يعطي أهل المدينة المقدسة وثيقة الأمان(*)

الفصل الخامس
الخليفة عبد الملك بن مروان يبني مسجد الصخرة

الصخـــرة:

يعتقد البعض أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم صعد إلى السماء من عند صخرة بيت المقدس[1] التي هي ضمن أرض المسجد القدسيّ المبارك، أو بمعنى آخر هي موقع من مواقع المسجد الأقصى الذي باركه الله وطهره وقدسه.

ويأتي موقعها في وسط ساحة المسجد القدسيّ في القسم الجنوبيّ الشرقيّ من مدينة بيت المقدس.[2] ومن مصدر قدسية تلك الصخرة أن الملائكة يصعدون منها إلى السماء، وهي المكان الذي صعد منه النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العلى في ليلة الإسراء والمعراج، وهي المكان الذي ينادى منه الناس يوم القيامة.[3] ويقول عدد من المفسرين[4] إن إسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي يا أيها الناس: هلموا إلى الحساب إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء وهذه هي النفخة الأخيرة. وقد بنوا تفسيرهم هذا على تفسير الآية الكريمة: ﴿**واستمع يوم يناد المناد من مكانٍ قريبٍ**﴾[5].

وهذه الصخرة هي التي ورد ذكرها في حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هيريرة رضي الله عنه عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صليت ليلة أسري بي إلى بيت المقـدس عن يمين الصخرة». والصخرة هذه

---

(١) الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١)، ص ١١٩.

(٢) الموسوعة الفلسطينيّة، المجلد الثالث، ص ٢٣.

(٣) د. شبير، محمد عثمان، بيت المقدس وماحوله، ص ٣٩.

(٤) ابن الجوزيّ، زاد المسير في علم التفسير، جـ ٨، بيروت ١٩٦٤م، ص ٢٤.
ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار المعرفة، جـ ٤، بيروت، ص ٢٣٠.
القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربيّ، جـ ١٧، بيروت ١٩٦٥م، ص ٢٧، شبير، بيت المقدس، ص ٣٩؛ والأنس الجليل، جـ ١، ص ١٢٧.

(٥) سورة ق، أية: ٤١.

هي قبلة المسلمين الأولى، وهي قبلة اليهود أيضا، ومنها عرج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وإلى سدرة المنتهى.[٦] وقال عمر بن الخطاب إن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قال: «وصليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة».[٧]

يقول علي بن الحسين الهرويّ وهو سائح فارسيّ متصوف عن الصخرة «في القدس قبة الصخرة، وهو موضع به عرج بالنبي، والصخرة التي عرج عليها، وقدمه عليها، وهذه الصخرة رأيتها في زمن الإفرنج، شمالي هذه القبة، ودايرها درابزين من الحديد. . . وتحتها مغارة الأرواح، ذكروا أن أرواح المؤمنين يجمعها الله بها.[٨]

ويقول ابن عبد ربه: «فإذا دخلت الصخرة فصل في أركانها وصل على البلاطة التي تسمى الصخرة فإنها على باب من أبواب الجنة».[٩]

ويقول مجير الدين الحنبليّ عن الصخرة: «يستحب لمن أراد الدخول إلى الصخرة الشريفة أن يجعلها عن يمينه حتى يكون بخلاف الطواف حول البيت الحرام، ويقدم النية ويعقد التوبة بالأخلاص لله تعالى. . . إن أحب المسلم أن ينزل تحت الصخرة المشرفة في المغارة فليفعل، فإذا نزل يكون بأدب وخشوع ويصلي ما بدا له ويدعو بدعاء سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء مسجده.[١٠]

وروى الإمام أحمد بن حنبل في سنده عن ميمونة بنت سعد مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «يانبي الله أفتنا في بيت المقدس؟. قال: «أرض المحشر والمنشر».

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الصخرة: «أما الصخرة فلم يصل عندها عمر رضي الله عنه، ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشيدين عليها قبة، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان.[١١]

ويقول أيضا: «وأما أهل العلم والصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون

---

(٦) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم، تصحيح وتعليق محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، ١٣٩٠هـ، ص ٤٢٥.

(٧) رواه القاضي عياض في كتابه الشفا في التعريف بحقوق المصطفى.

(٨) الهرويّ، الإشارات في معرفة الزيارات، أورد ذلك الدباغ في كتابه بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١).

(٩) ابن عبد ربه، العقد الفريد، مجلد ٦، دار الكتاب العربيّ، بيروت. (بدون).

(١٠) الحنبليّ، الإنس الجليل، جـ ١، ص ١٢٩

(١١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المجلد السابع والعشرون، ص ص ١٢-١٣.

الصخـرة فإنها قبلة منسـوخة . . . والصخرة إنما يعظمها اليهود وبعض النصارى . . .
ويذكر بعض الجهال أن في الصخرة أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأثر عمامته وغير ذلك ، فكله كذب ، وأكذب منه من يظن أنه موضع قدم الرب . . »(١٢)

بناء مسجد الصخـــرة :

على الـرغم من أن أكثـر المؤرخين والكتاب قالوا بأن موقع مسجد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في موضع المسجد الأقصى (الكبير) اليوم ، إلا أن روايات بعض المؤرخـين تفيد بأن موقـع مسجـد عمـر بن الخطاب كان في موضـع مسجد قبة الصخرة اليوم ، أو أنه كان يضم هذا المسجد في مساحته العامة ، علماً بأن أرض المسجد الأقصى الشاملة والكاملة كلها أرض مسجد وكلها أرض باركها الله تعالى ، بخاصة وأن كلاً من المسجـد الأقصى (الكبـير) ومسجـد قبـة الصخرة يقعان داخل سور المسجد القدسيّ ولا يوجد سور لأي منهما وهما جزء من المسجد القدسي .

ومن الروايات التي تفيد بأن موقع مسجد عمر بن الخطاب كان في موقع مسجد قبة الصخـرة اليوم ، أو بمعنى آخر أن مسجد قبة الصخرة اليوم كان موقعه جزء من موقع مسجـد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تأتي رواية سعيد بن البطريق وهو من مواليد الفسطاط ، وكان بطريكا في الإسكندرية ، وقد عنى بالتاريخ والطب ، ونظم كتابا سماه : نظم الجـوهر أو ما يعرف باسم «التأريخ المجموع على التحقيق والتصديق» . فقد أورد ابن البطريق في كتابه هذا في جزئه الثاني مايلي :

«ثم أن عمر بن الخطاب قال لصفرونيوس : وقد وجب لي عليك حق وذمام فأعطني موضعـا أبني فيه مسجـداً . فقال له البطريـك : أنا أعطي أمير المؤمنين موضعا يبني فيه مسجدا عجز ملوك الروم عن بنائه ، وهي الصخرة التي كلم الله يعقوب عليها . وسماها يعقـوب «بـاب السماء» وسماها بنو إسرائيل «قدس القدس» ، وهي في وسط الأرض . «وكـانت هيكـلا لبني إسرائيل» ، وكـان بنـو إسرائيل يعظمونها حيث إذا صلوا تكون وجوهـهم إليهـا ، علـى أن تكتب لـي سجـلا أن لايبنى فـي بيت المقدس غير هـذا المسجد وحـده .(*)

(١٢) ابن تيمية ، الفتاوى ، جـ ٢٧ ، ص ١٣ .

(*) يبدو لي أنه من المستبعد تصديق رواية ابن البطريق في شأن قول صفرونيوس لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : «على أن تكتب لي سجلاً أن لا يبنى في بيت المقدس غير هذا المسجد وحده» .
فابن البـطريق نصرانيّ شغـل وظيفة بطريرك في الإسكندريّة أولا ، ثم إنه لم يعتر على نص =

ويتابع ابن البطريق كلامه قائلا: «أخذ صفرونيوس البطرك بيد عمر، فأوقفه على المزبلة، فأخذ عمر بطرف نوبه فملأه ترابا، ورمى به في وادي جهنم (الوادي الذي يطل عليه المسجد الأقصى). فلما نظر المسلمون أن عمر بن الخطاب قد حمل التراب في حجره، لم يتأخر أحد من هؤلاء حتى حمل التراب في حجره، وفي الثياب والأتراس، وفي الزنابيل والأحانين، حتى نفوا الموقع ونظفوه، واستبانت الصخرة. فقال البطرك: قوم (قم) نبني المسجد ونصير الصخرة في القبلة، فقال عمر: لا بل نبني المسجد ونصير الصخرة في آخر المسجد. فبنى عمر المسجد وصير الصخرة في آخره».

والواضح من هذه الرواية أن المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب يضم موضع المسجد الذي أقامه عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي على الصخرة والذي يعرف اليوم بمسجد الصخرة وأحيانا بمسجد قبة الصخرة. وبما أن مسجد عمر بن الخطاب كان واسعاً وبسيطاً وغير مكلف. فمن المحتمل أن يكون موقع مسجد الصخرة اليوم كان يدخل ضمن مساحة مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بالإضافة إلى مساحة المسجد الأقصى (الكبير) القائم في أيامنا الحاضرة.

وتؤيد رواية البكريِّ في كتابه معجم ما استعجم، الجزء الثاني منه هذا الاتجاه. يقول البكري: «الصخرة هي بيت المقدس نفسه... إن عمر بن الخطاب لما ولي زار أهل الشام فنزل الجابية... فافتتح القدس صلحاً، ومعه كعب الأحبار. فقال عمر يا أبا اسحق أتعرف موضع الصخرة؟ قال أبو اسحق: أذرع من الحائط الذي يلي وادي جهنم كذا ذراعا، ثم احفر فإنك تجدها، وهي يومئذ مزبلة، فحفروا فظهر لهم. فقال عمر لكعب الأحبار: أين ترى أن يجعل المسجد؟ أو قال: القبلة. فقال كعب خلف الصخرة، فتجمع القبلتين، قبلة موسى وقبلة محمد. فقال عمر: ضاهيت اليهود يا أبا اسحق خير المساجد مقدمها، فبناها في مقدمة المسجد...».

= مسجل من ابن الخطاب في شأن هذا الأمر. وكل الذي كتبه وسجله ابن الخطاب لصفرونيوس ولنصارى القدس ورد في الوثيقة التاريخيّة المعروفة في التاريخ باسم العهد العمريّة. والعهدة المدونة تخلو تماما من هذا النص أو نص يشبهه، كما أن معلوماتها ومحتوياتها وبنودها تخلو تماما من أي معنى يشير إلى هذا الأمر لا من قريب ولا من بعيد، لا ظاهرا ولا باطنا. كما أن المسلمين لم يتقيدوا أبدا في هذا النص أو مثله لأن عدد المساجد المبنية في بيت المقدس وصل الى أربعة وثلاثين مسجداً، بالإضافة إلى المسجدين الكبيرين: الأقصى ومسجد الصخرة، منها سبعة وعشرون مسجداً في المدينة القديمة داخل أسوار القدس، وسبعة أخرى خارج الأسوار، ولمعرفة المزيد من التفصيلات راجع: الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس، (٢) ص ٢٣٦ وغيرها

ويؤيد هذا الاتجاه ما يقوله روجيه غارودي: «وكان الخليفة عمر بن الخطاب بعد دخوله القدس قد بنى مسجدا متواضعا من الخشب عام ٦٣٧م على سطح مقفر من الأرض تعلوه بقايا الآثار. . . وفي هذا الموضع شيد الخليفة الأموي عبد الملك مسجد الصخرة المجاورة لكنيسة الصخرة المعروفة بكنيسة القيامة، والذي يشبهها أشد الشبه. إن مسجد الصخرة رمز للوحدة القائمة بين الديانات السماويّة الثلاث واستمراريتها.[١٣]

ويؤيد هذا الرأي الأستاذ الدباغ فيقول: «قبة الصخرة من أهم وأبدع آثار الأمويين، كما أنها أقدم أثر إسلامي في تاريخ العمارة الإسلامية وتعتبر هذه القبة عند معظم مؤرخي الفنون أعظم العمارات الإسلامية في الجمال والفخامة وإبداع الزخرفة، كما تمتاز عنها ببساطة التصميم وتنسيق الأجزاء، تم بناؤها سنة ٧٠هـ (٧٢هـ) ٦٩١م على مكان الجامع البسيط الذي أقامه عمر بن الخطاب.[١٤]

ويدعم هذا الاتجاه أيضا أن الإفرنج ظلوا يسمون مسجد الصخرة بمسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مهما كان في هذه التسمية من صواب أو خطأ فيذكر فيليب حتيّ أن تسمية الإفرنج قبة الصخرة بمسجد عمر تسمية خاطئة.[١٥] فنلحظ أن الإفرنج ظلوا يسمون مسجد الصخرة بمسجد عمر بن الخطاب، وقد تناقلوا ذلك بغض النظر عن مدى الصحة في تلك التسمية.

وروى شهاب الدين المقدسيّ في كتابه أحسن التقاسيم أن موقع مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو في مكان الصخرة. ومن هنا نلحظ أن عدداً من الكتاب والمؤرخين غير المحدثين يرون أن مسجد قبة الصخرة بني في مكان مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أو على الأقل فإن مسجد عمر في كليته وشموله كان يضم مسجد قبة الصخرة إلى جانب المسجد الأقصى اليوم.

الإعداد والتحضير والتفيذ:

حضر الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان إلى مدينة القدس وفكر أن يبني قبة كبيرة على الصخرة، لتقي المسلمين الحر والبرد، وتكون غطاء لمسجد يصلي فيه الناس. وقبل

---

(١٣) غارودي، روجيه، فلسطين أرض الرسالات السماويّة، ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم، دمشق، دار طلاس ١٩٨٨م، ص ١٢٥.

(١٤) الدباغ، بيت المقدس (١)، ص ١٩٩.

(١٥) حتيّ، فيليب، تاريخ العرب، بيروت ١٩٧٤م، ص ٢٨٣.

أن يبدأ بالتنفيذ كتب رسائل إلى عماله في الأمصار يخبرهم بذلك، كعملية عرض واستشارة، فجاءت الردود بالتأييد، «إن شاء الله يتم له مانوى من بناء بيته وصخرته ومسجده، ويجري ذلك على يده ويجعله تذكرة له ولمن مضى من سلفه». (١٦)

واهتم الخليفة عبد الملك بن مروان بالأمر كثيرا وباشر في التنفيذ ورصد لهذا البناء خراج مصر لسبع سنوات كاملة، ويقع مسجد الصخرة وقبته في وسط الساحة من أرض المسجد القدسيّ، الموقع الذي فيه الصخرة، وأهم مظهر فني في هذا البناء يتمثل في قبة المسجد التي صممت على شكل مثمن. وتدل عناصرها الفنيّة على مدى تأثر العمارة الإسلاميّة وقتذاك بالعمارة السائدة في بلاد الشام خاصة في عهدي دولة بيزنطة والدولة الرومانيّة الأم، وقد شرع في بناء هذا المسجد عام ٦٨هـ/ ٦٨٨م، وانتهى منه في عام ٧٢هـ/ ٦٩١م، وترتكز القبة المثمنة على رقبة مستديرة مستندة على رواق مستدير، ومحمولة على أربعة أركان من الرخام الأبيض المشجر، وإثني عشر عموداً موزعة، ويتخلل القبة المثمنة ست عشرة نافذة. (١٧)

والواقع أن بناء مسجد الصخرة وقبته الجميلة يشهدان بكل صدق وإكبار على ما تحلى به المعماريون السوريون من فن وذوق معماريّ لا يجارى وقتذاك. فالأركان والأعمدة قد بنيت بشكل محروف، حتى أن الداخل إلى المسجد من أي جهة تظهر أمامه جميع أطراف المكان دون أن يقاطع بصره شيء من الأبنية فيرى القسم القريب والبعيد، مما أكسب البناء روعة وجمالا وجلالا، واتساعا أكثر مما هو عليه في الحقيقة، ولاشك أن راصفة الفسيفساء لم يكونوا أقل مهارة وخبرة من البنائين. فهناك مهارة فائقة ظاهرة في الزخرفة. . . »(١٨)

وتعد قبة الصخرة من أهم وأروع آثار الأمويين، وهي أيضا أقدم أثر إسلاميّ في

---

(١٦) الحنبليّ، الأنس الجليل، جـ ١، ص ٢٧٢

(١٧) لمزيد من التفصيلات ارجع إلى: الموسوعة الفلسطينية، مجلد ٣ ص ص ٢٣-٢٤. وكذلك الدكتور صفوان الدل، بناء وزخارف قبة الصخرة في القدس، المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام. ود. عبد الفتاح أبو عليه ود. عبد الحليم عويس، بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ، دار المريخ للنشر، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ص ٤٠-٤٣. ود. محمد عبد الستار عثمان، نظرية جديدة لتفسير كيفية تخطيط قبة الصخرة، مجلة العصور، العدد يوليو ١٩٨٨م، المجلد الثالث، الجزء الثاني، وكذلك عدد يوليو ١٩٩١م، المجلد السادس، الجزء الثاني.

(١٨) الموسوعة الفلسطينيّة، المجلد الثالث، ص ٢٤.

تاريخ العمارة الإسلاميّة. وعهد بإدارة هذا العمل العمرانيّ في المسجد المقدسيّ لرجاء بن حيوة الكنديّ ويزيد بن سلام القدسيّ[١٩] ويعلق الأستاذ مصطفى الدباغ على ما وصل إليه الفن المعماريّ في بناء مسجد الصخرة وقبته بقوله: «ويبدو أن هدف عبد الملك من بناء هذا المسجد الفخم يعود إلى أن تتضاءل ضخامة وفخامة جارته كنيسة القيامة وغيرها من كنائس المسيحيين في بلاد الشام.[٢٠]

وروى اليعقوبيّ في تاريخه[*] أن قصد عبد الملك بن مروان من بناء قبة الصخرة هو صرف الناس عن حج بيت الله الحرام إلى حج المسجد الأقصى بحجة الثورة القائمة في الحجاز تحت قيادة عبد الله بن الزبير المعادي لعبد الملك بن مروان. ولم يرو هذه الرواية إلا اليعقوبي من المؤرخين المسلمين الأوائل.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى هذا الموضوع في مجموع الفتاوى فيقول: «... ولكن لما تولى ابنه عبد الملك الشام، ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير، فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة وكساها في الشتاء والصيف ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس، وينشغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير».[٢١]

والواقع أن القارىء لهاتين الروايتين يجد اعتدالا شديدا في رواية ابن تيمية الذي قال: «إن عبد الملك بن مروان أراد أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة ليرغب الناس في زيارة ببت المقدس، وينشغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير».

أما رواية اليعقوبي الذي انفرد بها فتذكر أن عبد الملك بن مروان أراد أن يصرف الناس عن حج بيت الله الحرام إلى حج المسجد الأقصى بسبب الثورة القائمة في الحجاز بقيادة عبد الله بن الزبير. وعليه نرفض رواية اليعقوبي هذه وذلك للأسباب التالية:

١ - لأن اليعقوبي يكره بني أمية، وهو صاحب نزعة شيعية علويّة مغايرة تماما للنزعة الأمويّة، فهو عباسيّ النزعة إلى حد كبير.

(١٩) الدباغ، بيت المقدس (١)، ص ١٢٠، لمعرفة المزيد عن أراء علماء الفن تجاه قبة الصخرة، ارجع إلى: العارف، عارف، تاريخ قبة الصخرة، ص ص ٧٣-٧٥.

(٢٠) الدباغ، بيت المقدس (١)، ص ١٢١.

(*) اليعقوبيّ، تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، دار صادر، بيروت، ص ٢٦١.

(٢١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المجلد ٢٧، ص ص ١٢-١٣.

٢ ـ إن المعروف عن عبد الملك بن مروان أنه من خيرة العلماء التابعين والفقهاء، حتى قيل لعبد الله بن عمر بن الخطاب: «إنكم معشر أشياخ قريش توشكون أن تنقرضوا، فمن نسأل بعدكم؟ فقال ابن عمر: إن لمروان ابناً فقيهاً فاسألوه. فهل يقوم مثل هذا الرجل بتغيير موقع أحد أركان الإسلام، وهو الحج إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة، وهو يعلم أن الحج هو الوقوف على عرفة؟.

٣ ـ إن بناء مسجد كبير فوقه قبة كبيرة عالية يحتاج إلى جهد عمرانيّ مميز، ويحتاج معه إلى وقت طويل، إذ استغرق بناء هذا المسجد بقبته مدة طويلة من الزمن امتدت من سنة ٦٨ـ٧٢هـ/ ٦٨٨ـ٦٩١م، فمن يضمن استمرار الفتنة طيلة هذه المدة أو غيرها، فعلم ذلك عند الله عز وجل وخارج عن دائرة معرفة الإنسان. وبالفعل فقد قضى الحجاج على ثورة ابن الزبير في الحجاز عام ٧٣هـ/ ٦٩٢م.[٢٢]

٤ ـ كم يستغرب القارىء وتصيبه الدهشة عندما يقرأ رواية اليعقوبي التي تقول بأن عبد الملك بن مروان كان قد منع أهل الشام من الحج، وذلك لأن ابن الزبير كان يأخذهم، إذا حجوا بالبيعة، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة، فضج الناس وقالوا تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا. فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس. وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام. وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها إلى السماء تقوم مقام الكعبة. فهل كان المسلمون وقتذاك في صدر الإسلام من السذاجة بمكان كي يقبلوا بهذا العرض البديل؟ وهل يعقل أن يصدر هذا الكلام عن عبد الملك ابن مروان الذي اعتنى بأمر المسلمين ومساجدهم وجوامعهم؟ وهل يعقل أن يقبل علماء بلاد الشام بمثل هذه الحجج الساذجة؟. ولعل من المفيد أن يكون بناء تلك القبة الرائعة ليضاهي بها عبد الملك كنائس النصارى في القدس وليظهر عز الإسلام وشموخه[*]، ولتكون بيوت الله لأداء الصلاة فيها.

أما عن بناء القبة فوق الصخرة تظلها وتظل مسجدها فهذا أمر تعود عليه فن البناء الإسلاميّ في المساجد والجوامع الكبيرة والصغيرة. ونظرة على المساجد والجوامع التي

(٢٢) حتيّ، تاريخ العرب، ص ٢٦٨.

(*) لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع يرجع إلى: د. محمد عبد الستار عثمان، دلالات سياسية دعائية للآثار الإسلاميّة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، مجلة العصور، عدد يناير ١٩٨٩م. المجلد الرابع الجزء الأول.

مازالت ماثلة والتي بنيت في حقب تاريخية مختلفة من حقب التاريخ الإسلاميّ الشامل لهي خير دليل على ماقطعه الفن الإسلاميّ من مرحلة عمرانيّة متطورة يتباهي بها جميع المسلمين في الدنيا.

كما إن إقامة مسجد الصخرة في مكانه هذا هو جزء من الموقع الكامل للمسجد القدسيّ الذي يعد مسجدا واسعا للمسلمين، وإن كل الأرض الداخلة في سوره هي أرض المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. كما أن عدداً من الروايات التاريخية كما أسلفنا تبين أن مسجد عمر بن الخطاب كان يشمل موقع مسجد الصخرة الحالي. فمسجد الصخرة قائم عليه مسحد كما هو الحال بالنسبة للمسجد الأقصى اليوم فهو قائم على مسجد أيضاً. ومن هنا تأتي الأهمية الدينيّة للمسجد القدسيّ الشريف بمسجدية الأقصى والصخرة وباقي أرضه المباركة.

وخلاصة القول فإن المسجد القدسيّ بأبنيته الرائعة وجماله الفنيّ من حيث نشأته العمرانيّة يظل دلالة ثابتة على مدى عناية المسلمين ببيوت الله كبيرها وصغيرها، وهي ظاهرة توازي ظاهرة تمسك أولئك بدينهم الإسلامي الحنيف على مر تاريخهم الإسلاميّ الطويل. وهذا الأمر شهد لهم فيه القاضي والداني. قال الأستاذ الكابتن كرزويل "Creswell" أستاذ فن العمارة الإسلامية بجامعة القاهرة سابقا: «لقبةالصخرة أهمية ممتازة في تاريخ فن العمارة الإسلاميّة. فقد بهرت ببنائها ورونقها وفخامتها وسحرها وتناسقها ودقة نسبها كل من حاول دراستها من العلماء والباحثين». [٢٣] وقال البروفسور ت. هايتر لويس. "T. Hayter Lewis" «إن مسجد الصخرة بلاشك من أجمل الأبنية فوق البسيطة، لا بل إنه أجمل الآثار التي خلدها التاريخ». [٢٤] وقال ابن بطوطة عن قبة مسجد الصخرة: وهي من أعجب المباني وأثمنها وأغربها شكلا، قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نشز في وسط المسجد يصعد إليها في رخام، ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروض بالرخام أيضا محكم الصنعة وكذلك داخلها. وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الواصف، وأكثر ذلك مغشي بالذهب فهي تتلألأ نوراً وتلمع لمعان البرق، يار بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها. وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي

---

(٢٣) العارف، عارف، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى، طبعة القدس، ١٩٥٥م، ص ص ٧٤-٧٥.

(٢٤) العارف، تاريخ قبة الصخرة، ص ٧٥.

جاء ذكرها في الآثار، فإن النبي صلى الله عليه وسلم عرج منها إلى السماء، وهي صخرة صماء إرتفاعها نحو قامة، وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير ارتفاعها نحو قامة أيضا، ينزل إليها على درج، وهنالك شكل محراب، وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما العمل يغلقان عليها، أحدهما وهو الذي يلي الصخرة من حديد بديع الصنعة، والثاني من خشب، وفي القبة ورقة كبيرة من حديد معلقة هنالك والناس يزعمون أنها ورقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه». [٢٥]

وقد وصف لنا ابن الفقيه في كتابه «مختصر كتاب البلدان» القبة فقال: «والقبة بناها عبد الملك بن مروان على إثني عشر ركناً وثلاثين عموداً. وهي قبة عليها صفائح الرصاص وصفائح النحاس مذهبة جدرها من الداخل وملبسة من الخارج بالرخام الأبيض».

ووصف ابن عبد ربه مسجد الصخرة في كتابه «العقد الفريد» فقال: «والعمد التي داخل الصخرة ثلاثون عموداً، والعمد التي خارج الصخرة ثمانية عشر عموداً، وفيه الصخرة الملبسة صفائح الرصاص عليها ثلاثة آلاف صفحة وثلاثمائة واثنتان وتسعون صفيحة، ومن فوق ذلك صفائح النحاس مطلية بالذهب يكون عليها عشرة آلاف صفيحة، ومائتا وعشر صفائح، وجميع ما يسرج في الصخرة من القناديل أربعمائة قنديل وأربعة وستون قنديلا بمعاليق من النحاس وسلاسل النحاس. . . »

ووصف الاصطخري في كتابه «المسالك والممالك» قبة الصخرة فقال «وعلى الصخرة قبة عالية مستديرة الرأس، قد غشيت بالرصاص الغليظ السمك، وارتفاع هذه الصخرة من الأرض إلى صدرالقائم، وطولها وعرضها متقارب، وعليها حصار حائط ملوح، ويكون نصف قامة، ومساحة الحجر بضعة عشر ذراعاً في مثلها.

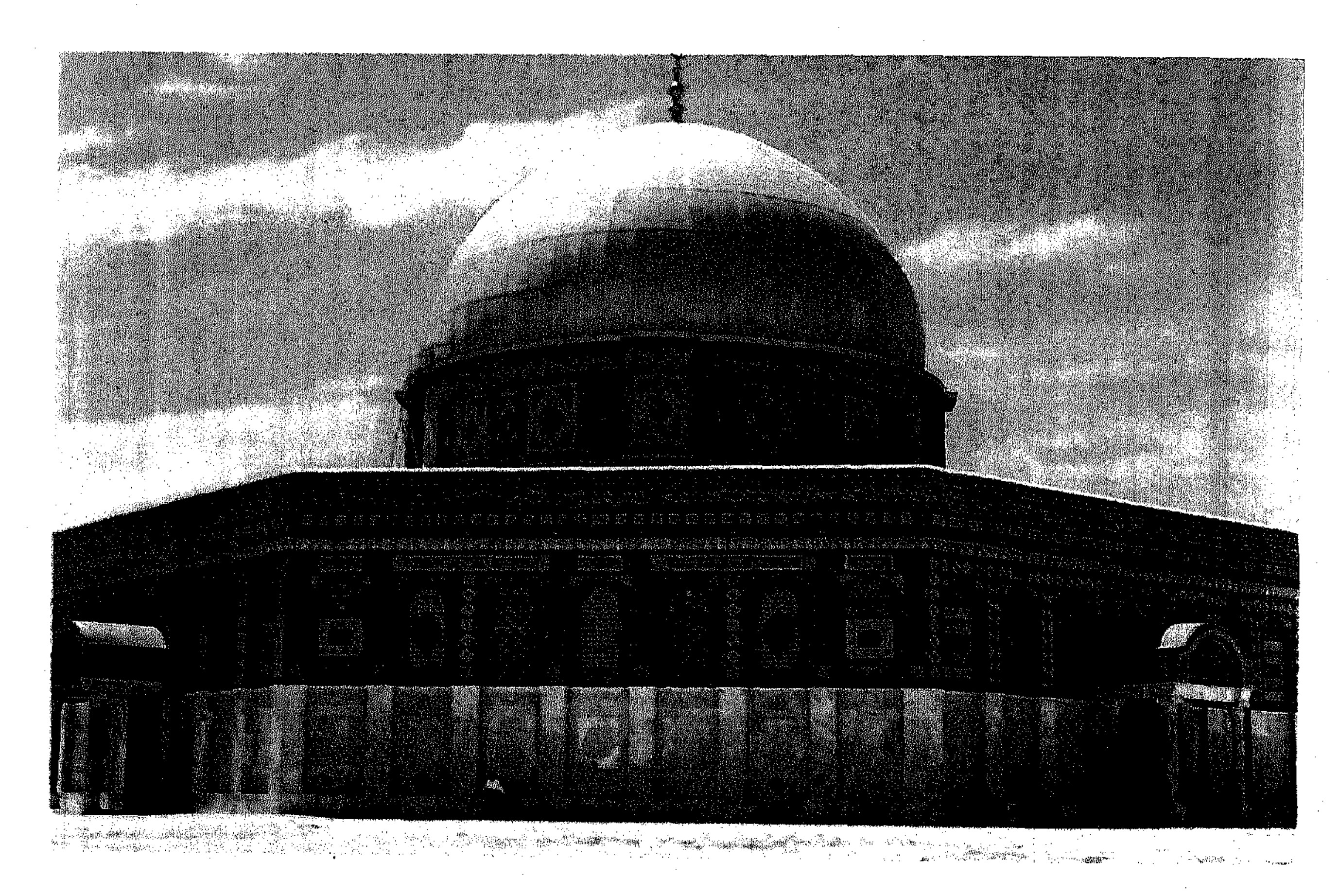
قال المقدسي الذي يتباهي ببلده في مؤلفه «أحسن التقاسيم»: «وفي الوسط قبة الصخرة على بيت مثمن: بأربعة أبواب كل باب يقابل مرقاة: باب القبلة، باب إسرافيل، باب الصور، باب النساء يفتح إلى الغرب جميعها مذهبة. . ، والقبة ثلاثة ساقات: الأولى من ألواح مزوقة، والثانية من أعمدة الحديد، قد شبكت لئلا تميلها الرياح، ثم الثالثة من خشب عليها الصفائح. وفي وسطها طريق إلى عند السفود، يصعدها الصناع لتفقدها ورمها. فإذا بزغت عليها الشمس أشرقت القبة، وتلألأت المنطقة، ورأيت شيئا عجيباً. وعلى الجملة لم أر في الإسلام ولا سمعت أن في الشرق مثل هذه القبة».

---

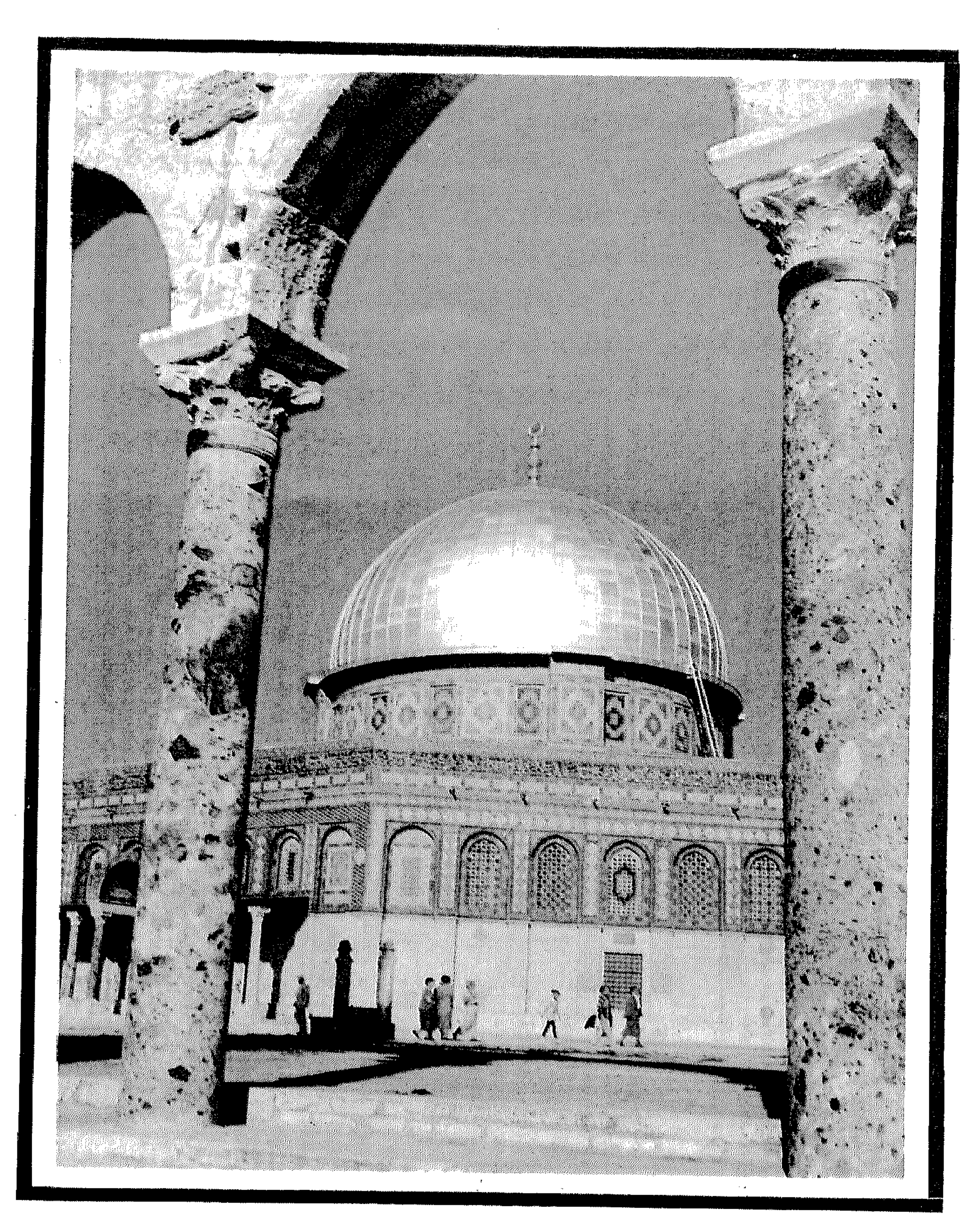
(٢٥) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دار التراث، بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٥٨.

وقال ناصر خسرو في رحلته «سفر نامة»: بني المسجد بيث تكون الدكة في وسط الساحة، وقبة الصخرة في وسط الدكة والصخرة وسط القبة، وقبة الصخرة بيت مثمن منظم، كل ضلع من أضلاعه الثمانية ثلاث وثلاثون ذراعاً وله أبواب أربعة على الجهات الأربع الأصلية. . . ومحيط الصخرة مائة ذراع، وهي غير منتظمة الشكل، لا هي مدورة ولا هي مربعة، ولكنها حجر غير منتظم كحجارة الجبل. . . ».

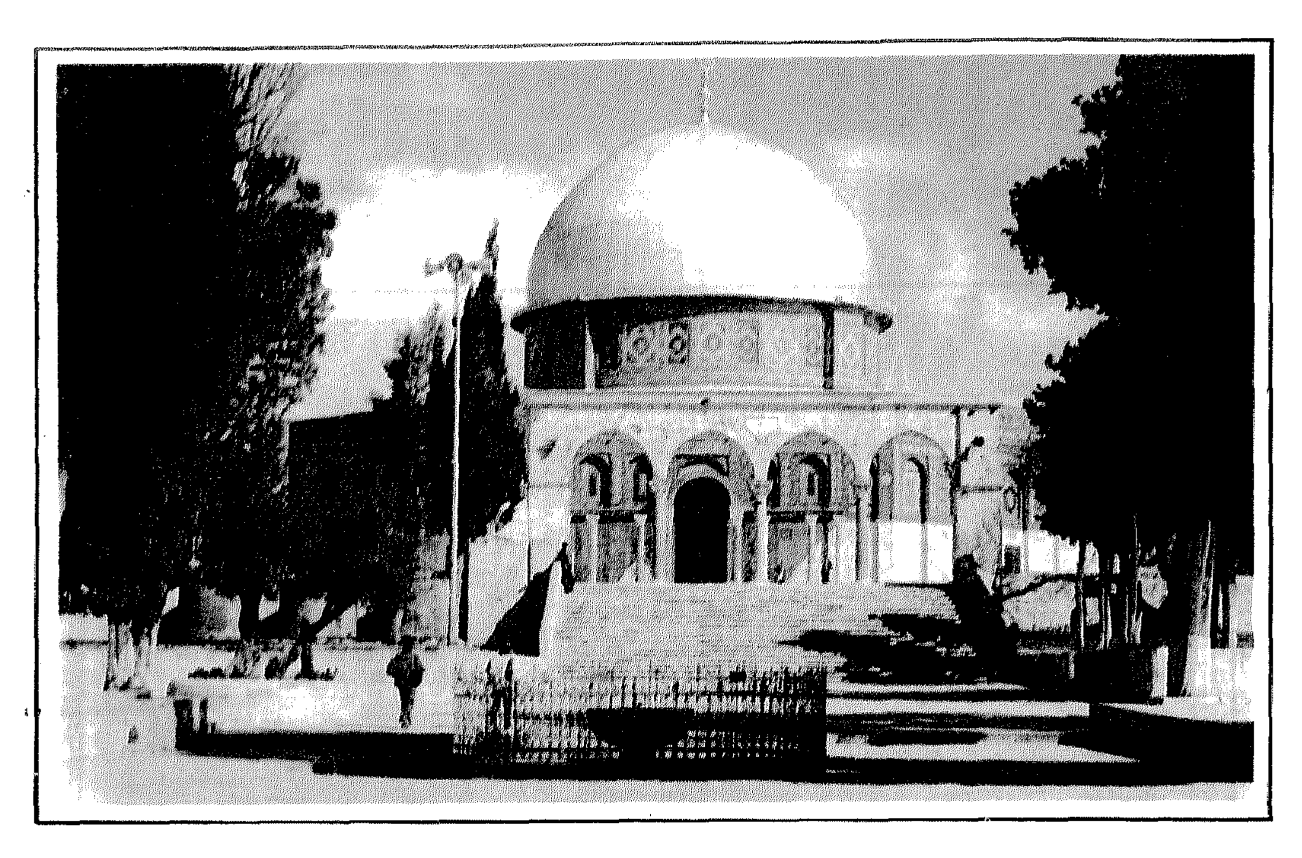
وقال الإدريسي في كتابه «نزهة المشتاق»: «في وسط الجامع قبة عظيمة تعرف بقبة الصخرة المسماة بالواقعة، وهو حجر مربع كالدرقة في وسط القبة. . . . ولهذه القبة أربعة أبواب. والباب الغربي منه يقابله مذبح كان بنو إسرائيل يقربون عليه القرابين، وبالقرب من الباب الشرقي من أبواب هذه القبة، المسماة قدس القدس، وهي لطيفة القدر، والقبلي منها يقابله المسقف الذي كان مصلى للمسلمين.

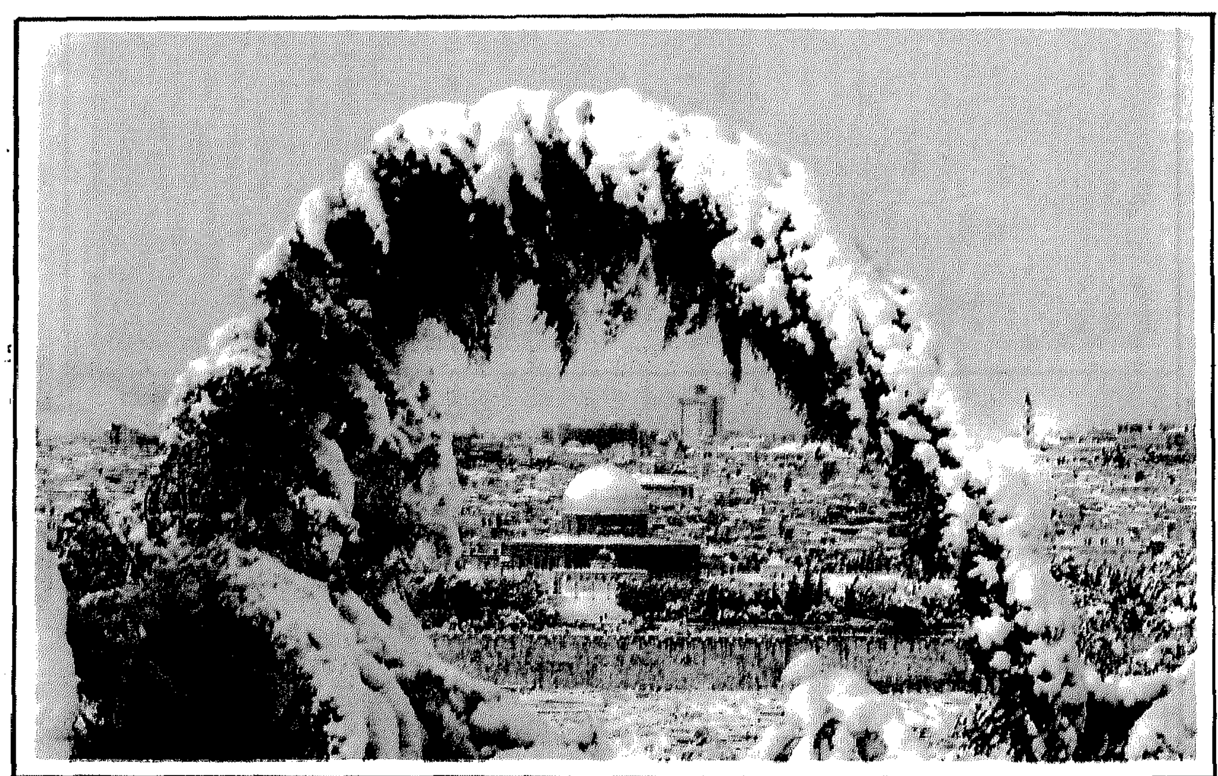


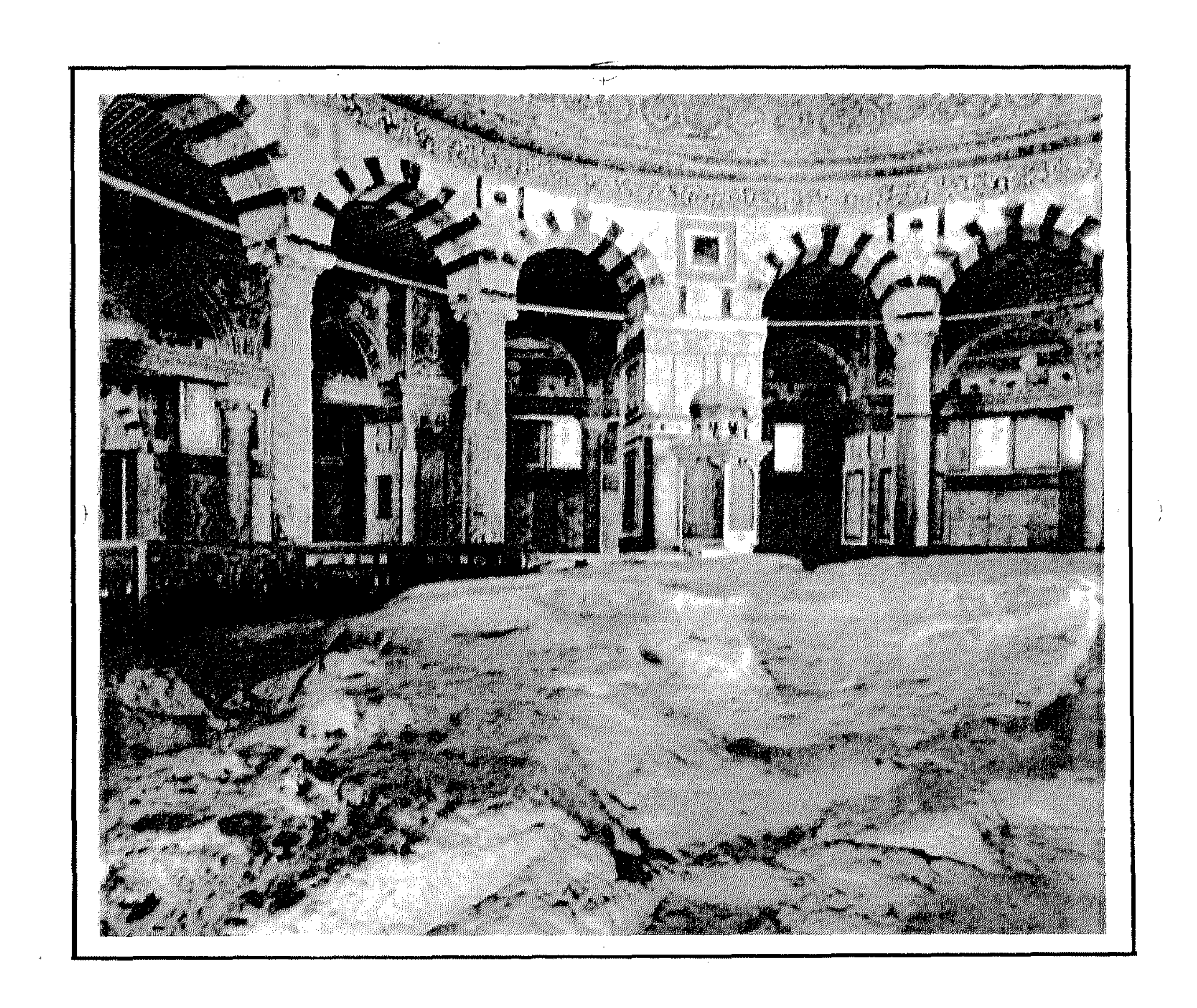
القدس: الصخرة المقدسة



قبة الصخرة







قبة الصخرة من الداخل

الفصل السادس

بناء المسجد الأقصى في العهد الأمــوي

- مقدمـــة
- بناء المسجد الأقصى ومساحته
- اوصاف المسجد الآقصى
- آراء حول من بنى المسجد الأقصى

الفصل السادس
بناء المسجد الأقصى في العهد الأموي

مقدمـــة:

يعـرف المسجـد الأقصى الـذي بنـاه الأمويون بالمسجد الكبير في المسجد القدسيّ الشريف، وهـو بالفعل أكبر وأوسع مما هو عليه مسجد الصخرة، وبالتالي فإن مساحة هذا المسجـد هي جزء من المساحة العامة لأرض المسجد القدسيّ. وهو يجاور مسجد الصخـرة. ويذكـر عدد من المؤرخـين والكتاب غير المحدثين أن هذا المسجد أقيم في المكان نفسه الذي أقيم عليه مسجد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أو أن مساحة المسجد الكبير هذا هي جزء من مساحة مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد ناقشنا هذين الأمرين في الفصول السابقة من هذا الكتاب.

بناء المسجد الأقصى ومساحته:

يبلغ طول المسجد الأقصى (الكبير) في حدود الثمانين متراً. ويبلغ عرضه في حدود خمسة وخمسين متراً ويقوم المسجد على ثلاثة وخمسين عموداً من الرخام بينها تسع وأربعون سارية مربعة الشكل مبنية من الحجارة، ويبلغ ارتفاع العمود الواحد خمسة أمتار ويبلغ طول إرتفـاع السـارية الواحدة خمسة أمتار أيضاً. وتأتي فوق الأعمدة وتلك السواري أقواس حجرية إتساع كل واحد منها تسعة أمتار، وترتبط الأعمدة بروابط نحاسية.[1]

ويقع المسجد الأقصى على بعد نحو خمسمائة متر إلى الجنوب من مسجد الصخرة. وقد شرع الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان في إقامته عام ٧٤هـ/ ٦٩٣م بعد أن أتم بناء مسجد الصخرة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن المسجد الأقصى قد أتم بناءه الخليفة الأمويّ الوليد بن عبد الملك بن مروان.

(١) العابديّ، محمود، الآثار الإسلاميّة في فلسطين والأردن، من موضوع «المسجد الأقصى».
انظر كذلك د. عبد الفتاح حسن أبو عليه و د. عبد الحليم عويس، بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ، دار المريخ للنشر بالرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ص ٤٣-٤٤.

وجاء في معجم البلدان بأن المسجد الأقصى طويل عريض وطوله أكثر من عرضه، وهو في غاية الحسن والإحكام، مبنيّ على أعمدة من الرخام، ملون بالفسيفساء التي ليس في الدنيا أحسن منها.[٢] وتذكر المصادر التاريخيّة أن للمسجد سبعة أبواب يتوسطها باب هو أعلاها جميعاً، وعندما يدخل المرء من أحد الأبواب يجد بهواً أوسط يعلو على الأبهاء الجانبيّة الأخرى. وللمسجد الأقصى قبة يبلغ ارتفاعها سبعة عشر مترا من سطح الأرض. وغطت تلك القبة بالفسيفساء وبرسوم ذات أشكال نباتيّة مختلفة.[٣]

وجاء في الأنس الجليل أن أبواب المسجد الأقصى كانت ملبسة بصفائح الذهب والفضة، إلا أن أبا جعفر المنصور، الخليفة العباسيّ أمر برفع هذه الصفائح وصرفها دنانير أنفقها على إصلاح المسجد وقبة الصخرة بعد تصدعها من الزالزال الذي أصابها عام ١٣٠هـ/ ٧٤٧م، وكان أهل بيت المقدس هم الذين طلبوا من أبي جعفر المنصور ترميم ما أصاب المسجد القدسيّ من خراب ودمار بسبب تلك الزلزلة.[٤]

وتجدر الإشارة هنا أن المآذن والمحاريب التي أقامها الأمويون في المسجد القدسيّ كانت من أقدم ماعرفته بلاد الشام في جوامعها، فالأمويون هم أول من استحدث المئذنة.[٥]

أوصاف المسجد الأقصى:

وصف الأصطخري مسجد بيت المقدس بقوله «وبها مسجد ليس في الإسلام مسجد أكبر منه، تسرج فيه في الليلة خمسة آلاف قنديل وله سبعون خادماً.[٦] ويدل هذا دلالة قاطعة على ما يتحلي به المسجد الأقصى من مكانة مرموقة لدى المسلمين بوصفه أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. **﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها. فول وجهك شطر المسجد الحرام. وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾**[٧]

---

(٢) يقاوت الحموي، معجم البلدان، جـ ٥، دار صادر، بيروت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م، ص١٩٨.

(٣) العابدي، الآثار الإسلاميّة،
أنظر كذلك: التتشة وياغي وأبو علية، تاريخ مدينة القدس، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمّان ١٩٨٤م، ص ص ٤٩-٥٠.

(٤) الحبليّ، الأنس، ص ١٨١.

(٥) راجع ذلك في العابدي، نحن والآثار، عمّان ١٩٧٣م، ص ٩٦ ومابعدها. كذلك: الآثار الإسمية، ص ص ١٣٣-١٣٤.

(٦) الاصطخري، المسالك والممالك، القاهرة ١٩٦١م، ص ٤٣.

(٧) سورة البقرة: آية ١٤٤.

وروى البخاريّ عن النبيّ محمد صلى الله علبه وسلم، قال:

«لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام ومسجد الأقصى»... وجاء هذا الحديث بنص آخر هو: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي».

وجاء في الموسوعة الفلسطينيّة عن أهمية المسجد الأقصى ومكانته مايلي: «للمسجد الأقصى مكانة رفيعة في الإسلام بوصفه أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسجد الإسراء والمعراج. وكان له أثر عظيم على مدى التاريخ في الحياة الدينيّة والاجتماعية والثقافية والسياسية في فلسطين. وقد حفل عبر القرون بالنشاط التدريسيّ، فكان من أكبر مراكز التعليم الدينيّ في الإسلام، ومركز الاحتفالات الدينية الكبرى ومقر الحياة السياسية، تعقد فيه الاجتماعات، وتتلى فيه المراسيم السلطانية وبراءات تعيين كبار الموظفين.[٨]

ونلحظ أن اسم المسجد الأقصى أطلق في فترات زمنيّة على المسجد الكبير الذي بناه عبد الملك بن مروان وأتمه ابنه الوليد بن عبد الملك، ومازال هذا الاسم متداولا حتى أيامنا الحاضرة، وبهذا يكون المسجد الأقصى قد شمل اسمه كل منطقة المسجد القدسيّ، بينما هو في الواقع يشكل جزءا متواضعا من هذا البقعة الديبية المباركة. لأن اسم المسجد الأقصى الشامل يعني كل المنطقة التي أحاط بها السور، مما يوجد في ساحة المسجد القدسي. فالمسجد الأقصى مفهومه الصحيح والشامل يقصد به: المسجد الأقصى في أيامنا الحاضرة والمعروف بالمسجد الكبير الذي تقام فيه صلاة الجمعة، وماتزال، والصخرة ومسجدها، وجامع عمر بن الخطاب الذي يقع بظاهر المسجد الأقصى من جهة الغرب في صحن المسجد، وكانت تقام فيه صلاة الجماعة المالكيّة[٩] وفي هذا دلالة قاطعة على أن المسجد الأقصى اليوم يقع في مكان مسجد عمر بن الخطاب أو على جزء منه، وجامع المغاربة ويقع في الجانب الغربيّ من المسجد الأقصى ويعتقد أن الفاطميين هم الذين بنوه.[١٠] وجامع النساء الواقع بجوار الزاوية الختنيّة،[١١] ودار الخطابة التي تقع خلف منبر المسجد الأقصى،[١٢] والزاوية الختنية التي

(٨) الموسوعة الفلسطينية، المجلد ط ٤، ص ٢٠٤.

(٩) الأنس الجليل، جـ ٢، ص ١٣.

(١٠) الأب مرمرجي الدومكي، بلدانيّة فلسطين العربيّة، عالم الكتب، بيروت (بدون) ص ٧٣.

(١١) الأنس الجليل، جـ ٢، ص ١٣.

(١٢) الأنس الجليل، جـ ٢، ص ٢٤.

تقع بحارة المشارقة في شرقي القدس، والزاوية البسطاميّة وتقع شرقي قبة الصخرة على بعد عدة أمتار من بابها المعروف بباب داود،[١٣] وقبة السلسلة وتقع غربي مسجد الصخرة باتجاه الشمال وقيل إنها بنيت لتكون ذكرى لعروج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى السماء،[١٤] وقبة المعراج وهي تقع نجاه باب السلسلة أنشئت بأمر من الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٩هـ،[١٥] وقبة موسى عليه السلام والقباب الأخرى،[١٦] والمآذن والأروقة والمنابر والمصاطب والأبواب والآبار وغرف الإقامة والسكن وغير ذلك مما هو موجود في داخل سور المسجد القدسيّ.[١٧]

وذكر ياقوت الحمويّ المسجد الأقصى في مؤلفه معجم البلدان فقال: «إن المسجد الأقصى هو في الطرف الشرقيّ من القدس نحوالقبلة، أساسه عمل داود، وهو طويل عريض، وطوله أكثر من عرضه، وفي نحو القبلة المصلى الذي يخطب فيه الجمعة».[١٨]

وقال فيليب حتيّ عن هذا المسجد: «لقد شيد عبد الملك مسجداً آخر بالقرب من القبة في القسم الجنوبيّ من الحرم في مكان لعله كان موقع كنيسة قديمة، ولقد أطلق الأهلون على هذا اسم المسجد الأقصى، ولكن قد يطلق هذا الاسم بمعنى أعم على جميع الأبنية المقدسة في هذه البقعة وتعرف هذه الأبنيّة أيضا بالحرم الشريف».[١٩]

وقال عنه صفي الدين الذي اختصر معجم البلدان لياقوت الحمويّ، في مصنفه «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، المجلد الثالث منه «المسجد الأقصى هو مسجد كبير متسع الأقطار، في وسط مدينة كبيرة، يسمى بيت المقدس، وهو في طرف المدينة القبليّ في شرقيها، قد بني على سمح الجبل.

---

(١٣) الأنس الجليل، جـ ٢، ص ١٨.
(١٤) الأنس الجليل، جـ ٢، ص ١٩.
(١٥) الأنس الجليل، حـ ٢، ص ٢١.
(١٦) الأنس الجليل، جـ ٢، ص ص ٢١-٢٢.
إن هذه القباب هي أماكن للصلاة فهي مصليات صغيرة.
(١٧) جمع هذه الأماكن الدكتور عبد الجليل عبد المهدي في مقال له بعنوان: العلوم الدينيّة واللسان في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأمويّ والمملوكيّ، قدم إلى المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنيّة. وقد استقى تلك المعلومات من: الأنس الجليل، وبلدانيّة فلسطين العربيّة، وسفر نامة، والمفصل في تاريخ القدس، وخطط الشام وغيرها.
(١٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص ١٩٩.
(١٩) حتيّ، تاريخ العرب، ص ٢٨٣. أظهرت الحفريات أنه لا أساس من الصحة أن المسجد الأقصى بني في مكان كنيسة قديمة، حتى أن حتّي استخدم كلمة «لعله» فهو غير متأكد من ذلك.

وقال عنه المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم: «وأما المسجد الأقصى فهو على فرنة البلد الشرقي نحو القبلة أساسه من عمل داود، طول الحجر عشرة أذرع وأقل، منقوشة، موجهة، مؤلفة صلبة.. وكان أحسن من جامع دمشق...».

ووصفه مجير الدين الحنبليّ في عصره في أواخر سنة ٩٠٠هـ بقوله:

«وصفته في هذا العصر من الصفات العجيبة لحسن بنائه واتقانه فالجامع الذي هو في صدره عند القبلة الذي تقام فيه الجمعة وهو المتعارف عند الناس أنه المسجد الأقصى يشتمل على بناء عظيم به قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة وتحت القبة المنبر والمحراب. وهذا الجامع ممتد من جهة القبلة إلى الشمال. وهو سبعة أكوار متجاورة مرتفعة على العمد الرخام والسواريّ. فعدة مافيه من العمد خمسة وأربعون عمودا منها ثلاثة وثلاثون من الرخام. ومنها اثنى عشر مبينة بالأحجار وهي التي تحت الجملون. وعمود ثالث عشر مبنيّ عند الباب الشرقي تجاه محراب زكريا. وعدة مافيه من السواريّ المبنية بالأحجار أربعون سارية. وسقفه في غاية العلو والارتفاع. فالسقف مما يلي القبة من جهتي المشرق والمغرب مسقف بالخشب ومما يلي القبة من جهة الشمال ثلاثة أكوار مسقفة بالخشب... والمحراب الكبير الذي هو في صدره إلى جانب المنبر من جهة الشرق يقال إنهّ محراب داود عليه السلام ويقال إن محراب داود إنما هو الذي بظاهر الجامع المبنيّ في السور القبليّ من جهة الشرق بالقرب من مهد عيسى عليه السلام وهو موقع مشهور. وقد تقدم أن محراب داود في الحصن الذي بظاهر البلد المعروف بالقلعة فإن هناك كان مسكنه ومعبده فيه، ويحتمل أن يكون محرابه الذي كان يصلي فيه في الحصن في مكان بعيد عنه، ومكان المحراب الكبير الذي في داخل المسجد كان موضع مصلاه إذا دخل المسجد».

ويقول مجير الدين عن ذرع الجامع الأقصى: «وذرع هذا الجامع في الطول قبلة من المحراب الكبير إلى عتبة الباب الكبير المقابل له مائة ذراع محوراً بذراع العمل.[*]

وجاء الكتيِّب الذي أصدرته الهيئة العربيّة العليا لفلسطين تحت عنوان «الجريمة اليهوديّة النكراء؛ إحراق المسجد الأقصى»: «يقع المسجد الأقصى في القسم الجنوبيّ من ساحة المسجد الشريف، فالزاوية الشماليّة الغربيّة تبعد عن سور باب المغاربة نحواً من سبعين متراً وتوازي واجهته الشماليّة سور المسجد من الجنوب والخط المستقيم المسحوب على واجهته هذه ينحصر بين سوريّ المسجد الشرقيّ والغربيّ بطول يقرب من مائتين وخمسة وثمانين متراً.

(*) ذراع العمل يساوي في حدود $2\frac{1}{4}$ قدماً.

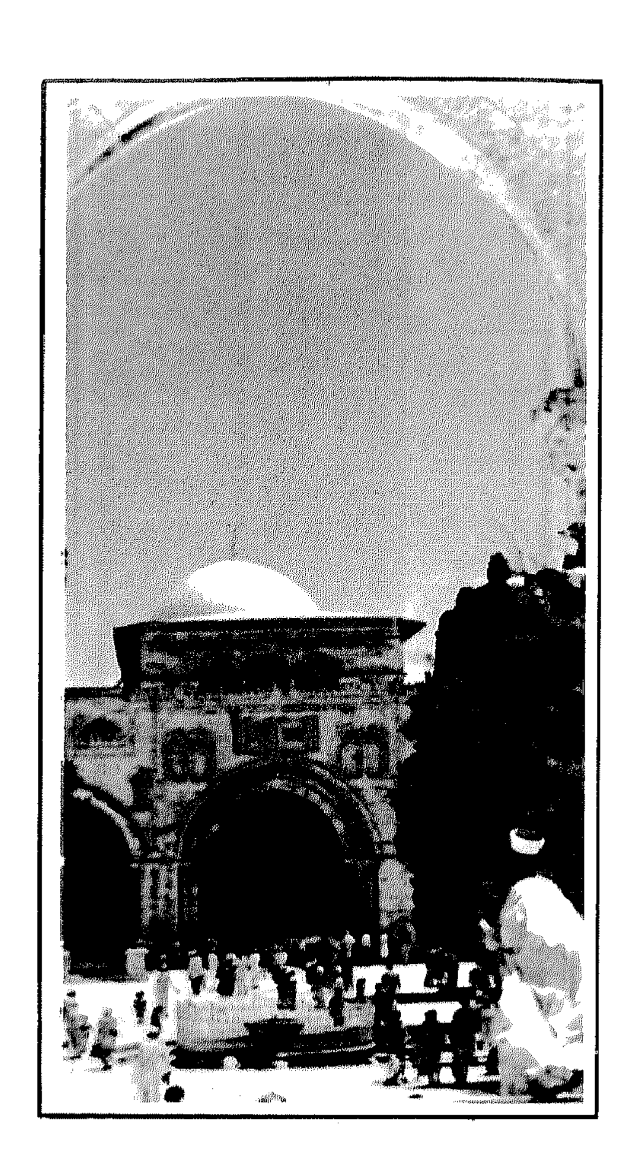
آراء حول من بنى المسجد الأقصى:

لابد من الملاحظة هنا أن معظم المؤرخين المسلمين ينسبون بناء المسجد الأقصى إلى الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان مثل: المقدسيّ ومجير الدين الحنبليّ والسيوطيّ وغيرهم، إذ أن بعض المؤرخين ينسبون بناءه إلى الوليد بن عبد الملك مثل: ابن البطريق وابن الأثير وابن الطقطقي وغيرهم. ويستدل من قال بأن الوليد هو الذي بنى المسجد الأقصى على ورقة بردي تعرف باسم «بردية أفروديتو» وهي رسالة رسمية مرسلة من قبل قرة بن شريك عامل مصر في عهد الوليد بن عبد الملك من سنة ٩٠-٩٦هـ/ ٧٠٩-٧١٤م إلى أحد حكام الصعيد تتضمن ذكر نفقات العمال الذين كانوا يتولون بناء مسجد بيت المقدس. ومن هذه الورقة البردية يستخلص القاري أن العمل في بناء المسجد الأقصى كان عام ٩٠هـ/ ٧٠٩م، ومعنى هذا أن الذي بنى المسجد الأقصى هو الوليد بن عبد الملك وليس والده.[٢٠]

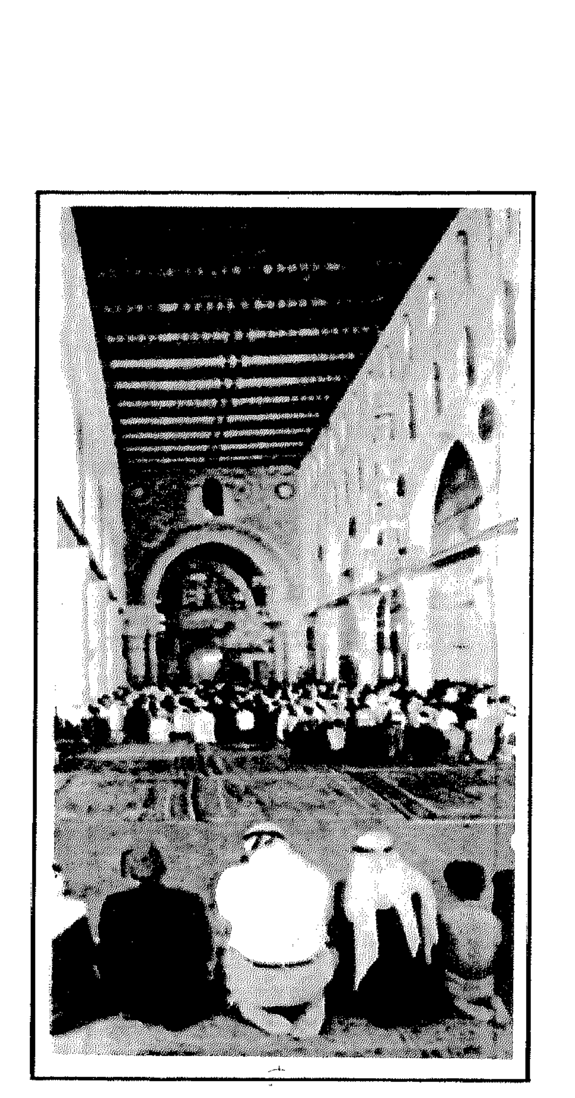
ويمكن أن يدعم هذا الرأي بأن عبد الملك بن مروان كان قد صرف خراج مصر لسبع سنوات متتالية في سبيل إتمام بناء مسجد الصخرة وقبته الرائعة، فكان لابد من التوقف فترة من الزمن حتى يباشر في إنجاز مشروع المسجد الأقصى الذي لا يقل اتساعا ومعماراً عن مسجد الصخرة لأن اسم المسجد الأقصى هو الاسم السائد دينياً، والاسم المعروف والمتداول لدى المسلمين في شتى بقاعهم. بالإضافة إلى أن الوليد بن عبد الملك كان قد شيد عدداً من المساجد المشهورة التي مازال بناؤها يحمل اسمه. وفي الوقت نفسه لا يمكن استبعاد عبد الملك من هذا المشروع العظيم لأنه لا توجد وثائق دامغة تبعده عن هذا الأمر، بخاصة وأن عبد الملك وابنه الوليد ساهما فعلياً في إعادة بناء مدينة القدس الشريف وتجميلها بالمساجد والقصور الفخمة بعد أن كانت تلك المدينة قد تعرضت أثناء الغزو الخارجي لها للخراب والدمار الذي استمر حتى الفتح الإسلاميّ للمدينة.

---

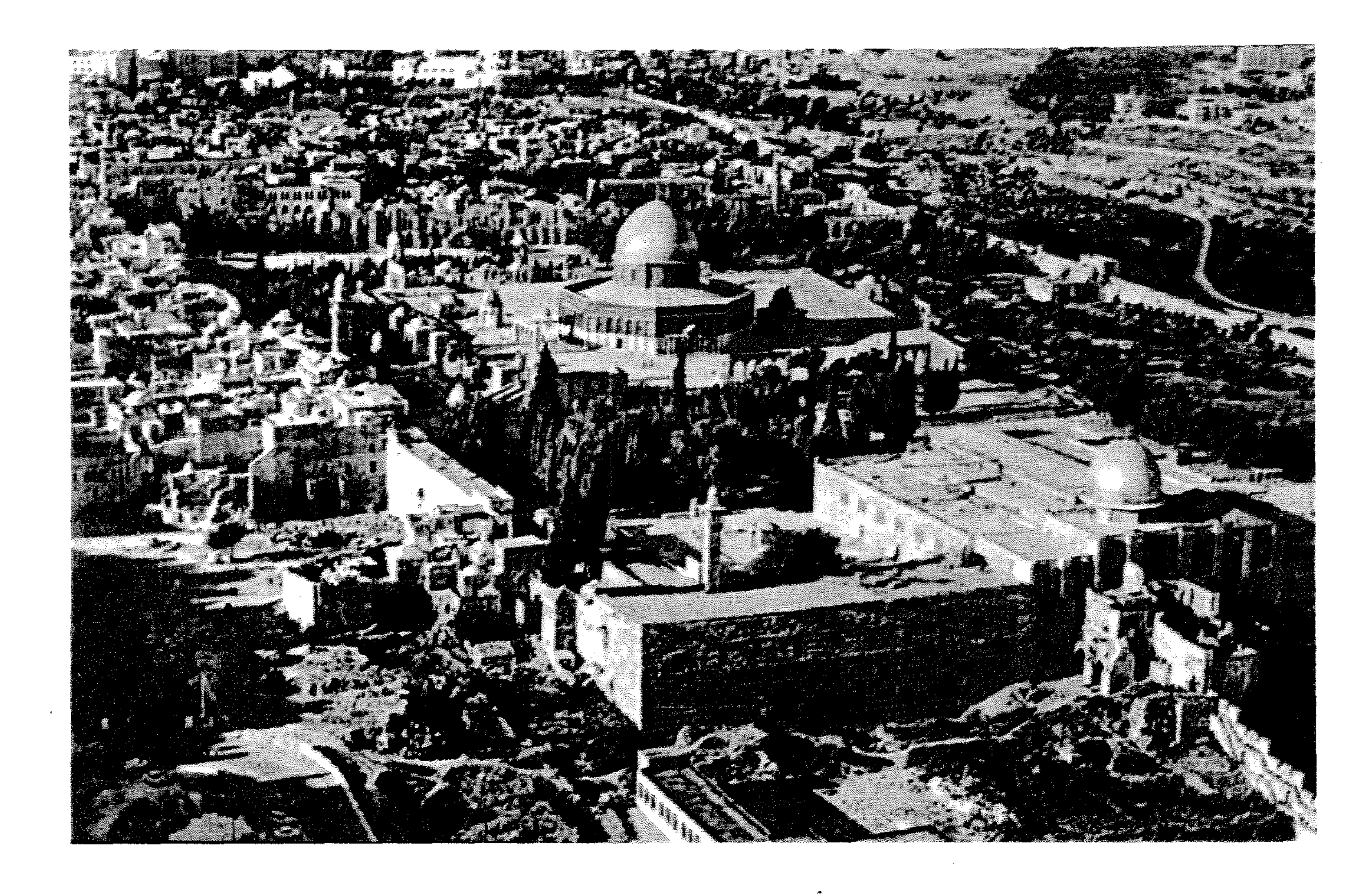
(٢٠) الدباغ، بيت المقدس (١)، ص ١٢٢.
الموسوعة الفلسطينيّة، المجلد الرابع، ص ٢٠٤.



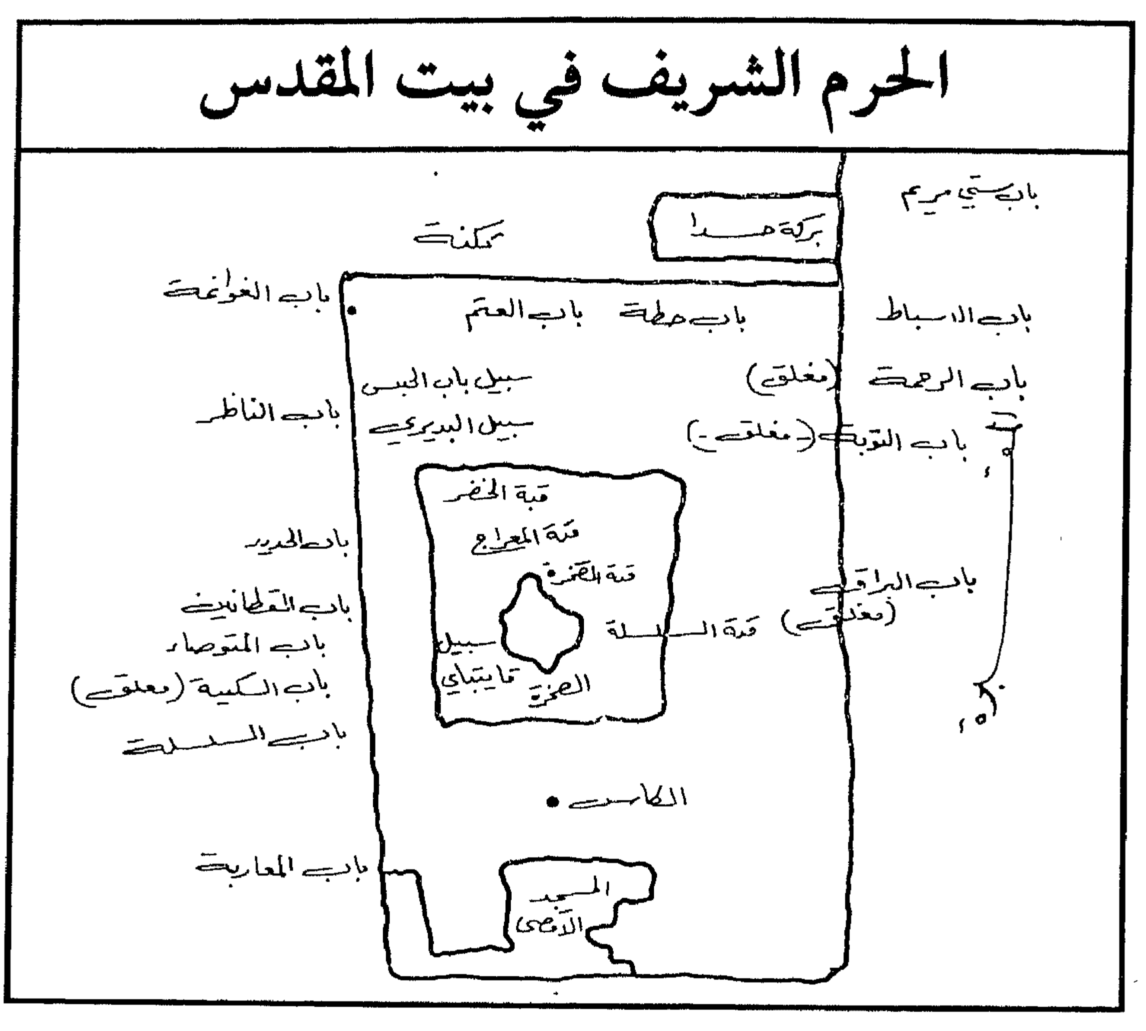
مدخل المسجد الأقصى



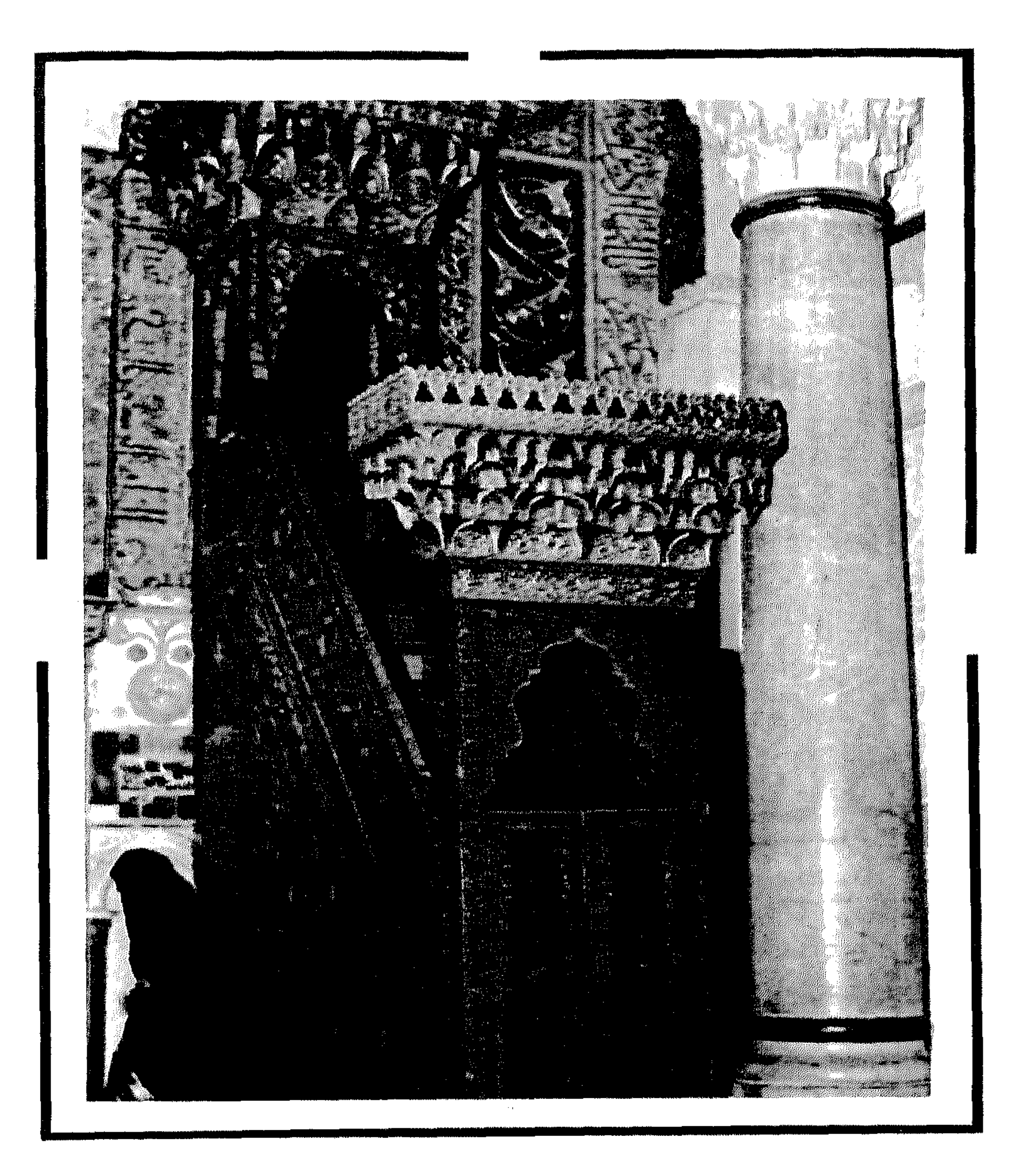
المسجد الأقصى من الداخل



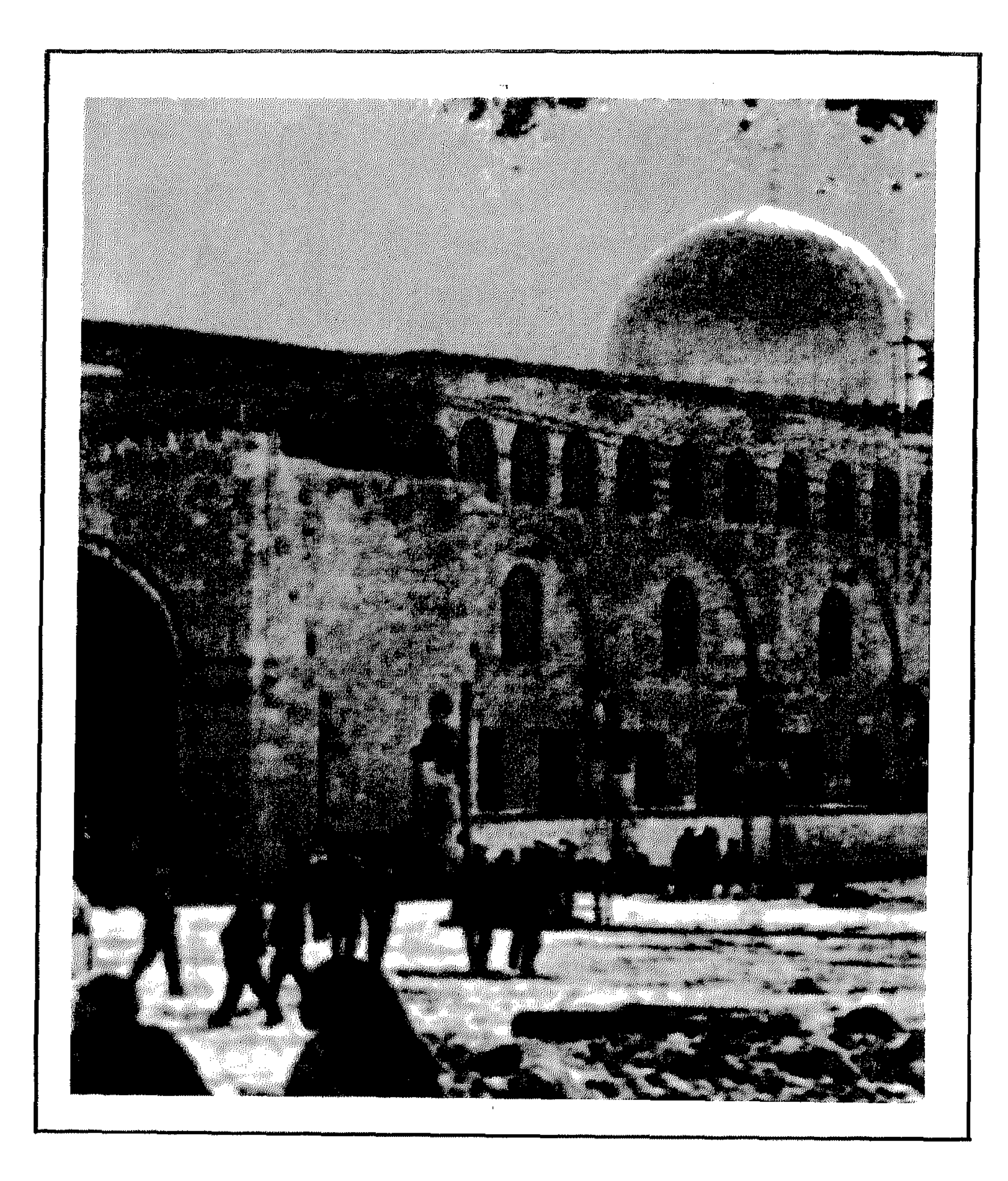
المسجد الأقصى، ومسجد الصخرة
في القدس الشريف



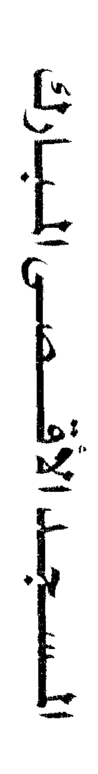
نقلاً عن الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس، (٢)، ص ٤٢١.



منبر نور الدين زنكي الذي يحمل اسم
صلاح الدين الأيوبي، والذي أحرقه الصهاينة
عام ١٩٦٩م



المسجد الأقصى


المسجد الأقصى المبارك

الفصل السابع

عناية المسلمين بالمسجد القدسي الشريف قبل العهد العثماني

- عناية العباسيين بالمسجد القدسيّ الشريف.
- عناية الفاطميين والأيوبيين بالمسجد القدسيّ الشريف.
- عناية المماليك بالمسجد القدسيّ الشريف.

الفصل السابع
عناية المسلمين بالمسجد القدسي الشريف قبل العهد العثماني

مما لاشك فيه أن المسلمين كانوا على مر حقب تاريخهم المتعاقب قد عنوا بالمسجد القدسيّ من جهة وبمدينة القدس من جهة أخرى. ويعود ذلك لأن المسألة في حد ذاتها مسألة دينيّة بحتة، والأمور الدينية عادة تلقى عناية ورعاية كبيرة من لدن المسلمين والجماعات الإسلامية المسؤولة والقياديّة، بخاصة في القرون الماضية.

ويلتصق الاهتمام بمدينة القدس عادة من خلال كونها الموقع الذي فيه ثالث الحرمين الشريفين، المسجد الأقصى المبارك، والمسلمون عادة هم شديدوا الحرص على المقدسات الإسلاميّة في أي مكان وجدت، وفي أي زمان. ويعدّ هذا الحرص المتفاني في خدمة المسائل الدينية من بين مجموعة الثقة التي تميز بها المسلمون عن غيرهم، بخاصة مجموعة الثقة والاحترام التي تميزوا بها عن غيرهم بسبب احترامهم للديانات السماويّة وأتباعها والتسامح معهم على مر حقب التاريخ على الرغم من تجاوزات بعضهم وغدر البعض الآخر منهم، وأن صفة التسامح والاحترام هذه أعطتهم أحقية حماية المقدسات في القدس الشريف، إسلاميّة كانت أو غير إسلاميّة بقلوب مفتوحة من لدن الجماعات غير الإسلامية التي تعيش في المدينة المقدسة أو تعيش في خارجها. والجماعات غير الإسلاميّة التي تعيش في القدس هي ألصق من غيرها في معرفة مدى التسامح الإسلاميّ والتجربة الإسلاميّة ذات الطابع السلميّ في التعايش مع غير المسلمين.

وظل المسجد القدسيّ بكل أبنيته ومنشآته يلقي عناية المسلمين حاصة الخلفاء والحكام منهم، فرمم الخليفة عبد الملك بن مروان في أواخر أيامه قبة المسجد المقامة على الصخرة المشرفة بعد ما أصابها من تصدع وخراب بسبب الزالزال الذي ضرب مدينة القدس عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م.

عناية العباسيين بالمسجد القدسيّ الشريف

عندما زار الخليفة أبو جعفر المنصور مدينة القدس عام ١٥٤هـ/ ٧٧٠م طلب أهالي المدينة منه ترميم المسجد الأقصى المبارك مما أصابه من خراب بسبب الزلزال الذي أصاب المدينة عام ١٣٠هـ/ ٧٤٧م. ولعدم توافر الأموال أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بقلع جميع الصفائح الذهبية والفضية التي كانت تلبس أبواب المسجد في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، ثم ضربها نقوداً وعمر بها الخراب الذي أصاب هذا المسجد.[١]

وفي عهد الخليفة المهدي بن المنصور رمم البناء الذي كان قد رممه من قبل الخليفة أبو جعفر المنصور بسبب الخراب الذي أصابه من جراء الزالزال الذي ضرب مدينة القدس عام ١٥٨هـ/ ٧٧٥م. وكان الخليفة المهدي قد زار مدينة القدس ورأى بنفسه ماحل بالمسجد الأقصى من خراب.[٢] ويروى عنه أنه قال لكاتبه أبي عبيد الله الأشعري: «يا أبا عبيد الله، سبقتنا بنو أمية بثلاث، فقال: وماهي ياأمير المؤمنين؟ فقال: بهذا البيت يعني المسجد (مسجد دمشق) ولا أعلم على ظهر الأرض مثيله، ونيل الموالي فإن لهم موالي ليس لنا مثلهم، وعمر بن عبد العزيز لا يكون والله فينا مثله أبدا، ثم أتى بيت المقدس فدخل الصخرة ثم قال: يا أبا عبيد الله وهذه رابعة.[٣]

وقد زار الخليفة العباسيّ عبد الله المأمون مدينة القدس أثناء سفره من دمشق إلى مصر، وأمر الخليفة المأمون بترميم ماكان قد خرب من عمارة المسجد القدسيّ الشريف كعمل امتدادي لما قام به أسلافه من الخلفاء العباسيين.

عناية الفاطميين والأيوبيين بالمسجد القدسيِّ الشريف

أمر الحاكم بأمر الله الفاطميّ بإصلاح قبة مسجد الصخرة وترميمها على أثر ما حل بها من خراب بعد زالزال عام ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م. وقيل إن الخليفة الفاطميّ السابع الظاهر علي أبو الحسن هو الذي أعاد بناءها عام ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م. بعد أن كانت قد سقطت[٤] على أثر الزلزال المذكور. وهذا يدل على أن العناية بأمر المسجد القدسيّ

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط ٢، دار الكاتب العربيّ، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٣٧.

(٢) الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١) ص ١٢٥.

(٣) أورد ذلك الحنبليّ في كتابه الأنس الجليل، ونقل عنه ذلك الدباغ في كتابه بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١) ص ١٢٥.

(٤) الذهبيّ، محمد بن أحمد، العبر في أخبار من غبر، جـ٣، طبعة الكويت، ١٩٦٦م، ص ٩٦. أنظر أيضا: الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١) ص ١٢٧.

الشريف وأمر بيت المقدس لا يقتصران على الأمويين والعباسيين فقط، وإنما تبنى هذا الجهد الإسلامي كل من الفاطميين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين وغيرهم . فقد اهتم البطل المسلم صلاح الدين الأيوبيّ بأمر المقدسات الإسلاميّة في بيت المقدس، فنظفها من كل الرواسب التي علقت بها إبان الغزو الصليبيّ بعد أن حررها من النصارى الصليبيين عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م . فأمر بإزالة كل العوائق[٥] التي لحقت بالمسجد القدسيّ الشريف من جراء هذا الغزو الصليبيّ الباطل الذي كان قد غير بعض المعالم الإسلاميّة تغييرا هامشيا، ووضع في تلك المقدسات صوراً ورسومات ونقوشاً لايقرها الدين الإسلاميّ، وهي صور دينيّة نصرانيّة تقرها الكنيسة الكاثوليكيّة وتعظمها «فكان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مذهب، فلما دخل المسلمون البلد يوم الجمعة في السابع والعشرين من شهر رجب عام ٥٨٣هـ/ ٢ أكتوبر ١١٨٧م تسلق جماعة منهم إلى أعلى القبة ليقلعوا الصليب، فلما فعلوا وسقط صاح الناس كلهم صوتاً واحداً من البلد ومن ظاهره المسلمون والفرنج . أما المسلمون فكبروا فرحاً، وأما الإفرنج فصاحوا توجعاً وتفجعاً .[٦]

ولما خرج النصارى من بيت المقدس أمر البطل صلاح الدين الأيوبيّ باعادة الأبنية إلى حالها القديم فإن الداوية بنوا غربيّ الأقصى أبنية ليسكنوها، وعملوا فيها ما يحتاجون إليه من مساكن واستراحات وغير ذلك، وأدخلوا أجزاء من الأقصى في أبنيتهم، فأعاد صلاح الدين كل ذلك إلى الأصل، وطهر المسجد الأقصى بكامله من الأقذار والأنجاس التي لحقت به .

وفي ٤ شعبان ٥٨٣هـ/ ٩ أكتوبر ١١٨٧م، في يوم الجمعة الأولى التي أعقبت فتح القدس على يد صلاح الدين الأيوبيّ صلى المسلمون ومعهم صلاح الدين في مسجد قبة الصخرة . وكان الخطيب وقتها القاضي محي الدين أبو المعالي محمد بن القاضي الذكي علي بن محمد القرشي المتصل نسبه بالخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه . وكان هذا القاضي يعمل قاضيا في دمشق . ولما فتح صلاح الدين مدينة حلب من الصليبيين أنشده القاضي محي الدين قصيدة جاء فيها :

وفتحك القلعة الشهباء في صفر

مبشر بفتوح القدس في رجب[٧]

---

(٥) علي، محمد كرد، خطط الشام، دمشق، جـ ١، ص ١٢٩ .

(٦) الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١) ص ١٩٦ .

(٧) ارجع إلى : الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١) ص ١٩٧ .

ولما أتم صلاح الدين صلاة بالجمعة تفقد عمارة المسجد الأقصى بكامله، وأمر بتحسين أبنيته وترصيف بلاطه، وترميم نقوشه، وأمر بإحضار الرخام الثمين، والفص المذهب القسطنطيني وغير ذلك مما تحتاجه عمارة المسجد القدسيّ الشريف. فرمم المسجد وعمره وأزال ماكان في أبنيته من صور وثنيّة. ورفع عن الصخرة الرخام الذي كان قد فرشه عليها النصارى الصليبيون لإخفائها من عبث رعاياهم، خاصة أولئك القسيسين الذين أخذوا يبيعون من صخرها للنصارى الإفرنج الأوروبيين الذين كانوا يأتون إلى بيت المقدس للزيارة رجاء بركتها، حتى أن بعض أولئك النصارى كانوا إذا عادوا إلى بدلاهم أقاموا الكنائس ووضعوا فيها ما أخذوه من صخر صخرة بيت المقدس ليوضع في مذابح تلك الكنائس الجديدة.[٨] لهذا كانت تجارة الصخر هذه مربحة جدا بالنسبة للقسيسين الذين عنوا بمثل هذه التجارة، ولهذا رأي المسؤولون النصارى في القدس قبل فتح الأيوبيّ لها أن يفرشوها بالرخام لحمايتها من جهة، وكي لا يتمكن القسيسون من بيع أحجارها من جهة ثانية، علما بأن النصارى الصليبيين كانوا قد بنوا على الصخرة كنيسة ومذبحاً وجعلوا فيها الصور والتماثيل ذات الطابع الدينيّ النصرانيّ.

وأمر صلاح الدين الأيوبي «بإظهار المحراب وكان الداوية قد بنوا أمامه جداراً وتركوه مكاناً للاستراحة. وبنوا غربيّ القبة داراً واسعاً وكنيسة. فهدم صلاح الدين مابني أمام المحراب من الأبنية ونصب المنبر[*] الذي كان قد عمل في عهد نور الدين زنكيّ لمسجد حلب، فنقل هذا المنبر الجميل إلى بيت المقدس. وفرش المسجد بالبسط، وعلقت القناديل، وزود المسجدين بالمصاحف، ورتب لهما الأئمة والمؤذنين والخدم.

وتجدر الاشارة هنا أن المسجد الأقصى المعروف بالمسجد الكبير الذي تقام فيه صلاة الجمعة كان الإفرنج قد غيروا فيه كثيراً، واستعملوه لأغراضهم الدينيّة والحربيّة والاجتماعيّة، فجعلوا جانباً منه كنيسة، والجانب الآخر مسكناً لفرسان الهيكل،[٩]

---

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ١٢، بيروت ١٩٦٦م، ص ٣٢٦.

(*) إن منبر نور الدين زنكيّ الذي نقله صلاح الدين الأيوبيّ إلى المسجد الأقصى في القدس الشريف هو الذي أتت عليه النار عندما أحرق اليهود المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م.

(٩) فرسان الهيكل: اشتق هؤلاء اسمهم من قبة الصخرة التي ظنها النصارى هيكلا منذ أيام المسيح عليه السلام. فسموا بفرسان الهيكل. وقد أحدث هؤلاء تغييرات كثيرة في ا لمسجد الأقصى وماجاوره من منطقة المسجد القدسيّ التريف فبنوا مستودعا لأسلحتهم، وبنوا الاسطبلات لخيولهم في الزاوية ا لجنوبية ا لشرقية لمنطقة المسجد القدسي الشريف.

أنظر الدباغ: بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١) ص ١٩٩.

وأضافوا إليه أبنية جديدة في الجانب الغربيّ منه وقد استخدمت تلك الأبنية الجديدة لتكون مستودعاً لأسلحتهم وذخيرتهم أما السراديب القديمة التي هي تحت المسجد الأقصى والتي يسميها أقل القدس بالأقصى القديم، فقد جعل منها الصليبيون الإفرنج اسطبلاً لخيولهم . [١٠]

واهتم صلاح الدين الأيوبيّ بشؤون مدينة بيت المقدس، فأمر بإنشاء المدارس والمعاهد والأربطة والملاجيء والمستشفيات، ورتب أمور المدينة، ورمم أسوارها وزاد من تحصينها كي تستطيع المقاومة والصمود في وجه الأعداء. وعمر صلاح الدين في بيت المقدس الزاوية الختنية بجوار قبلة المسجد الأقصى خلف منبره، وأوقفها على أعمال الخير. وأنشأ عمال صلاح الدين الأيوبيّ في المدينة المقدسة المدرسة الميمونية عند باب الساهرة. وأنشأ صلاح الدين البيمارستان المستشفى (الاسبتار) الحكوميّ في الحي المعروف بالدباغة[١١] في بيت المقدس، واستمر أبناء صلاح الدين الأيوبيّ على النهج الإصطلاحيّ الذي نهجه والدهم صلاح الدين الأيويّ تجاه مدينة بيت المقدس. فأنشأ ابنه علي الملقب بالملك الأفضل المدرسة الأفضليّة بحارة المغاربة بمدينة القدس الشريف. وبنى المسجد العمريّ الواقع في الجنوب من كنيسة القيامة. وأوقف كل الأرض التي تحيط بالبراق الشريف على جماعة المغاربة المقيمين في القدس على اختلاف أجناسهم من ذكور وإناث وزوار وحجاج وغيرهم من المغاربة، وأصبحت تلك المنطقة تعرف باسم حارة المغاربة في القدس الشريف. [١٢]

ولما تبع بيت المقدس إلى العزيز بن صلاح الدين الأيوبيّ بعد منازعات بينه وبين أخيه الأفضل، اهتم العزيز بأمر بيت المقدس ومافيه من مقدسات إسلاميّة، فاعتنى بمسألة الوقف في المدينة المقدسة، فأوقف قرية دير أبي ثور وأراضي القمرة الشرقيّة والغربيّة على الشيخ الإمام الزاهد العابد المجاهد شهاب الدين أبو العباس أحمد بن جمال الدين عبد الله بن محمد بن عبد الجبار المعروف بالمقدسيّ. وقد حضر هذا فتح بيت المقدس وكان يقاتل وهو يركب ثوراً فلقب بأبي الثور. فأوقف العزيز ذلك على الشيخ وأولاده وأسرته وذريته، وفي حال انقطاع النسل تصبح وقفا على بر لا ينقطع. [١٣]

---

(١٠) العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، القدس، ١٩٦١م، ص ص ١٥٧-١٥٨.
(١١) العارف، المرجع السابق، ص ص ١٧٨-١٧٩.
(١٢) الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١) ص ٢١١.
(١٣) العارف، المفصل، ص ١٨٣.
الدباغ، بلادنا، بيت المقدس (١) ص ص ٢١١-٢١٢.

وفي عهد الملك العادل أخو الملك صلاح الدين الذي تولى حكم القدس عام ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م عمرت قبة المعراج التي تقع غربيّ الصخرة، وأقيمت تلك القبة لتكون ذكرى لعروج الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي عهده أيضا أقيمت السقاية في المسجد القدسيّ الشريف، وبنيت الزاوية الجرّاحيّة في شمالي مدينة القدس الشريف.[١٤]

وأنشأ الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الذي حكم بيت المقدس المدرسة المعظميّة، والمدرسة النحويّة، والمدرسة البدريّة. وأنشأ أيضا البرج القائم في وسط القلعة بباب الخليل، وعمر سبيل شعلان الذي يقع في شمالي المسجد القدسيّ الشريف، وعمر القناطر التي أقيمت على درج الصخرة في الجهة القبلية عند قبة الطومار، كما وعملت معظم الأبواب الخشبيّة المركبة على أبواب المسجد الأقصى.[١٥]

عناية المماليك بالمسجد القدسي الشريف:

اهتم المماليك بأمر المقدسات الإسلاميّة في مدينة القدس الشريف، واهتموا أيضا بأمر المدينة المقدسة التي تضم أرض المسجد القدسيّ الشريف الذي يوليه المسلمون في كل أصقاعهم العناية الشديدة والاهتمام المستمر. فنالت المدينة المقدسة اهتمام الظاهر بيبرس، خاصة اهتمامه في مجال عمارة المسجد القدسيّ الشريف. فعمر عام ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م ما تداعى وخرب من قبة الصخرة. وجدد قبة السلسلة، وجدد زخارفها، وخصص مصروفات سنوية للمسجد القدسيّ الشريف بلغت خمسة آلاف درهم، واهتم بأمر الأوقاف الإسلاميّة في المدينة المقدسة، وبنى خانا خارج المدينة اهتماما منه بشؤونها الاقتصادية والاجتماعيّة، وكان ذلك عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م[١٦]

وبنى السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الرباط المنصوريّ عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م باب الناظر بالمدينة المقدسة ليكون وقفاً على الفقراء وزوار بيت المقدس، وعمر سقف المسجد الأقصى من الجهة الجنوبية غربي مسجد النساء، وأنشأ المسجد القلندري، وربما جدده فقط عام ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م.[١٧]

(١٤) الدباغ، بلادنا، بيت المقدس (١) ص ٢١٣.
(١٥) العارف، المفصل، ص ١٥٥.
الدباغ، بلادنا، بيت المقدس (١) ص ٢١٦.
(١٦) الحنبليّ، الأنس الجليل، ص ٣١٨.
(١٧) العارف، المفصل، ص ٢٤١.

وفي عهد السلطان كتبغا المنصوريّ جددت فصوص الصخرة، وجددت عمارة السور الشرقيّ عام ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م. وبنيت في عهده المدرسة الدوادارية التي تعرف بدار الصالحين، وخصص لها أوقاف كثيرة كانت في جلها عبارة عن مباني من دور وحمامات وحوانيت وبساتين وغيرها، فقد أوقف ربع ذلك كله على تلك المدرسة.[١٨]

وفي عهد السلطان الناصر حسام الدين لاشين جددت عمارة محراب النبي داود عليه السلام الواقع بالسور الجنوبيّ عند مهد عيسى عليه السلام. وهو محراب من محارب المسجد القدسيّ الشريف، كما وعمر منارة الغوانمة بالمسجد الأقصى.[١٩]

وأنشأ السلطان ناصر الدين محمد بن قلاوون الرباط المعروف برباط كرد، وأنشأ المدرسة الوجيهية عند باب الغوانمة بالقدس الشريف، والمدرسة السلامية قرب المدرسة الدوادارية، وزاوية المحموديّ في حارة المغاربة، وبنى المسجد الكائن داخل القلعة، ورمم القلعة نفسها وزاد في تحصينها.[٢٠] وفي عهده شح الماء بالقدس الشريف، فعمرت قناة السبيل عام ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م، وبنى على القناة المذكورة حوض ماء كبير، ووصلت قناة السبيل إلى وسط المسجد الأقصى في السنة نفسها، وكان إنشاء هذا السبيل عملاً اجتماعياً ممتازاً خفف من معاناة سكان المدينة المقدسة بسبب شح الماء الذي يصل إليها. وعملت في عهده البركة المبنية من الرخام الواقعة بين الصخرة والمسجد الأقصى.[٢١]

يقول الحنبليّ عن إصلاحات محمد بن قلاوون في بيت المقدس: «ولناصر الدين محمد بن قلاوون في المسجد الأقصى خيرات كثيرة. منها أنه عمر في أيامه السور القبليّ الذي عرف عند محراب داود عليه السلام ورخم صدر المسجد الأقصى ومسجد سيدنا الخليل عليه السلام بإشارة تنكز نايب الشام. وفتح بالمسجد الأقصى شباكين اللذين عن يمين المحراب وشماله وكان فتحهما في سنة إحدى وثلاثين وسبعماية. وجدد تذهيب قبة الصخرة. . وعمر القناطر على الدرجتين الشماليتين لصحن الصخرة. . وعمر باب القطانين بالبناء المحكم. . . وكل مكان من عمارته من هذه الأمكنة مكتوب عليه تاريخ

---

(١٨) العارف، المفصل، ص ص ٢٤٢-٢٤٣

(١٩) الحنبلي، الأنس، ص ٤٥١.

(٢٠) العارف، المفصل، ص ٢٠٢.

(٢١) لمعرفة المزيد عن الأعمال الإصلاحية التي قامت في عهد محمد بن قلاوون ارجع الى: الحنبليّ: الأنس الجليل.

عمارته، وعمر قناة السبيل التي عند بركة السلطان بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب. وله غير ذلك من العماير بالقدس الشريف وغيره من البلاد من عمارة الحصون والقلاع». [٢٢]

واهتم محمد بن قلاوون اهتماما بارزاً في الشؤون التعليميّة في بيت المقدس، بالإضافة إلى عنايته واهتمامه بشؤون المسجد القدسيّ الشريف والأحوال الدينيّة في المدينة المقدسة. فأمر بإنشاء المدرسة الجاولية الواقعة في شماليّ غرب المسجد القدسيّ الشريف. والمدرسة الكريمية باب حطة، والمدرسة التنكزيّة القريبة من باب السلسلة، وأنشأ في داخلها مسجداً، ولعظمتها أصبحت فيها بعد مركزاً للحكام والقضاة والنواب العاملين في بيت المقدس، والمدرسة الأمينيّة عند باب شرف الأنبياء في شمالي المسجد القدسيّ الشريف، والمدرسة الملكية الواقعة في شمالي المسجد القدسيّ الشريف. [٢٢]

وكل هذه المدارس هي أوقاف عمرها محبو الخير والصلاح لتكون وقفا على أعمال الخير والبر والصلاح. وقد ساهمت تلك المدارس بأساتذتها وطلابها في ازدهار الناحية العلميّة في بيت المقدس.

وتابع أولاد السلطان محمد بن قلاوون منهج أبيهم في تعمير القدس والاهتمام بها، فأنشأوا المدارس فيها مثل: المدرسة الفارسيّة والمدرسة الأرغونيّة الواقعة بباب الحديد، والمدرسة الخاتونية الواقعة بباب الحديد أيضا، والمدرسة القشتمرية الواقعة بباب الناظر، ومدرسة دار القرآن السّلاميّة، والمدرسة الحسنيّة الواقعة عند باب الأسباط، والمدرسة الجاوليّة في شمالي المسجد القدسيّ الشريف، بالإضافة إلى عدد من المدارس الأخرى التي أقامها السلاطين المماليك بعد أبناء السلطان محمد بن قلاوون، فبنوا المدرسة الطازيّة، والمدرسة المنجكيّة، والمدرسة الباورديّة والمدرسة الحنبليّة والمدرسة اللولويّة. [٢٤]

واستمر سلاطين دولة المماليك الثانية، المماليك الشراكسة في إعمار بيت المقدس،

---

(٢٢) الحنبليّ، الأنس، ص ص ٣٢٠-٣٢١.

(٢٣) لمعرفة المزيد من المعلومات عن تلك المؤسسات العلمية في القدس، أرجع إلى:
- الأنس الجليل للحنبلي والمفصل في تاريخ القدس للعارف وبلادنا فلسطين، بيت المقدس للدباغ، ومعاهد العلم في بيت المقدس للدكتور كامل العسلي بحث قدم إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، ١٩٨٠م، الجامعة الأردنية، عمّان.

(٢٤) الحنبلي، الأنس، ص ص ٢٨٢-٢٨٧.
- العارف، المفصل، ص ص ٢٤٧-٢٥٠.

فبنى الظاهر برقوق المدرسة الجهاركسيّة، وعمر بركة الماء المعروفة ببركة السلطان. وأقيمت في عهده دكة المؤذنين القريبة من الصخرة إلى جانب باب المغارة وأنشىء خان السلطان على الطريق الموصل إلى باب السلسلة. واهتم السلطان برقوق بمياه الشرب التي يشرب منها سكان المدينة المقدسة، وكانت تلك المياه معرضة للشح والنقصان. فأوصل الماء الى بيت المقدس من قناة العرّوب. وبنى المدرسة الطولونيّة والمدرسة الفنريّة. [٢٥]

وفي عهد ابنه السلطان محمد بن برقوق أنشئت المدرسة الصبيبيّة نسبة إلى قلعة الصبيبية في بانياس من أعمال منطقة الجولان. وينبع بجوارها نبع بانياس أحد ينابيع نهر الأردن[٢٦] وأنشئت المدرسة الكامليّة عند باب حطة. [٢٧]

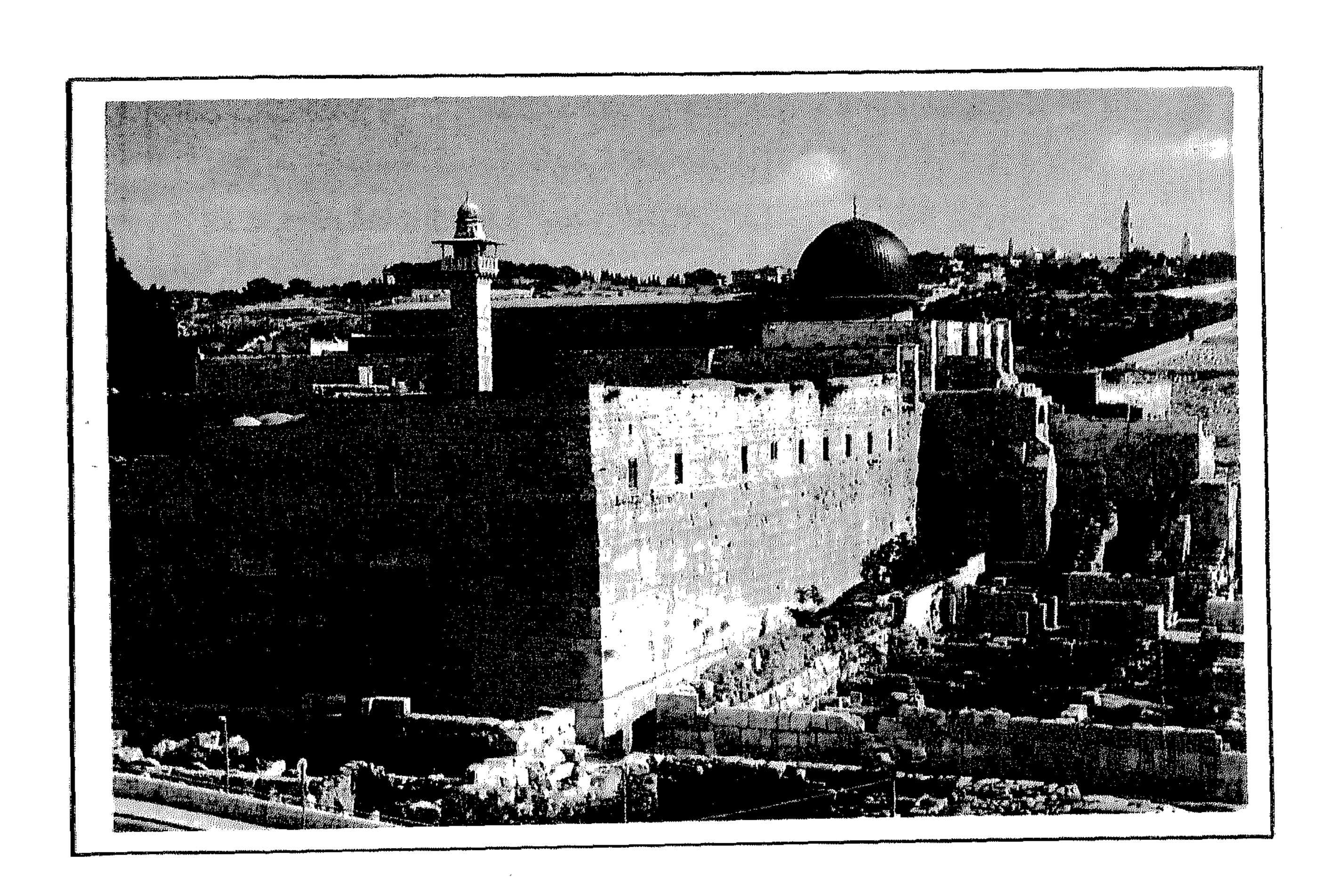
وفي عهد السلطان الأشرف برسباي أنشىء سبيلان أحدهما في عربيّ المسجد القدسيّ الشريف، والثاني سبيل شعلان الذي جدد فقط، وأنشئت عدة مدارس مثل المدرسة الباسطيّة الواقعة في شماليّ المسجد القدسيّ الشريف والمدرسة الغادريّة والمدرسة الحسنيّة الواقعة بباب الناظر في غربيّ المسجد القدسيّ الشريف، والمدرسة العثمانية الواقعة بباب المتوضأ في غربيّ ساحة المسجد القدسيّ الشريف. [٢٨]

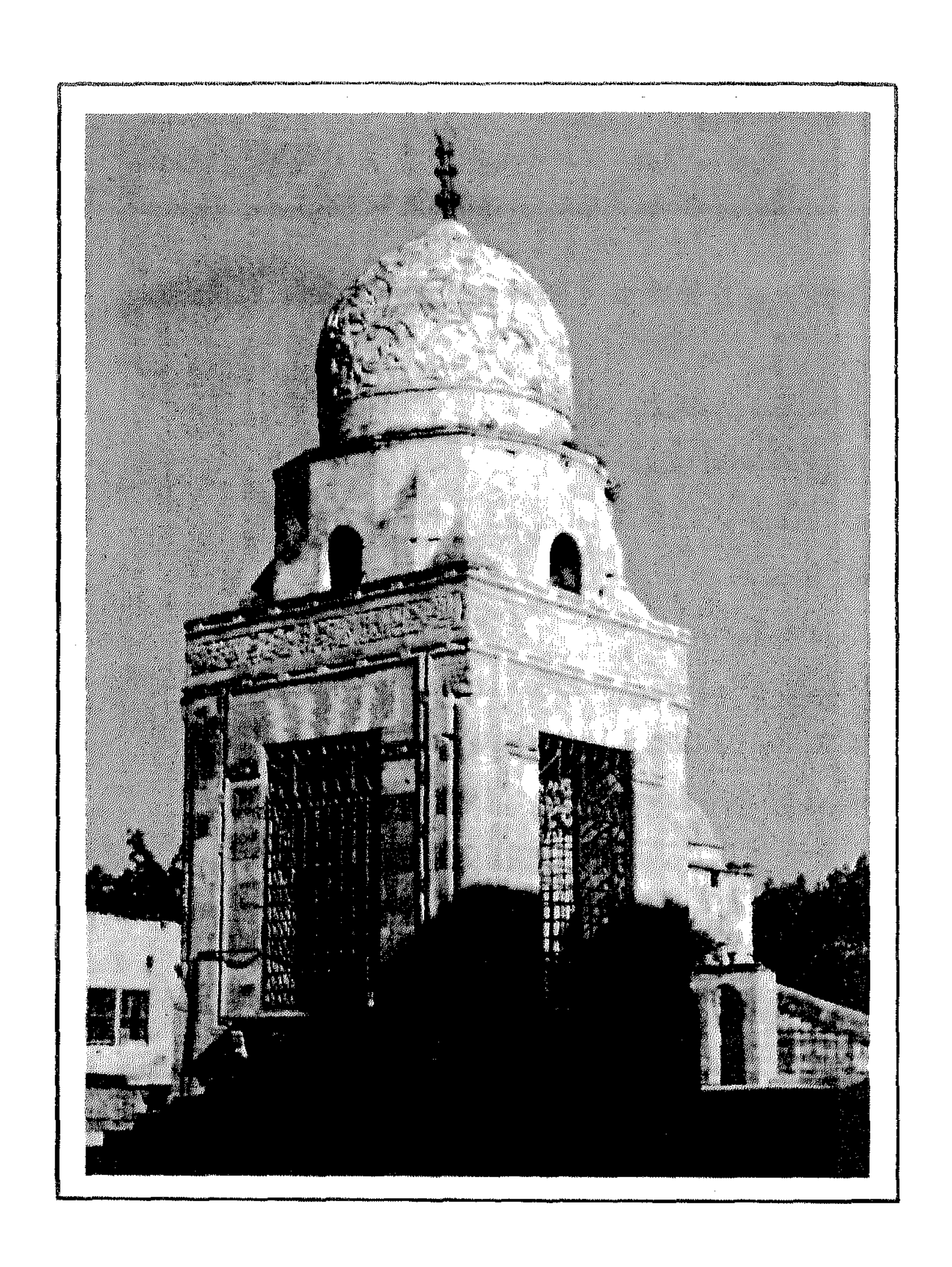
وخصص السلطان الظاهر جقمق العلائيّ قراءة للقرآن الكريم يقوم بها قارىء خاص في مسجد الصخرة. وأنشئت في عهده المدرسة الجوهريّة بباب الحديد. واهتم السلطان الأشرف العلائيّ بأمر عمارة المسجد الأقصى، فرمم من البناء ما كان بحاجة إلى ترميم. وعمر السلطان الملك الظاهر خشقدم قناة السبيل التي تصل بواسطتها المياه من عين العرّوب إلى مدينة القدس، إذ أن هذه القناة كانت دوما بحاجة إلى إصلاح وترميم وعناية بأمرها حتى تتوافر المياه الصالحة للشرب في المدينة المقدسة. وفي عهده أيضا أنشئت البركة الشرقية من برك سليمان. وفي عهده بدأ العمل ببناء المدرسة الأشرفيّة قرب باب السلسلة من جهة الشمال وكانت في الأصل تسمى بالمدرسة السلطانيّة. [٢٩]

---

(٢٥) الحنبلي، الأنس، ص ٢٧٨.
- العارف، المفصل، ص ص ٢٥١-٢٥٢.
(٢٦) الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١) ص ٢٨٣.
(٢٧) العارف، المفصل، ص ٢٥٣.
(٢٨) العارف، المفصل، ص ٢٥٤.
(٢٩) الحنبلي، الأنس، ص ٣٢٦.
- الدباغ، بلادنا، بيت المقدس (١)، ص ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

وهكذا نلحظ أن المسلمين حكاما وإداريين وفرادى اهتموا بأمر شؤون المدينة المقدسة خاصة في مجال الشؤون التي تخص المرافق الدينيّة في المسجد القدسيّ الشريف، وفي المجالات الأخرى كالتعليم والعمران والمجالات الاجتماعيّة والاقتصادية التي تعمل على تطوير القدس وتهتم بشؤون سكانها. وقد تواصل هذا الجهد المميز تجاه القدس الشريف خاصة المسجد القدسي الشريف على مر حقب التاريخ الإسلاميّ، في صدر الإسلام وعهود الأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين ومن جاء بعدهم من سلطات وحكومات إسلاميّة. وهو أمر يعتز به المسلمون لأنهم يقدمون خدمة جليلة للشؤون الدينيّة في مدينة بيت المقدس، وهو أمر ديني يفرضه عليهم دينهم الإسلاميّ الحنيف الذي يعنى بالشؤون الدينيّة والاجتماعيّة والمدنيّة للمسلمين وغيرهم من الناس الذين هم تحت إشرافهم ورعايتهم وتبعيتهم.





الفصل الثامن

العثمانيون وبيت المقدس والمسجد الأقصى

- القدس الشريف في الخطة العثمانيّة.
- مجال الدراسة وأهدافها.
- المنشآت الأمنيّة والدفاعيّة والحربيّة.
- المنشآت الدينيّة.
- المنشآت الاجتمـاعيّة.

١ ـ المنشآت الاجتماعية الخاصة بالمياه.

٢ ـ المنشآت الاجتماعية. التكايا والأربطة والزوايا.

٣ ـ منشآت اجتماعية أخرى.

الفصل الثامن
العثمانيون وبيت المقدس والمسجد الأقصى

القدس الشريف في الخطة العثمانيّة:

من المعـروف أن المـوطن الأصـلي للعثـمانيين هو منـاطق القرغيز والسهوب في قارة آسيا، [1] ومن هناك توجهوا صوب مناطق آسيا الصغرى (شبه جزيرة الأناضول). وعليه فإن حضارة الجماعات العثمانيّة كانت في أصولها الأولى حضارة بدائيّة، ومن ثم كان لزاما على العثمانيين أن يتفاعلوا ويتجاوبوا مع حضارة بني دينهم في بلاد الشام والعراق ومصر، على أسـاس أن الحضـارة الـراقية هي التي تعطي الحضارة البدائيّة وتزودها بالمكاسب الحضـاريّة والقـدرات والإمكـانـات الضرورية للتقـدم الحضاريّ وتطوره خاصة وأن العثـمانيين قد تسلمـوا زمـام المبـادرة الدينيّة والسياسيّة في العالم الإسلاميّ في العصر الحديث، بعد أن تمكنوا من حمل عبء المسؤوليّة الدينيّة والسياسيّة في العالم الإسلاميّ كله في أعقاب سقوط الخلافة المملوكية.

ومن المعـروف أيضاً أن الدولة العثمانيّة قامت على أساس دينيّ، وعدت دولة ذات سمـة دينيّة، وطبعت تشريعـاتها بالطبع الإسلاميّ، وكان للهيئة الإسلاميّة فيها مركز خاص ووضع اجتماعيّ خاص، ومن خلال هذا الأمر يأتي اهتمام الدولة العثمانية بأمر المقـدسات الإسلامية التي كان على الدولة العثمانية واجب الاعتناء بها وحمايتها، لأنها مكـان إسـلاميّ مقدس في بلاد الشام التي تشكل ولاياتها رقعة كبيرة وواسعة من بين الـولايات العـربية العثـمانية. وقـد اعتنى السـلاطـين العثمانيون كثيرا بأمر المقدسات الإسلاميّة والشؤون الدينيّة في العالم الإسلاميّ المنضوي تحت السيادة العثمانية. ومن خلال هذا المبـدأ اهتم سلاطـين بني عثمان بأمر إنشاء الجوامع والمساجد الإسلامية[٢]

---

(1) Toyembee, Atmold, A study of Histoy (London, 1945) vol, III, pp. 23-28.

كوبرلي، قيام الدولة العثمانيّة، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان، القاهرة ١٩٦٧م

(٢) بروكلمان، كارل، الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي دار العلم للملايين، بيروت ١٩٤٩م، ص ص ٧١-٧٢.

بشكل كبير وواضح ، وغدا ذلك مظهراً معمارياً دينيّاً يدعم هذا الاتجاه ويعززه . وأصبح هذا الفن الإسلامي العثمانيّ نمطاً معمارياً يجسد الفن المعماريّ العثمانيّ في أوج نشاطه وتطوره . وانتشرت تلك المعالم المعماريّة الحضاريّة ذات الطابع الدينيّ في معظم الولايات العثمانيّة خاصة في بلاد الشام ومصر والحجاز.

وقد تعزز هذا الجهد الإسلاميّ العثمانيّ وقتذاك من خلال المتطلبات الإسلاميّة ، ومن خلال قدرة الدولة الإسلاميّة العثمانية على تثبيت وجودها في مناطق الشرق الإسلاميّ بخاصة والعالم الإسلاميّ كله بعامة ، كأسلوب من أساليب الجهد الإسلاميّ ، وكأسلوب فاعل في إقناع المسلمين في كل ديارهم بأن الدولة العثمانية هي خير وريث دينيّ وسياسيّ للدول الإسلاميّة التي تعاقبت على حكم المسلمين ، وكان آخرها الدولة المملوكيّة التي أولت المقدسات الإسلاميّة عناية خاصة ،[٣] وهو أمر لابد من وجوده بالنسبة للدولة العثمانية التي حملت عبء المهمة الإسلاميّة بكامل مفهومها وواجباتها تجاه العالم الإسلامي أنذاك وهو أمر تميز به العثمانيون ، ودفعهم للعمل على زيادة جهدهم في مجال دائرة العمل الإسلامي والدفاع عن الأمة الإسلاميّة في كل مكان ، وهي أيضا ميزة حميدة تقدر دائما للدولة العثمانية ، وتبعدها عن دائرة الجهد القوميّ والفكر القوميّ الضيف مقارنة بالإطار الإسلاميّ الواسع الذي صهر القوميات المسلمة في إطار الأمه الإسلاميّة الواحدة خاصة في المجالين : الدينيّ والسياسيّ ، حيث إن كل القوميات المسلمة قد انتظمت في منظومة الإسلام والدولة الإسلامية الواحدة ، على الرغم من وجود بعض عوامل الطرد المضادة .

وبالإضافة إلى هذا كله تأتي مسألة ذات قيمة ، وهي مسألة نابعة عن شعور الفرد المسلم بفائدة العمل في سبيل الدين الإسلاميّ كأمر نابع عن قناعة شخصية ، وهو أمر نفذه كثير من السلاطين العثمانيين بناء على قناعتهم الشخصية بأن المسألة الدينية لابد

= انظر أيضاً :

الشناوي ، عبد العزيز محمد ، الدولة العثمانيّة دولة إسلاميّة مفترى عليها ، جـ ١ ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) اهتم المماليك بأمر مدينة القدس ، فبنوا الكثير من المساجد والمدارس والأسبلة والمقامات والمقابر وغيرها من الفنون المعماريّة الأخرى . وقد غالوا في ذلك ، ولكن فنهم جاء آية في الفن المعماريّ ، واتخذ كل واحد من سلاطين المماليك شعارا لأعماله العمرانيّة ، عرف بالرنك كان ينقشه على أعماله العمرانية .

أنظر : العابدي ، محمود ، قدسنا ، معهد البحوث العربيّة ، القاهرة ، ص ٩٨ .

وأن تحظى بالعناية الخاصة لأن العمل الخيريّ ينفع صاحبه في أخرته، وهي قناعة فرديّة لا تقل واجباتها ومسؤولياتها عن غيرها من واجبات السيادة والسلطة، وهذا الأمر نفسه هو الذي دفع عددا من الأغنياء والموسرين وذوي السلطة المحليّة أن يقوموا بأعمال خيريّة ووقفيّة من خلال مشروعات عمرانيّة وإصلاحيّة ذات نفع دينيّ طمعاً في التقرب إلى الله، وابتغاء مرضاته، وهو جهد يضيف جديداً في مجال التعمير والعمران وخدمة المجتمع الإسلاميّ.

مجال الدراسة وأهدافها:

تركز الدراسة التي بين أيدينا على عدد من المسائل المهمة، أذكر منها:

١ - أن هذه الدراسة لا تأتي في مجال الدراسات الهندسيّة والفنيّة المعماريّة، لأن هذا بطبيعته لا يدخل في مجال تخصصنا، ولا في مجال اهتمامنا، وعليه فإن هذه الدراسة بعيدة تماماً عن هذا المجال الفنيّ المعماريّ.

٢ - تركز الدراسة على المسائل الاجتماعيّة ذات الصلة بالمنشآت العمرانيّة، وهي تبين الأسباب التي دعت إلى قيام تلك المنشآت والترميمات والإضافات العمرانيّة في القدس الشريف في العهد العثمانيّ كظاهرة تاريخيّة حضاريّة، كما أنها توضح أيضا مدى الاستجابة الاجتماعية لتلك الظاهرة من خلال مدى الفائدة العامة المرجوة من وراء هذا الجهد العمرانيّ الجديد أو المضاف أو المرمم.

٣ - تركز الدراسة على الظروف العامة التي واكبت العملية العمرانيّة الجديدة أو العملية العمرانيّة المضافة أو المرممة، ومدى صداها وأثرها على مجتمع مدينة القدس الشريف والبلدان المحيطة بها.

٤ - أهمية المنشأ ومدى الاحتياج والضرورة إليه في ظل الظروف العامة التي أحاطت بإقامته، وبناء على نظرية التحدي والاستجابة، وهل أن هذا المشروع العمرانيّ يأتي في الأهمية الأولى بالنسبة للمشروعات التي يحتاجها سكان المدينة نفسها في وقت إنشاء المشروع؟ أم أن هذا المشروع جاء بناء على عاطفة دينيّة دون النظر إلى الاحتياجات والمتطلبات الأخرى التي هي أكثر إلحاحاً، وأعم فائدة بالنسبة لمجتمع المدينة المقدسة؟.

٥ - هل أن هذا المشروع العمرانيّ نابع عن رغبة شخصية أم أنه مشروع رسميّ ذا هدف استراتيجي يخدم دعم السلطة ويعمل على تحسين سمعتها في ظل ظروف اعترى فيها السكان التململ والنقد والتذمر بسبب حاجتهم إلى مثل تلك المشروعات، أي هل هذا المشروع مشروع جاء بناء على متطلبات واحتياجات؟ أم أنه مشروع ترضيه؟ أم أنه

مشروع استراتيجي له مردود أمني أو دفاعي أو غيرهما من المستلزمات الاستراتيجية الأخرى التي هي ضمن الخطة الاستراتيجيّة العامة للدولة .

والجدير بالذكر هنا أن العثمانيين سموا المدينة المقدسة باسم «القدس الشريف» ولفظة قدس تعني البركة والطهارة . وسماها الجغرافيون والمؤرخون المسلمون باسم «بيت المقدس» أي المكان الذي يطهر فيه الذنوب ، ومنه أيضا من سماها «بالبيت المقدس» ونجد هذا المعنى في الأية القرآنية : ﴿**ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ . ثم سميت المدينة المقدسة «بالقدس» وأصبح هذا الاسم هو الاسم الشائع والمعروف لدى الجميع حتى أيامنا الحاضرة .(٤)

المنشآت العمرانيّة العثمانيّة في القدس ودواعيها

أولا : المنشآت الأمنية والدفاعيّة والحربيّة :

نعرف جميعا مدى أهمية أسوار المدن بالنسبة للدفاع عن تلك المدن وسكانها ، فالأسوار هي حصون طبيعيّة للمدينة ، وحصانة أمنيّة للسكان من أخطار الاعتداءات الخارجيّة والمحليّة : كاعتداءات العدو الخارجيّ ، واعتداءات البدو على المدن ، فكانت الأسوار سدا منيعا أمام هذه الاعتداءات ، خاصة الاعتداءات ذات الصفة المحليّة .(*)

---

(٤) لمزيد من التفصيلات عن تسمية القدس ، ارجع إلى :

ـ ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ، معجم البلدان ، جـ ٥ ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٥م ، ص ١٦٦ .

ـ النويريّ ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، جـ ١ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة (بدون) . ص ٢١٢ .

ـ القلقشنديّ ، أبو العباس أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، جـ ٤ ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ١٩٦٢م ، ص ١٠٠ .

ـ الحنبليّ ، مجير الدين العليمي ، كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، جـ ١ ، دار الجليل ، بيروت (بدون) ص ٢٦٠ .

(*) يصف الرحالة الإنجليزي وليم دكسون الذي زار المدينة المقدسة عام ١٨٦٥م ماكان يعانيه السكان في المدينة المقدسة من خوف وعدم اطمئنان بسبب اعتداء البدو والقوى المحلية الأخرى ، فيقول : «وعند وصولنا إلى بوابة باب الخليل التقانا جمهور من الناس (عرب ويهود ويونان وأرمن) يسألوننا عن الأخبار : هل حقا نهبت الرملة؟ هل حقا وصل بدو عنزة إلى اللطرون؟ أهناك حركة في أبو غوش؟ وبدت على هؤلاء الدهشة حينما عرفوا أننا عبرنا الوادي دون أن ينهب أحد متاعنا . . . ويزعم الزاعمون أن بدو التعامرة وهم قبيلة تسيطر على المنطقة

وقد تعرضت مدينة القدس لاعتداءات خارجيّة قويّة، مما هدّم أسوارها، بالإضافة إلى ما فعلته عوامل الطقس من تآكل وتخريب لها، وغدت أسوار المدينة خربة ومدمرة في العهد المملوكيّ، وأصبحت تلك الأسوار بحاجة ماسة إلى ترميم وإعادة بناء في جوانب كثيرة منها. وحيث إن الدولة العثمانيّة دولة عسكرية في المقام الأول، وحيث إن مدينة القدس مدينة مقدسة ليس لدى المسلمين فحسب، وإنما لدى النصارى واليهود أيضا، مما لفت انتباه السلطان العثماني سليمان القانونيّ للقيام بمهمة ترميم أسوار المدينة وتعميرها كظاهرة حربيّة دفاعيّة أمنيّة، وهو أمر تمليه الحاجة، وتفرضه ظروف كيان الدولة العثمانية، بالإضافة إلى تشجيع كبار البنائين والمهندسين له على القيام بتلك المهمة الجسيمة والمكلفة، ولكي يتناسب هذا العمل مع سمعة السلطان القانونيّ وشهرته وقوته، وكي يتناسب أيضا مع دوره في تنظيم الدولة العثمانيّة، وبناء كيانها الإداريّ بعد الفتوحات العثمانية الموفقة في المشرق العربيّ الإسلاميّ، وزوال الخلافة المملوكيّة من خريطة العالم الإسلامي السياسية قبيل العشرينات من القرن السادس عشر الميلاديّ.

وقد أولى السلطان القانونيّ شؤون مدينة القدس الشريف عناية فائقة في خطته الإصلاحيّة، والتنظيميّة، خاصة الجوانب الحربيّة والدفاعيّة بعد التجربة المريرة التي انتابت العالم الإسلامي من جراء ظاهرة الحروب الصليبيّة وماترتب عليها من مصائب وويلات خاصة ما حل بمدينة القدس وسكانها من المسلمين. فأمر السلطان القانوني أمير اللواء لالا مصطفى[٥] أن يرمم أسوار المدينة ويجددها. وقد نفذ أمير لواء سنجق القدس أوامر السلطان. فرمم أسوار المدينة المقدسة وجددها مستخدما أحجاما مختلفة من الحجارة، ووصل علو الأسوار في بعض الجوانب إلى (٤٠) قدماً، وفي بعض

= الجبلية من بيت لحم وإلى البحر الميت يتحركون. ويقال إن جماعات من بدو العدوان أحدث تتقدم عبر وادي قدرون، وأن ثريا باشا أرسل جنوده إلى جهات الخليل، وأن طريق نابلس مقطوعة، وأن شهرا مضى دون أن تصل أنباء من الناصرة.

انظر: سليمان موسى، رحلات في الأردن وفلسطين، مترجم، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمان، ١٩٨٧، ص ١٩٣.

(٥) قسم العثمانيون إدارة بلاد الشام إلى ثلاث ولايات: دمشق وحلب وطرابلس، كما كان الوضع زمن الحكم المملوكي، وكانت ولاية الشام تصل في حدودها إلى العريش. وقد أعاد العثمانيون النظر ثانية في أمر ولاية الشام بعد ثورة الغزالي، فقلصت حدود الولاية حتى لا يستغل الثائرون على الدولة اتساعها، وقسمت الولاية إلى سناجق هي: دمشق أو الشام، مركز الولاية ثم القدس وغزة وصفد ونابلس وعجلون واللجون وتدمر.

انظر: رافق، العرب والعثمانيون، دمشق، ١٩٧٤م، ص ٩٥، ٩٦

الجوانب الأخرى إلى (٥٠) قدما، وتخلل الأسوار عدة أبواب منها باب المغاربة وهو باب صغير كتب عليه العبارة التالية.

«أمر بإنشاء هذا الباب في أيام السلطان الأعظم سليمان خان ابن سليمان خان ابن سليم خان، بتاريخ سنة تسع وأربعين وتسعماية».

وتميز بناء السور العثماني بنوع جديد من الزينات: كالأعمدة الصغيرة ذات الجمال الفني، وهي تفيد أيضا في تقوية السور. وظهرت في البناء مجموعة كبيرة من النتوءات والطبز البارزة، وأنشىء فيه مجموعة كبيرة من الطلاقات المضلعة التي يراقب منها العدو. واستفاد البناءون من الحجارة الضخمة التي يتألف منها السور القديم، فنقشوها وأعادوا بناءها في السور الجديد.[٦] وزيادة في التحصين أقيمت الخنادق التي تحيط بالسور كخط دفاعي أول عن المدينة المقدسة وذلك زيادة في الحيطة. وهكذا فقد ظل سور القدس الجديد والمرمم معلما عمرانيّا عثمانيّا خلد اسم القانونيّ، وأصبح دلالة مميزة من الدلالات التي تثبت وتبرهن على مدى اعتناء بعض السلاطين العثمانيين بأمر المدينة المقدسة، واهتمامهم بشؤونها، ويعدّ عهد السلطان سليمان القانونيٍّ من أهم عهود العمران في القدس الشريف.

وتجدر الإشارة هنا أن السلطان العثماني سليم الأول والد السلطان سليمان القانوني هو أول من فكر في إعادة تجديد وترميم سور القدس الشريف، إلا أنه توفي قبل أن يشرع في هذا المشروع العمرانيّ الضخم الذي كلف أموالا طائلة، واستغرق العمل فيه في حدود خمسة أعوام ابتدأت ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م[٧] وانتهت بنهاية عام ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م.

وقد وصف الرحالة المنصر. و. م. تومسون هذا السور عند زيارته للمدينة المقدسة عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م بقوله: «قضيت أياما في منزل صديق لنا في جبل الزيتون، وكنا نتجول في المدينة بكامل الحرية. والمدينة المقدسة محاطة بأسوار بناها (وعلى الأرجح أعاد بناءها) السلطان سليمان القانونيّ سنة ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م، ويتراوح عرض هذه الأسوار من عشرة إلى خمسة عشرة قدماً، وارتفاعها من خمسة وعشرين إلى أربعين قدماً، بحسب طبيعة الأرض وانخفاضها هنا وارتفاعها هناك، ولهذه الأسوار زوايا وأبراج ومواقع دفاعية

(٦) لمزيد من المعلومات الفنيّة والمعماريّة عن سور القدس في العهد العثمانيّ، ارجع إلى: العابدي، محمود، قدسنا، قسم البحوث والدراسات الإسلاميّة، طبع ونشر المنظمة العربيّة للتربيّة والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربيّة (بدون)، ص ص ١٠٧-١١٠.

(٧) العارف، عارف، تاريخ القدس، دار المعارف بمصر، ١٩٥١م، ص ١٠٤.

وطلاقيات . ويبلغ طول الأسوار (٤٣٢٦) ياردة . وفي الوقت الحالي توجد للمدينة خمس بوابـات : باب الخليل (أو باب يافـا أو بيت لحم) من ناحية الجنـوب وهو بالقرب من القلعـة ، وباب دمشق (باب العمود) من ناحية الشمال وباب القديس استيفان (باب الأسباط) من الشرق ، وباب المغاربة الذي يؤدي إلى بلدة سلوان ، وباب النبي داود من ناحية الغرب» .[٨]

وقد رمم السلطان القانونيّ قلعة القدس الواقعة خارج أسوار المدينة بين باب الخليل وباب النبي داود ، وهي تشرف على المناطق الغربيّة والجنوبيّة المحيطة بالمدينة المقدسة . والقلعة التي رممها السلطان القانونيّ يعود بناؤها إلى عهد الملك الأيوبيّ عيسى بن الملك العادل . ويستدل على ذلك من خلال ما وجد عليها من كتابة ، إذ كتب عليها العبارة الآتية :

«بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، من (أمين) : أسس بنائه على تقـوى نصر من الله وفتـح قريب . وعمل هذا البرج المبارك مولانا الملك المعظم شرف الـدنيا والـدين عيسى بن الملك العادل بن يوسف ابن أبي بكر بن محمد بن أيوب بن شادي خلد الله دولته وتولى عمارته عز الدين وعمر عمارته بأرض فلسطين في شهور سنة عشر وستماية وإلى فضل العالمين» .[٩]

ولم يكتف السلطان القـانـوني بعملية الـترميم والتجديد ، وإنما أمر بإضافة عمران جديد إليها ، تناول إنشاء المساكن ومئذنة مستديرة في مسجد القلعة . وجدير بالذكر هنا أن ترميم القلعـة جاء قبـل ترميم السـور وتجـديده ، وكـان ترميمهـا في عام ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م . وترميم القلعة هذه يدل على مدى اهتمام الدولة العثمانية بوسائل الدفاع عن المدينة المقدسة ، بالإضافة إلى كونها منشأ أمينا استراتيجيا يقيم فيه الجند العثمانيّ كخط أمنيّة وإداريّة تتطلبها الإدارة العثمانيّة في المنطقة .

وأنشـأ السلطان القانوني برجا للمراقبة قرب باب الخليل سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م ، وهو يقع على يمين من يدخل من باب الخليل أحد أبواب القدس الشريف ،[١٠] وهو أمر

---

(٨) سليمـان موسى ، رحلات ، ص ١٧٣ .

(٩) العابديّ ، قدسنا ، ص ١١٠ ، ١١١ .

(١٠) العارف ، تاريخ القدس ، ص ١٠٤ .

انظر أيضا :

د. عبد الفتاح أبوعلية ، بيت المقدس في العهد الإسلامي ، ضمن موضوعات عن القدس في كتاب : تاريخ مدينة القدس لمؤلفيه الأستاذ رفيق النتشة والدكتور إسماعيل ياغي والدكتور عبد الفتاح حسن أبوعلية ، دار الكرمل ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٤٣ وما بعدها .

يظهر مدى اهتمام الدولة العثمانيّة بالأمور الحربيّة والمنشآت المعماريّة ذات الطابع العسكريّ، وهو أمر تهتم به الدولة كثيراً.

وأنشأ العثمانيون قلعة حربية جديدة بالقرب من القدس عام ١٠٤٣هـ/ ١٦٢٣م، أنشأها السلطان العثمانيّ مراد الرابع، وسميت باسمه، وعرفت لدى الجميع باسم قلعة مراد، وعمرها العثمانيون عند برك سليمان الواقعة على طريق مدينة الخليل، وهي البرك التي تزود بيت المقدس بالمياه الصالحة للشرب، وذلك بعد أن قام متمردون أشقياء بقطع الطريق، وتخريب منابع المياه التي يشرب منها السكان في المنطقة. وأنشىء في داخل القلعة المراديّة مسجد وخمسون غرفة لإقامة الجند العثمانيّ المرابط بالقلعة لحماية الأمن في المنطقة، ولحراسة مصادر المياه التي يشرب منها سكان المدينة المقدسة. وتذكر المصادر أن حراس القلعة المراديّة كانوا في حدود أربعين عسكريا تحت رئاسة دزدار، ومعهم أسلحتهم التقليدية إلى جانب عدد من المدافع.[١١]

وجدير بالذكر هنا أن بناء القلعة لم يكن الغرض منه أمن برك سليمان فحسب، وإنما كان الهدف منه أيضا حفظ الأمن والاستقرار على طول الطريق الواصل بين القدس والخليل والمناطق المجاورة للمدينة المقدسة، فهي قلعة حربيّة أمنيّة الهدف منها المحافظة على الاستقرار والهدوء، ولتكون محطة استراتيجية من محطات الدولة العثمانيّة ذات الأغراض الحربيّة والأمنيّة، ولتكون نقطة ارتكاز عسكري تحيط بالمدينة المقدسة من أجل حمايتها والمحافظة على الأمن فيها.

(١١) العارف، تاريخ القدس، ص ١٠٥.
- يذكر الرحالة الإنجليزي ج. س. بكنجهام الذي زار القدس وبيت لحم عام ١٨١٦م، إنه شاهد قلعة إسلاميّة قديمة قرب برك سليمان، وهي قلعة ضخمة وفي أسوارها فتحات لإطلاق النار وكتابات عربيّة فوق بابها. وذكر أنه على الأغلب أنها من منشآت المسلمين الذين فتحوا هذه البلاد. والصواب أنها تعود إلى العهد العثمانيّ
أنظر: سليمان موسى، رحلات، ص ٢٢.
- ترجم الأستاذ سليمان موسى مايهم القارىء العربيّ من رحلات ج. س. بكنجهام الإنجليزي الذى نشرها مؤلفها تحت عنوان:
J.S. Buckingham, Travels in Palestine, through the Countries of Bashan and Glead East of the River of Jordan (London, 1821)
وترجم مايهم القارى العربي من كتاب المنصر الإنجليزي د. م. تومسون، وعنوانه:
Rev. W.M Thomson, The Land and the Book (London, 1879).
وترجم أيضا ما يهم القارىء العربي من كتاب وليم دكسون، وموضوعه:
Wiliam hipworth Dixon, the Holy Land, vol. I (Leipzig, 1865).

ثانيا: المنشآت الدينيّة:

اهتمت الدولة العثمانية بأمر العمارة الدينية في القدس الشريف، وأعني بالمنشآت الدينية هي كل العمارة التى لها صلة بالشؤون الدينيّه في المدنة المقدسه نلك المنشآت الدينيّة التي تخص المسلمين والنصاري واليهود على حد سواء، دلالة على عناية الإسلام والمسلمين بأمر المقدسات لدى أتباع الديانات السماوية الثلاث: الإسلام، والنصرانيّة، واليهوديّة، وجميعها ذات صلة بالمدينة المقدسة وفلسطين. وما دام أن الإسلام يحفظ حرية كل الأديان وأتباعها دون تفريق أو تمييز، وكأمر رباني لا نقاش فيه، وعليه فإن رعاية القدس والاهتمام بها وبسكانها في صورة طبيعيّة وواقعيّة أمر منوط بالمسلمين.[١٢]

فمنذ مطلع العهد العثمانيّ أهتم سلاطين الدولة العثمانيّة بالعمارة الدينيّة في المدينة المقدسة، بخاصة في عهد السلطان سليمان القانونيّ الذي أمر عام ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م بإصلاح عمارة الصخرة المشرفة، فأصلحت قبة الصخرة من الخارج، ورممت طبقة الفسيفساء التي كانت تغطي القبة من الخارج. وبلطت قبة الصخرة من الداخل بالرخام الأبيض في نصفها السفلي، والقاشانيّ الأزرق في نصفها العلوي، وكتب في هذا النصف سورة يس بالأبيض.[١٣] وعمر الباب الغربيّ للقبة.

وأمر السلطان القانونيّ بتعمير جدران المسجد القدسيّ الشريف وأبوابه وأغلق الباب الذهبيّ للمسجد، وفتح باب ستنا مريم عوضاً عن الباب الذي أغلقه.[١٤] ونالت عمارة الصخرة المرفة عنايته واهتمامه، وغدت مظهراً عمرانيّاً رائعاً في الجمال من الداخل والخارج.

وأمر القانونيّ بناء مسجد الطّور فوق جبل الزيتون عام ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م، قرب كنيسة الصعود، وحوّل مقام النبي داود إلى مسجد، وبنى عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م محراب النبيّ غربيّ الصخرة المشرفة من جهة الشمال بينها وبين قبة المعراج[١٥] واهتم بأمر حائط البراق (حائط المبكى)، فأمر برفع الأوساخ والقمامة والأتربة من أسفله. ورفع

---

(١٢) د. عبد الفتاح أبو عليه، و د. عبد الحليم عويس، بيت المقدس، دار المريخ، ١٩٨١م، ص ٨٥.

(١٣) العابدي، الآثار الإسلاميّة في فلسطين والأردن، من موضوع قبة الصحرة.

(١٤) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، جـ ١. القسم التاني، بيت المقدس، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٦م ص ٨.

(١٥) العارف، المفصل في تاريخ القدس، القدس، ١٩٦١م، ص ٣٠٧.

الحائط ستة مداميك من الحجارة الصغيرة بنيت فوق الحائط القديم قبل الإضافة العثمانيّة. ويرجع بناء الحائط القديم إلى عهد هيرودس في القرن الأول الميلادي، وهيرودس هذا يعود إليه بناء سور القدس القديم.[١٦]

ولابد لنا من الإشارة إلى أن عهد السلطان القانونيّ قد تميز عن غيره بالاهتمام بشؤون المدينة المقدسة، وقد خلفه عدد من السلاطين لم يولوا القدس عنايتهم الخاصة،[١٧] أذكر منهم السلطان سليم خان الثاني ابن السلطان القاونيّ من زوجته الروسيّة روكسلانة، وابنه مراد خان الثالث، والسلطان محمد خان الثالث ابن السلطان مراد الثالث، وابنه السلطان أحمد خان الأول، والسلطان مصطفى خان الأول أخو السلطان أحمد الثالث، وعثمان خان الثاني ابن السلطان أحمد الأول. إذ أن المتتبع لأعمال هؤلاء السلاطين لم يجد مشروعات عمرانيّة أو مشروعات إضافة وترميم وتجديد لهم في القدس الشريف. واعتقد أن مرد ذلك يعود إلى:

١ ــ إن المنشآت العمرانيّة التي أنشئت في القدس في عهد السلطان القانونيّ كانت منشآت واسعة وكبيرة وأعطت المدينة المقدسة جانباً من مستلزماتها العمرانيّة: الحربيّة والدينيّة والاجتماعيّة.

٢ ــ انشغال عدد من السلاطين العثمانيين في الأمور العامة والخاصة.

٣ ــ ما انتاب مدينة القدس من ثورات وفوضى في عهد كل من السلطان مصطفى الثالث كالخلافات القائمة بين النصارى الأرثوذكس والنصارى اللاتين الكاثوليك، وعهد السلطان محمود الثاني كثورة الانكشاريّة وتمردهم ضد السلطة[١٨]، وحركات الفوضي التي كانت تنتاب المدينة المقدسة بين الحين والأخر، ومايقوم به بعض الأفراد من قطع الطرق والاعتداء على منابع المياه دلالة على عدم الرضى على السلطة العثمانية المحليّة، أو دلالة على سوء الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة في البلاد.

---

(١٦) راشد، سيد فرج، القدس: عربية إسلاميّة، دار المريخ للنشر، الرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٦٢.

(١٧) كرد علي، محمد، خطط الشام، جـ٢، دمشق، ١٣٤٣هـ.

(١٨) انظر ذلك في كتاب:
- خلاصة تاريخ الكنيسة لمؤلفيه شحادة الخوري ونقولا.
- العورة، إبراهيم، تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، صيدا ١٩٣٦م، ص ص ٨٨-٨٩.

وبالرغم من كل تلك الحالات المزعجة للدولة العثمانيّة فقد بنى العثمانيون جامعا كبيرا في المدينة المقدسة سمى بجامع الحنابلة، وقد بني هذا الجامع الكبير في عهد السلطان أحمد خان الأول وهو من بين السلاطين الذين لم يركزوا اهتمامهم على شؤون المدينة المقدسة، إذ يأتي هذا العمل الديني استجابة لمطلب اجتماعي وآخر خيري. وفي عهد السلطان محمد الرابع أنشيء المصلى الواقع إلى جانب السبيل المسمى بسبيل شعلان في ساحة الحرم القدسيّ الشريف عام ١٠٦٢هـ/ ١٦٥١م. وأنشئت المئذنة الواقعة في داخل قلعة القدس عام ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م، والقلعة التي رممت في عهد السلطان سليمان خان القانونيّ.[١٩] وأن مثل هذه العمارة ذات الطابع الدينيّ تدل على مدى اهتمام السلاطين بالمسائل ذات الطابع الديني، خاصة في مدينة القدس الشريف، أرض الإسراء والمعراج، وأرض الأنبياء ابتداء بأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، وروي ابن عباس: «أن البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء، ومافيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي أو أقام فيه ملك». وهي أيضا فيها أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين.

وقد زار القدس الرحالة التركيّ أوليا جلبي عام ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م، ووصفها وصفا دقيقا إلى حد ما، وقد بنى وصفه هذا على ما شاهده بأم عينه بعد أن أقام في المدينة المقدسة وتجول فيها، فأورد في وصفه أن فيها في حدود ألفين وخمسة وأربعين دكانا، وستة خانات كبيرة وممتازة وفيها محتسب وأسواق وثلاثة وأربعون ألف كرم عنب، ومدح خبزها وخضارها وثمارها. وأورد عدد سكانها فذكر أنهم كانوا في حدود ستة وأربعين ألف نسمة في معظمهم من المسلمين. وذكر أن فيها مئتين وأربعين محرابا للصلاة، وسبع دور للحديث، وعشر دور للقرآن. وفيها ثلاث كنائس للروم الأرثوذكس من النصارى، وكنيسة واحدة للأرمن. ، وكنسيان لليهود، وتوجد فيها أربعون مدرسة للبنين، وستة حمامات، وثمانية عشر سبيلا للشرب، وتكايا لسبعين طريقة كالبدويّة والرفاعيّة والمولويّة والسعديّة وغيرها. ولكن أوليا جلبي لم يمتدح أمر الأمن في خارج أسوار المدينة المقدسة، إذ أنه كان مفقودا خارج الأسوار، وكانت القدس وقتذاك تابعة لولاية طرابلس الشام.[٢٠]

---

(١٩) العارف، تاريخ القدس، ص ١٠٥.

(٢٠) العراق، تاريخ القدس، ص ص ١٠٥-١٠٦.

- ألف أوليا جلبي كتابا عن رحلته سماه: أوليا جلبي سياحتنامه سي. وتوجد نسخة مصورة =

وفي عهد السلطان محمود خان الأول ابن السلطان مصطفى خان الثاني جددت عمارة مسجد القلعة عام ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م. وجدير بالذكر هنا أن أوضاع القدس وقتذاك كانت تتأرجح بين الهدوء النسبيّ وبين حالات من الفوضى والقلاقل في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلاديّ، كثورة نقيب الأشراف السيد محمد عام ١١٦٤هـ/ ١٧٠٥م. في عهد السلطان أحمد خان الثالث، وقد أخمدها والي دمشق، وفتنة القدس عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م، التي وقعت في بيت المقدس بين النصارى من الروم الأرثوذكس والنصارى الإفرنج اللاتين،(٢١) وغيرهما من الحوادث الكبيرة والصغيرة التي كانت عاملاً قوياً من عوامل عدم الاستقرار والأمن في بيت المقدس. وقد تكررت تلك الأوضاع في القرن التاسع عشر الميلاديّ في العشرينات منه.(٢٢)

وعلى الرغم من ثورة أهالي مدينة القدس عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م ضد المسؤولين العثمانيين بسبب الضرائب الباهظة التي كانوا يفرضونها على أهالي القدس، وبالرغم من تمرد جماعة الجند الأنكشاريّ بعد أن أمر السلطان محمود الثاني بحل فرقهم وبناء جيش عثمانيّ جديد على أثر التنظيمات العسكريّة الجديدة، فعلى الرغم من هذا كله فقد أحدث العثمانيون إصلاحات عمرانية في القدس الشريف في عهد السلطان محمود الثاني، فرمم سليمان باشا والي إيالة صيدا وطرابلس الشام المسجد الأقصى، وقد دفع جزءاً كبيراً من تكلفة الترميم من جيبه الخاص. وكان سليمان باشا رجلا محبا لأعمال الخير، فقد زار

= من هذا المخطوط في مكتبة المتحف الوطنيّ الفلسطينيّ في مدينة القدس، ونسخة أخرى باللغة الإنجليزيّة كان قد ترجمها وضبط حواشيها الأستاذ اصطفان حنا اصطفان. انظر: السائح، عبد الحميد، القدس: تاريخا وحضارة ومستقبلا، بحيث قدم إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين» في ١٩-٢٤ نيسان ١٩٨٠م/ الموافق ٤-٩ جمادى الثانية ١٤٠٠هـ، ص ٧٨.

(٢١) انظر:
- العارف، تاريخ القدس، ص ١٠٦.
- الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس، جـ ٢، ص ٩.
- ميخائيل بيك الدمشقيّ، تاريخ حوادث الشام ولبنان، ١٧٨٢-١٨٤١م، نشرة الأب لويس معلوف، بيروت ١٩١٢م، ص ٦١ ومابعدها.

(٢٢) يقول الرحالة الإنجليزيّ بكنجهام الذي زار القدس عام ١٨١٦م: «إن المدينة لم تكن مركزا تجاريا مهما، والسكان فقراء، والبضائع قليلة، وكان من نتيجة ذلك أن مستلزمات المعيشة هنا مرتفعة الثمن. ارجع إلى: سليمان موسى، رحلات في الأردن وفلسطين، مترجم، ص ٢٠، ٢١.

القدس عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م، وأطلعه المسؤولون عن المسجد الأقصى على الخراب الذي حل به بالمسجد، والحاجة الماسة إلى ترميمه، فلبى سليمان باشا طلبهم، وأستأذن من السلطان محمود بعمل الترميمات اللازمة على نفقته شخصيا. وكان سليمان باشا يرجو من السلطان أن يساعده في هذا الأمر لأن تكاليف الترميم عالية وهي فوق مقدوره، ولكن السلطان لم يفعل ذلك، واكتفى بإصدار أوامره بالموافقة على طلب سليمان باشا. وتضمن الفرمان السلطاني المديح والثناء على سليمان باشا، «ولأجل حسن صداقته صار معتمد السلطنة السنية، وتوكل من طرف ملوكا نيته لعمل هذه الخيريّة الجسيمة، وهي عمار وترميم محلات عرش الله الأدنى وتنظيمها كالواجب». (٢٣)

وقد رمم جميع الخراب، وغيرت سقوف المسجد الثلاثة، والرفوف، وسقوف الأروقة كلها، وغير الرصاص الكائن على جميع الأسطح الذي تخرب من طول المدة، وغير القاشانيّ كله، وجددت كل الدرابزينات، وغير ذلك من الإصلاحات العمرانيّة الضروريّة للمسجد الأقصى. واستخدمت أخشاب لبنان لهذه الغاية. وأنشىء معمل خاص للقاشانيّ في القدس، وجلب له الصناع المهرة من الشام وغيرها، وذلك لإنجاز مشروع التجديد وتسهيل المهمة. ونقش على القاشانيّ المثبتة كتابات جميلة، فورد نص مكتوب بخط الثلث: «بسم الله الرحمن الرحيم، جدد ترميم هذه القبة الشريفة مولانا سلطان البرين وخاقان البحرين وخادم الحرمين الشريفين، وهذا المسجد الأقصى أولى القبلتين، المجاهد في سبيل الله تعالى المحفوف بعناية الله المعبود مولانا السلطان محمود خان ابن السلطان عبد الحميد خان خلد الله ملكه مدى الزمان، وذلك على يد الوزير صاحب الخيرات والتدبير سعادة الحاج سليمان باشا والي إيالة صيدا وطرابلس الشام أدام الله دولته وإجلاله، وذلك سنة ثلاث وثلاثين ومئتين وألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم، بقلم الضعيف مصطفى علي أفندي المأمور من جانب الدستور». (٢٤)

ورمم سليمان باشا مقام النبي داود، ونقشت على زاوية بابه العبارة التالية:

«جدد تعمير هذا المكان الشريف والبناء الساطع المنيف مع ترخيم الروضة بالرخام اللطيف مولانا السلطان الأعظم محمود خان خلد الله ملكه وسلطنته وزاد بالتوفيق أيامه وأحكامه، وذلك على يد سعادة الدستور الوزير صاحب الحسنات والخيرات الحاج

(٢٣) الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس، جـ ٢، ص ١٣.
(٢٤) الدباغ، المرجع السابق، ص ١٤.

سليمان باشا بلغه الله ماشاء والي صيدا. بمباشرة مصطفى علي أفندي المأمور، وذلك في سنة ١٢٣٣هـ». (٢٥)

وتجدر الإشارة هنا أن أموالا كثيرة أنفقت في سبيل تلك العمليات التعميريّة والترميميّة التي قام بها الوالي سليمان باشا في عهد السلطان محمود خان الثاني، وقد بلغت تلك النفقات في حدود أربعة آلاف كيس من النقود العثمانية، واستغرقت تلك العملية في حدود سنة وتسعة أشهر. (٢٦) وسمح السلطان محمود الثاني للنصارى اللاتين ببناء عدة غرف في ديرهم في بيت المقدس.

ولم تحظ المدينة المقدسة بعناية محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا لأن عهد محمد علي وسيادته على بلاد الشام كان عهد تثبيت للحكم ومحاولة إيجاد نوع من الأمن والاستقرار في عهد جديد منفصل عن الدولة العثمانيّة بعد حركة الانفصال التي قام بها محمد علي باشا ضد السيادة العثمانيّة. ومما زاد في تعقيد الأمر حدوث ثورة عنيفة في القدس وأرجاء فلسطين عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م ضد إبراهيم باشا الحاكم العام في بلاد الشام، وضد سيادة محمد علي، ويعود سببها إلى: صدور الأوامر الخاصة بجمع جميع السلاح من الأهالي مهما كان نوعه، وفرض عوائد مالية ورسوم جديدة على السكان. وإعلان التجنيد الإجباريّ وفرضه على الأهالي وما نتج عنه من نتائج اقتصاديّة واجتماعيّة ذات أثر سيىء على السكان، وشدة إبراهيم باشا في تطبيق الأوامر والقرارات، وتحريض السلطة العثمانية على الثورة، كل هذا أجج الثورة الأهليّة في القدس ومدن فلسطين وقراها. (٢٧) ومما زاد في متاعب أهالي القدس وغيرهم ما حل ببلادهم من مرض الكوليرا الذي أفندي بشرا كثيرا بين عامي ١٢٥٤-١٢٥٥هـ/ ١٨٣٨-١٨٣٩م، وكلها أمور حدثت في عهد سيادة محمد علي.

وعلى الرغم من هذا الوضع القائم في القدس في عهد محمد علي باشا، إلا أنه اضطلع ببعض المسؤوليات والمشروعات العمرانيّة في القدس ذات الصفة الدينيّة مثل: تصريحه لليهود بترميم كنيسهم في بيت المقدس على شرط ألا يزيدوا شيئاً على المباني القديمة فيه. (٢٨) ورفض محمد علي طلب اليهود بتبليط حائط البراق (المبكى)، فأصدر

---

(٢٥) الدباغ، نفسه، ص ١٤.

(٢٦) الدباغ، نفسه، ص ١٤.

(٢٧) د. رافق عبد الكريم، العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م، دمشق، ١٩٧٤م، ص ٤٠٨.
- العارف، تاريخ القدس، ص ص ١١١-١١٥.

(٢٨) الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس، جـ ٢، ص ٢٠.

أمره القاطع إلى ابنه إبراهيم باشا في ٢٢ محرم ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م: «بوجوب منع اليهود من تبليط البراق في القدس، وعن رفع أصواتهم فيه، وإبقاء القديم على قدمه عملا بنصوص الشرع الشريف».[٢٩] وكان الحاج محمد شيخ المغاربة بالقدس الشريف قد وجه عريضة إلى إسماعيل عاصم بيك حكمدار حلب يطلب فيها منع اليهود من تبليط حائط البراق وإحداث أي جديد فيه، وقد أيد هذا الطلب مجلس شورى القدس.[٣٠] وهو أمر مشهود إلى إدارة محمد علي وحكمه في فلسطين.

ومن محاسن حكم محمد علي في فلسطين خاصة بالنسبة للمدينة المقدسة، فقد وافق على إنشاء مجلس شورى للمدينة المقدسة يتعاون مع مديرها للنظر في الأمور الخاصة بها ومعالجة بعض مشكلاتها العموميّة ومن محاسن حكم محمد علي باشا في القدس أنه صادق على قرار مجلس الشورى برفض السماح لليهود بشراء الأملاك والأراضي بالمدينة المقدسة، ومنعهم من شراء الأراضي الزراعية وممارسة الزراعة والحراثة وبيع الأغنام والمواشي والأبقار، وسمح لليهود بالعمل في التجارة فقط. وصدر قرار من محمد علي بعدم السماح «ببيع الأراضي في القدس الشريف ونواحيها إلى اليهود الأجانب نظرا لعدم وجود مسوغ شرعي لهذا العمل».[٣١]

ويتضح لنا أن العثمانيين زادوا من اهتمامهم بشؤون المقدسات الدينيّة في مدينة القدس في أعقاب حكم محمد علي باشا لبلاد الشام، وأرى أن مرد ذلك يعود لأسباب من أهمها:

١ - تبني الدولة العثمانية استراتيجيّة جديدة تجاه الولايات العربية بعد معاهدة لندن عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م.

٢ - ليوازي هذا الجهد المرحلة الجديدة من مراحل حكم الدولة العثمانية في بلاد الشام، وهي استجابة ضرورية من أجل تقبل السكان للوضع العثمانيّ الجديد، بعد أن شعر الأهالي في كل ولايات بلاد الشام بأن السيادة العثمانيّة سيادة ضعيفة، وأن حماية الدولة لهم ليست بالقدر المؤمل منه.

٣ - كي تقنع الدولة العثمانيّة سكان القدس وسكان بلاد الشام بخاصة، ورعاياها

(٢٩) من وثائق المحفوظات الملكية المصريّة، حوادث عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، محفوظات جـ ٤، ص ٣٠٩، نقلاً عن الدباغ، المرجع السابق، ص ٣١.
(٣٠) من الوثائق نفسها، ص ص ٢٨-٣١.
(٣١) الدباغ، نفسه، ص ٢٢.

المسلمين بعامة، أنها تعني بأمور مقدساتهم والمحافظة عليها كوسيلة دعائيّة إعلاميّة من أجل إرضاء العالم الإسلاميّ، واقناعه بأن الدولة العثمانية مازالت على نهجها الأول.

وعليه فقد عني السلطان عبد المجيد خان بالمقدسات الإسلاميّة في القدس، فأمر بترميم قبة الصخرة المشرفة تحت إشراف مهندس أرمنيّ خبير ببناء القباب اسمه قره بت. فقام هذا المهندس وفريقه من البنائين بتقوية القبة المشرفة وترميمها، وترميم جميع التزيينات والنقوش فيها، ودام هذا الترميم والإصلاح في القبة المشرفة بضع سنين،[٣٢] وعدّ هذا الترميم من أكبر المشروعات العمرانيّة وأوسعها التي شملت عمران القبه في عهد السلاطين العثمانيين.

وعني السلطان عبد العزيز خان الذي خلف أخاه السلطان عبد المجيد بأمر المقدسات الإسلامية في القدس، ففي عهده أنشئت مباني كثيرة في الحرم القدسي الشريف، فأنفق في سبيل ذلك حوالي عشرين ألف لبرة عثمانيّة. وأنفق السلطان عبد العزيز مبلغ ثلاثين ألف ليرة ذهبية عثمانيّة. في سبيل إعمار المسجد القدسيّ الشريف (المسجد الأقصى منه) وزخرفته. يقول الأستاذ عارف العارف في هذا الصدد: «وقصارى القول إن العمارتين اللتين أجريتا في زمن السلطان عبد المجيد ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، والسلطان عبد العزيز ١٨٧٤م، كانتا من أضخم العمارات التي تمت في مسجد الصخرة بعد أن بناه عبد الملك بن مروان. وقد استمرتا عددا من السنين، وشملتا بناء الصخرة الأساسي ونقوشها الداخلية لاسيما العمارة التي تمت في زمن السلطان عبد العزيز، يقول الخبيرون: إن هذه العمارة كلفت خزانة الدولة مقادير كبيرة من الذهب الخالص (عيار ٢٤)، وأن عمله اعتبر إسرافا وكان من جملة الأسباب التي أدت إلى خلعه». [٣٣]

وفي عهد السلطان عبد العزيز بني مسجد المغاربة[٣٤] عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧١م نسبة للسكان المسلمين من المغاربة الذين يعيشون في مدينة القدس[*] حيث إن كل رعايا الدولة العثمانية يحق لهم التنقل والإقامة في أي مكان يشاءون، إذ لاتوجد حدود رسمية

(٣٢) العارف، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، القدس، ١٩٥٠م، ص ٩٤، ٩٥.

(٣٣) العارف، تاريخ قبة الصخرة، ص ٩٥.

(٣٤) العارف، تاريخ القدس، ص ١١٩.

(*) لمزيد من المعلومات عن الجاليه المغربيّة في القدس، ارجع إلى: د. رشاد الإمام، مدينة القدس في العصر الوسيط، تونس، ١٣٩٦هـ.

بين الولايات العثمانية، وعليه وجد حي في القدس سمي بحي المغاربة.

وفي عهده أيضاً رمم المسجد العمري الكائن على مقربة من كنيسة القيامة،(٣٥) وعلى المكان الذي يعتقد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صلى فيه عندما حان وقت الصلاة وهو موجود في داخل كنيسة القيامة، فأبي أمير المؤمنين أن يصلي داخل الكنيسة، بل أدى الصلاة بالقرب منها محافظة منه على الأماكن المقدسة للنصارى، ورعاية منه لأمورهم العامة.

وفي عهد هذا السلطان حدث اختلاط كبير بين الأتراك العثمانيين وبين إخوانهم سكان القدس نتيجة قيام الأتراك منذ عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م بزيارة القدس الشريف والاختلاط بأهلها، مما ساد العلاقات التركيّة العربيّة جو من التفاعل والامتزاج والتعاون والمحبة، حتى أن أهالي القدس أخذوا عن العثمانيين عادة لبس الطربوش لباس الرأس الذي قيل إن العثمانيين نقلوه عن اليونانيين وكان اليونانيون بدورهم قد أخذوه عن سكان مدينة فاس المراكشية.(٣٦)

وقد أمدنا المنصر الإنجليزي تومسون بوصف جيد عن أحوال القدس في أواخر عهد السلطان عبد المجيد، فيقول: «... وعلى حين غرة شاهدنا القدس، بدا لنا جبل الزيتون أولاً، ثم رأينا الأسوار القديمة. أنظر، هاهي قبة مسجد الصخرة ترتفع فوق سواها من أبنية المدينة، ياله من منظر رائع: منظر المدينة المقدسة والشمس تلقي عليها أضواءها الساطعة من ناحية الغرب.. إن المدينة، كما هو معروف تقوم داخل سور يتراوح ارتفاعه من (٢٥) إلى (٥٠) قدما، تبعا لارتفاع مستوى الأرض التي أقيم عليها السور أو انخفاضه. وللسور أبراج وحصون وطلاقات على مسافات منتظمة، وتتخلله بوابات تخضع للحراسة الدائمة وتغلق بانتظام عند غروب الشمس. وجدار السور عريض في أماكن متعددة بحيث يسهل الوقوف والسير عليه وتتألف القدس في الوقت الحالي من أربعة أحياء: الحي الإسلاميّ، والحي اليهوديّ، وحي الروم، وحي

(٣٥) السائح، عبد الحميد، القدس، ص ١١٩.
العارف، تاريخ القدس، ص ١١٨، ١١٩.

(٣٦) العارف، تاريخ القدس، ص ١١٨-١١٩.
- يذكر الأستاذ العارف أن أصل كلمة طربوش هي «سر بوش» هي كلمة فارسية تعني لباس الرأس. وانتقل الطربوش إلى تركيا من بلاد اليونان الذين كانوا بدورهم قد نقلوه عن أهل فاس المغربيّة.
انظر: العارف، تاريخ القدس، ص ١١٩.

اللاتين، وهكذا ترى أن الأديان السماويّة الثلاثة تلتصف في مدينة واحدة . . . ولا توجد في القدس صناعات، ولكن بعض الناس يعملون في صنع المسابح وعلب خشب الزيتون وغير ذلك من المصنوعات ذات المعنى الدينيّ، والتي يقبل عليها السياح . . .، وجدنا من العسير أن نفهم كيف يتدبر السكان أسباب معيشتهم، ولكن علينا أن نذكر اليهود يتلقون إعانات من إخوانهم في الدين الأغنياء في الأقطار الأخرى، كما أن أديرة النصارى المتعددة تساعد على إنعاش الحالة الاقتصادية، أما الأسابيع التي يقضيها الحجاج في البلاد، فإنها تشكل المورد السنويّ الرئيسٌ بالنسبة لسكان المدينة. . لاحظنا شوارع المدينة لاتضاء أثناء الليل، ومن هنا فإن تعليمات رجال الأمن تقضي على كل من يخرج من منزله ليلا أن يحمل معه مصباحا . . . وهكذا فإن الأمن مستتب في داخل الأسوار. . . وفي صبيحة أحد الأيام جاء ترجماننا يعلن أن اللصوص سطوا على جماعة من الإنجليز كانوا يقضون ليلتهم خارج السور، وقد ظن هؤلاء أنه لا خطر عليهم فلم يبادروا إلى الاتفاق مع البدو لتأمين الحماية لأنفسهم . . . وقد اعتبر البعض أن هذه الجماعة نالت جزاءها لأنها لم تتفق مع أحد الشيوخ على توفير الحماية لها» . (٣٧)

وجدير بالذكر هنا أن إدارة شؤون المدينة المقدسة انفصلت عن تبعيتها للشام، وأصبحت في عهد السلطان عبد العزيز خان متصرفيّه مستقلة ترتبط مباشرة بالباب العالي عن طريق نظارة الداخلية في استانبول . (٣٨)

وفي عهد السلطان عبد العزيز زار الأمير فردريك ولي عهد مملكة بروسيا المدينة المقدسة عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م، فأهداه السلطان قعطة أرض كانت تشكل جزءاً من المستشفى الصلاحيّ، فبنى البروسيون عليها كنيسة سميت بكنيسة الدباغة أو كنيسة المخلص التي دشنها الأمبراطور غليوم الثاني يوم زيارته للقدس عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، وقد هدم له السور بالقرب من باب الخليل ليدخل إلى المدينة وهو راكب على حصانه . (٣٩)

---

(٣٧) من رحلة طومسون إلى القدس من كتاب رحلات في الأردن وفلسطين، ترجمة سليمان موسى ص ٢٣٠، ٢٣١ .

(٣٨) الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس، جـ ٢، ص ٤٢ .
- العارف، تاريخ القدس، ص ١١٨ .

(٣٩) الدباغ، المرجع السابق، ص ٤٢ .
- جريدة فلسطين الصادرة في يافا، عدد ٢ أكتوبر ١٩١٢م، نقلا عن الدباغ، المرجع السابق، ص ٤٢ .

وفي عهده أيضا منح اليهود قطعة أرض أقيمت عليها مدرسة نيتر الزراعية بالقرب من يافا عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م. وفي عهد سابقة السلطان عبد المجيد امتلك اليهود أول أرض في المدن الفلسطينيّة عام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م، وهي القطعة التي أقيم عليها حي يهوديّ اسمه حي مونتيفيوري في بيت المقدس نسبة لليهودي الإنجليزي مونتيفيوري الذي زار فلسطين عدة مرات وكان هذا من مشجعي فكرة الاستيطان اليهوديّ في فلسطين، ونشر التعليم الزراعيّ بين أبناء قومه اليهود المقيمين في فلسطين.[٤٠]

ويلحظ من الفرمان السلطاني الخاص بافتتاح مدرسة شارل نيتر أن الهدف منها ترقية الزراعة وتطويرها في البلاد الفلسطينيّة، فجاء في الفرمان السلطانيّ المؤرخ في ٤ محرم ١٢٨٧هـ/ ٥ أبريل ١٨٧٠م والموجه إلى الفرنسيّ اليهوديّ شارل نيتر. «سيفتح المكتب المذكور لتعليم فن الزراعة والفلاحة المرغوبة وترقيته في بلاد دولتي العلية... ويكون تابعا لقوانين الدولة العليا تحت نظارة المعارف وتحت حمايتي السنية».[٤١] ولا يخفى على الجميع أن هدف اليهود من وراء كل تلك المحاولات هو استيطان فلسطين، وتثبيت الكيان اليهوديّ فيها.

وتابع السلاطين العثمانيون مسيرة الاهتمام بالشؤون الدينيّة في القدس، ففي عهد السلطان عبد الحميد الثاني زود مسجد الصخرة والمسجد الأقصى بعدد كبير من الثريات الثمينة التي علقت في المسجدين الشريفين. وفرش المسجدين بالسجاد الفاخر. وكتبت سورة يس بخط الثلث في مسجد الصخرة المشرفة. ووضع هلال فوق قبتها. وقد انفق السلطان عبد الحميد الثاني على تعمير المسجد القدسيّ (المسجد الأقصى ومسجد الصخرة) وزخرفته ثلاثين ألف ليرة ذهبية عثمانيّة،[٤٢] عدا السجاد الذي كلف في حدود عشرة آلاف ليرة ذهبية عثمانيّة.[٤٣]

---

(٤٠) الدباغ، نفسه، ص ٤٠، ٤٢.

(٤١) جريدة فلسطين الصادرة في يافا، عدد ٢ أكتوبر ١٩١٢م، نقلا عن الدباغ، المرجع السابق، ص ٤٢.

- لمزيد من المعلومات ارجع إلى: خيرية قاسمية، النشاط الصهيونيّ في الشرق العربيّ وصداه ١٩٠٨-١٩١٨م، مركز أبحاث منظمة التحرير، بيروت ١٩٧٣م، ص ١٤.

(٤٢) العارف، تاريخ قبة الصخرة، ص ٩٥.

(٤٣) مذكرات هرتزل، تل أبيب ١٩٣٤م. وقد نشرت مترجمة إلى اللغة العربيّة في بيروت ١٩٧٣م.

حلاق، حسان، موقف الدولة العثمانيّة من الحركة الصهيونيّة ١٨٨٧-١٩٠٩م، بيروت ١٩٧٨م.

Neville Mandel, turks, Arab and Jewish Immigration into Palestine, (Oxford, 1965).

وبالنسبة للقضية الدينية وأمر المقدسات الإسلامية في فلسطين فإن السلطان عبد الحميد الثاني رفض أموال اليهود التي قدّمت له مقابل السماح لهم بإنشاء الوطن القوميّ اليهوديّ في فلسطين، حين أرسل إلى هرتزل وهو الذي عرض الأموال على السلطان رسالة يذكر فيها: «. . . أنا لست مستعد أن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد (فلسطين) لتذهب إلى الغير، فالبلاد ليست ملكي، بل هي ملك شعبي، وشعبي روى تربتها بدمائه، فيحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب» وعليه فإن السلطان عبد الحميد يعد سلطانا عثمانيا مناوئا للحركة الصهيونيّة ومخططاتها الاستعماريّة. وهذا حدث تاريخيّ يسجل للسلطان عبد الحميد بكل فخر واعتزاز.

ثالثا: المنشآت الاجتماعيّة:

أعني هنا بالمنشأت الاجتماعيّة تلك المؤسسات العمرانيّة ذات الصفة الاجتماعيّة، وتلك التي لها صلة اجتماعيّة كبيرة بأهالي بيت المقدس. ومن أهم هذه المنشأت. نذكر منها الآتي:

١ ـ المنشآت الاجتماعيّة الخاصة بالمياه:

عني العثمانيون بالمنشآت الاجتماعيّة الخاصة بالمياه التي يشرب منها أهالي القدس والزوار الذين يفدون إلى المدينة من أجل التقديس وزيارة الأماكن المقدسة فيها مثل الأماكن المقدسة الخاصة بكل من المسلمين والنصارى واليهود لأن القدس بلد مفتوح لكل أتباع الديانات السماويّة الثلاث.

وبناء عليه فقد أولى السلاطين العثمانيون المياه في القدس عناية خاصة. فرمم السلطان سليمان القانونيّ بركة السلطان الموجودة على طريق المحطة إلى الجنوب من باب الخليل. ورمم السبيل الكائن أمام باب بركة السلطان. والسبيل الواقع في طريق الواد، والسبل الواقعة في ساحة المسجد القدسيّ الشريف، مثل السبيل الكائن إلى الشمال من باب شرف الأنبياء، والسبيل الواقع في ملتقى الطرق المؤدية إلى طلعة التكيّة وباب الناظر أحد أبواب الأسباط، والسبيل الواقع عند باب السلسلة أمام المدرسة التنكزيّة.[٤٤] ومعروف أنه يوجد عدد غير قليل من السبل في مدينة القدس التي يشرب منها الناس وقد أفادت هذه المشروعات العمرانيّة الاجتماعيّة الناس كثيرا لأنها تأتي في

(٤٤) الدباغ، بلادنا، بيت المقدس، جـ ٢، ص ٨.
السائح، القدس، ورقة ٧٦

المقام الأول بالنسبة للمشروعات التي تهم السكان أهمية مباشرة. فوجود القنوات والسبل التي تيسر الماء للسكان يخفف عنهم عناء جلب الماء ومشقته من أماكن بعيدة.

وفي عهد السلطان محمد الثاني عمر متسلم القدس الشريف كنج أحمد أغا عام ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م قناة السبيل التي كانت تسيل فيها المياه المجلوبة إلى القدس من برك سليمان وماجاورها من عيون، ومن المياه الموجودة في منطقة العروب ليشرب منها أهالي المدينة. وكثيرا ما كانت تخرب هذه القناة مع مرور الزمن، وقد عمرت عدة مرات[٤٥] في أزمان مختلفة.

وفي عهد السلطان العثماني عبد الحميد خان الثاني جددت عام ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م عمارة السبيل الكبير الذي بناه السلطان المملوكيّ قايتباي. ويعدّ السلطان قايتباي من أشهر وأكثر السلاطين المماليك أبنية في القدس الشريف. فبنى سبيل القايتباي في ساحة المسجد القدسيّ، وباب القطانين، وهو بناء مربع الشكل فوقه قبة، وتحته صهريج تتجمع فيه مياه الأمطار أو مايصب في هذا السبيل من ماء يصله من برك سليمان الواقعة إلى الجنوب من القدس، ومن عين قارة[٤٦] وأنشأ في المدينة سبيلا جديدا قرب برج القدس.

٢ ـ المنشآت الاجتماعيّة : التكايا والأربطة والزوايا :

أنشأ العثمانيون عددا من التكايا في بيت المقدس بغرض إطعام الفقراء والمساكين وإيوائهم. ومن أشهر تلك التكايا التي أنشئت في العهد العثمانيّ. تكيّة الخاصكي سلطان التي أنشئت في عهد السلطان سليمان القانونيّ، وكانت زوجته الروسية روكسلانة هي التي أمرت بإنشائها في مكان عقبة المفتي بالقدس الشريف، وكان ذلك عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م. ولاتزال هذه التكيّة قائمة تحت إشراف دائرة الأوقاف الإسلاميّة في القدس، وهي تزود مئات الأنفار من الناس الفقراء والمساكين ببعض أنواع الأغذية والاحتياجات اليوميّة الأخرى. وتكيّة خاصكي سلطان ليست مهمة في مجال إطعام الفقراء والمحتاجين فحسب، وإنما هي معلم أثريّ عثمانيّ بالقدس الشريف. وأن ماينفق على هذه التكيّة يدفع من ريع الأوقاف التي وقفتها لها روكسلانة.[٤٧]

(٤٥) الدباغ، نفسه، ص ١١.
(٤٦) العابدي، قدسنا، ص ٩٩.
(٤٧) العارف، تاريخ القدس، ص ٣٠٧.
ـ السائح، القدس، ورقة ٧٦.

وأنشىء الرباط المسمى برباط بايرم جاويش في طريق الواد مقابل الطريق المؤدي إلى المسجد القدسيّ الشريف وباب الناظر، وقد أنشأه الأمير بايرم جاويش عام ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م[٤٨] وجميعها مسائل خيرية الهدف منها إقامة المشروعات الخيرية الاجتماعيّة ذات المردود الطيب على الفقراء من سكان القدس والمحتاجين منهم. وكانت مثل تلك المشروعات الخيريّة تخصص عادة للمقيمين في بيت المقدس وزوارها.

وقد أنشئت الزاوية الإبراهيميّة إلى الشمال من ضريح النبي داود، وهي نسبة إلى إبراهيم باشا، وقد أنشأها إبراهيم باشا في عهد سيادة محمد على باشا أثناء حقبة انفصاله عن الدولة العثمانية في الثلاثينات من القرن التاسع عشر الميلاديّ. وقد أعيد بناء زاوية المغاربة التي تقع بالقرب من حائط البراق، وهي في الأصل ترجع إلى العصر الأيوبيّ نسبة إلى المتصوف المغربيّ أبو مدين بن شعيب بن الحسين الصوفيّ، وكان ذلك عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م في عهد السلطان العثماني محمود خان الثاني.[٤٩]

٣ ـ منشآت اجتماعيّة أخرى:

لقد أنشأ العثمانيون المدارس، والمستشفيات، والحمامات التركيّة، والطرق في بيت المقدس تحسينا لحاله. فأنشئت المدرسة الرصاصيّة في حارة الواد عام ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني.[٥٠] وأنشئت المدرسة الرشيديّة عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م نسبة إلى رشيد بيك متصرف القدس.[٥١] وقد عملت تلك المدارس على تطوير التعليم في مدينة القدس، وقد أفاد منها السكان كثيرا.

وأنشأ العثمانيون عدداً من المستشفيات الحكومية التي تصرف عليها الدولة، ومن أشهر هذه المستشفيات المستشفى البلديّ الذي أنشىء في حي الشيخ بدر، ومعروف اليوم باسم مستشفى روميما، وهو يقع في غربيّ مدينة القدس، وقد عمر هذا المستشفى في عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، في عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني.

وتكثر الحمامات التركيّة العامّة في القدس منها: حمام ستنا مريم، و حمام العين، وحمام حمزة، وحمام الشفا، وحمام البطرك. وأنشأ السلطان عبد العزيز خان طرقا تربط المدينة

---

(٤٨) من تقرير أعدة مركز توتيق وصيانة الآثار، من مقال نشر في جريدة الشرق الأوسط، العدد ٤٧٧٤، الصادر يوم الثلاثاء في ٤/١٢/١٩٩١م.

(٤٩) من التقرير السابق.

(٥٠) العارف، تاريخ القدس، ص ١٠٤.

(٥١) الدباغ، بلادنا، القدس، جـ ٢، ص ٤٦.

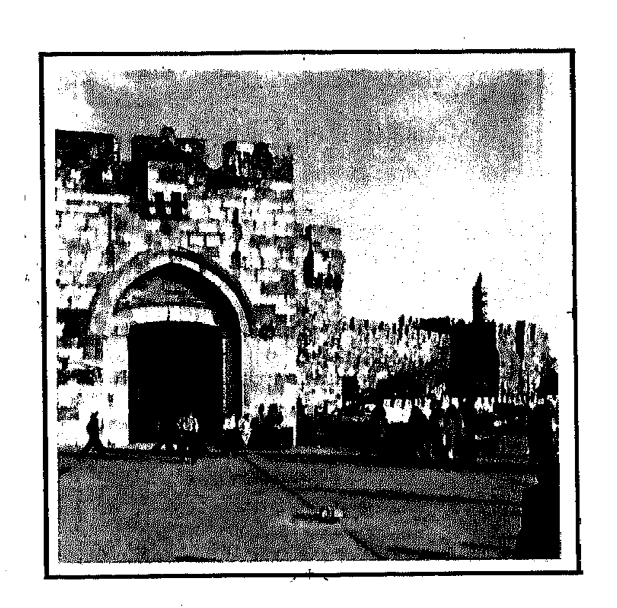
المقدسة بالمدن الفلسطينيّة المهمة. فأنشئت طريق القدس - يافا عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م، وطريق القدس - نابلس عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، ورصفت شوارع مدينة القدس وأسواقها بالحجارة.(٥٢) وقد أفادت هذه الطرق السكان في فلسطين، خاصة سكان المدينة المقدسة لأنها طورت الحياة الاقتصاديّة في المدينة بعد أن ربطت المدينة المقدسة بطرق مواصلات سهلت العملية التجاريّة، وسهلت أيضا حركة النقل والتنقل، وسمح محمد علي باشا لقنصل نابولي بإصلاح الطريق بين القدس ويافا على نفقته الخاصة، ومدت لأول مرة في فلسطين سكة حديد تربط القدس بمدينة يافا على ساحل البحر المتوسط، وذلك في عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. وقد أنعش هذا الخط الحديدي مدينة القدس والمنطقة المحيطة بها، كما أنعش البلدان والقرى الفلسطينيّة التي يمر بها هذا الخط. وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني انتشر البناء خارج سور المدينة، فراح الأهلي يبنون البيوت السكنيّة خارج سور المدينة إيذانا باتساعها وتطورها بعد أن ظل السكان يتقيدون بالبناء داخل أسوار المدينة. وهذا مؤشر واضح على الأمن الذي استتب خارج أسوار المدينة بعد أن ظل أشبه بمعدوم في فترات الحكم العثمانيّ المتعاقبة. وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني استعمل اللاسلكي في المدينة المقدسة.(٥٣)

ويُعد كل من مشروعي: سكة حديد القدس - يافا، واستعمال اللاسلكي في المدينة المقدسة من أهم المشروعات الاجتماعيّة المتطوّرة التي عملت على تحسين ظروف المعيشة لسكان القدس، وعملت أيضا على تطوير المدينة المقدسة عندما أخذ سكان القدس يستفيدون من الوسائل الحضارية المتقدمة ذات النفع الاجتماعيّ. وقد توازى هذا الجهد مع حركة العمران الجديدة والمتطورة التي قام بها بعض سكان المدينة المقدسة خارج أسوار المدينة كعملية جديدة من عمليات تطوير المدينة وتوسيعها ليتوازى هذا الجهد مع مكانتها الدينيّة وحجمها الاجتماعيّ.

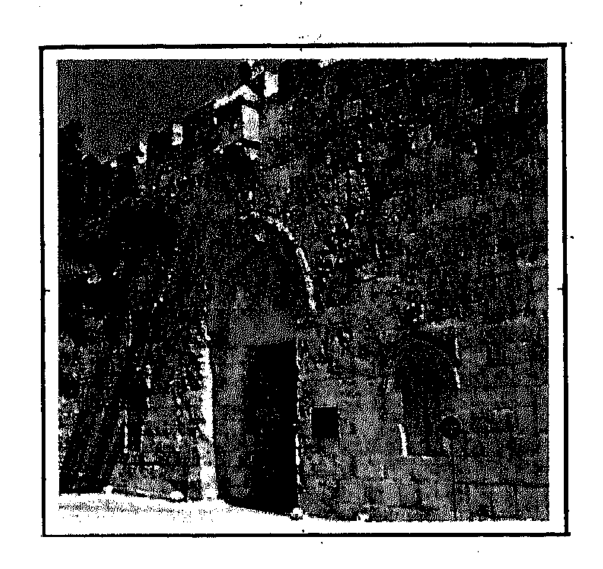
ولأهمية بيت المقدس لدى العثمانيين، وأهميتها لدى المسلمين في أنحاء العالم، كان للمدينة المقدسة دور كبير في مجال تحفيز الهمم الإسلاميّة ضد النصارى الإنجليز وحلفائهم في الحرب العالميّة الأولى حين أعلن السلطان محمد رشاد الخامس بوصفه

(٥٢) الدباغ، نفسه، ص ٤٢.
(٥٣) الدباغ، بلادنا، القدس، حـ ٢، ص ٤٥.
السائح، القدس، ورقة ٩٠.

خليفة المسلمين الجهاد الإسلاميّ ضد الحلفاء. ونتيجة لهذا الإعلان جرى احتفال عثمانيّ كبير في المدينة المنورة عند قبر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وأخرجت راية النبي بما يليق بها من احترام وتبجيل. ونقلت إلى دمشق بالقطار في ١٣٣٣هـ/ ١٥ ديسمبر ١٩١٤م، ثم نقلت منها إلى بيت المقدس، أقدس مدينة عند المسلمين بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة، ووصلت رآية النبي صلى الله عليه وسلم إلى القدس الشريف في ١٣٣٣هـ/ ٢٠ ديسمبر ١٩١٤م، فأقيم حفل كبير لاستقبال الراية في ساحة المسجد القدسيّ الشريف، وختم هذا الحفل الكبير الذي أقيم لتلك المناسبة ذات الطابع الدينيّ بإقامة الصلاة في المسجد الأقصى. وكان الهدف من هذا التجمع الإسلاميّ الكبير في بيت المقدس هو حث الهمم الإسلاميّة بخاصة الجند العثمانيّ ضد دول الوفاق، حيث إن الدولة العثمانيّة كانت قد دخلت الحرب العالميّة الأولى إلى جانب دول الوسط، الكتلة الدوليّة المعادية لدول الوفاق.(٥٤)



باب يافا - الخليل الذي شهد دخول الاحتلال البريطاني عام ١٨

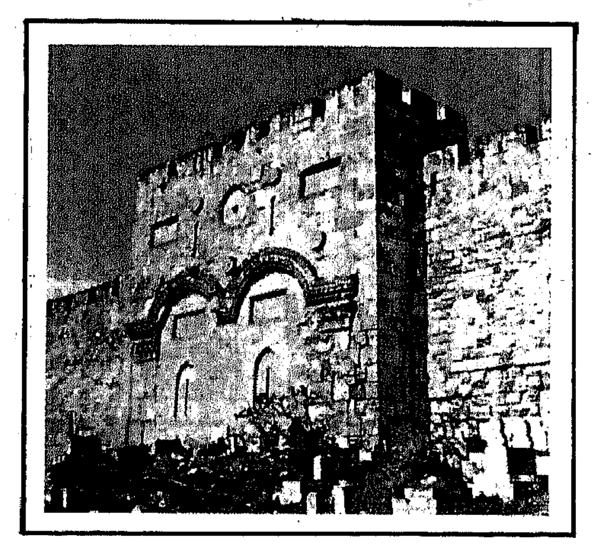


باب النبي داود

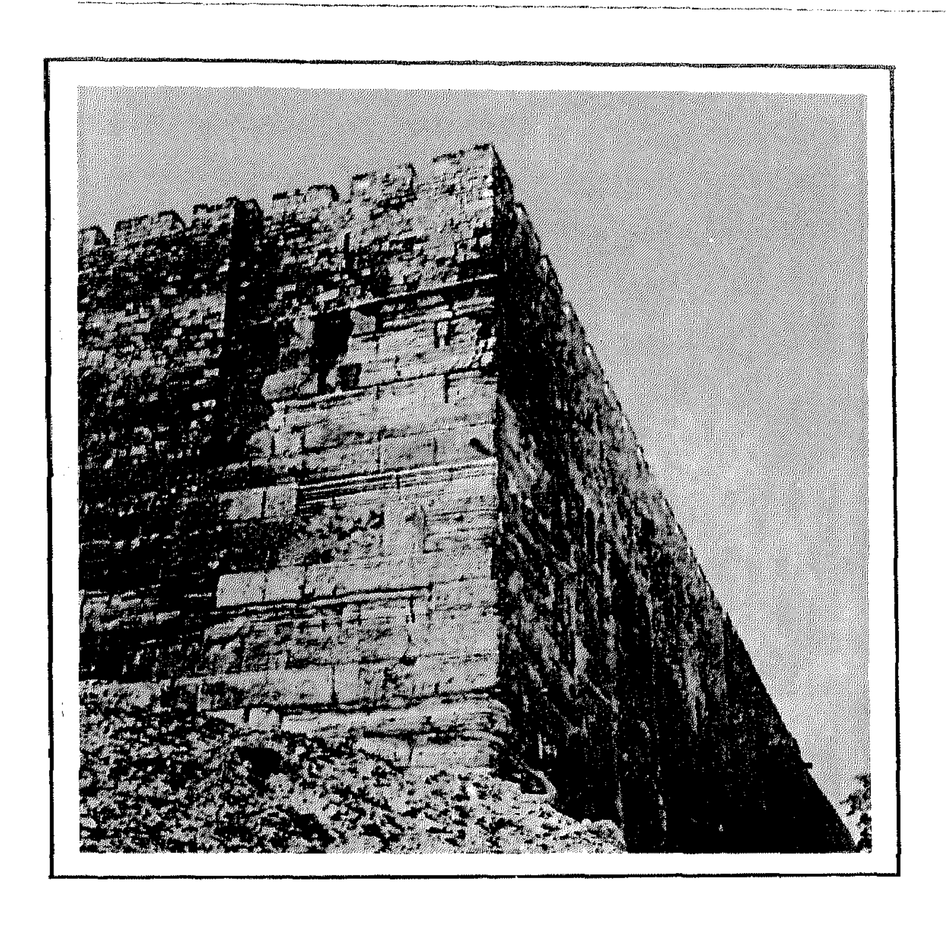
(٥٤) انطونيوس، جورج، يقظة العرب، بيروت ١٩٦٦م، ص ٢٩٩ ومابعدها.
- الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (١)، ص ص ١٥٦-١٥٧.

بيت المقدس
في أواخر العهد العثماني

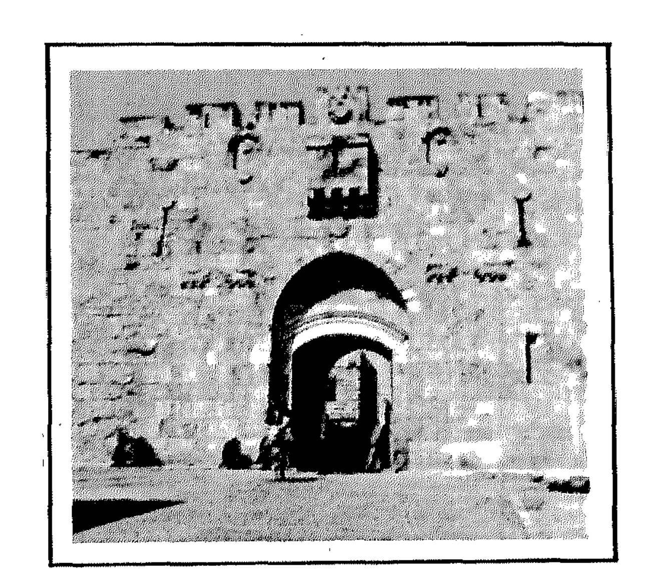
نقلاً عن الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس، (٢)، ص ١٦٠.



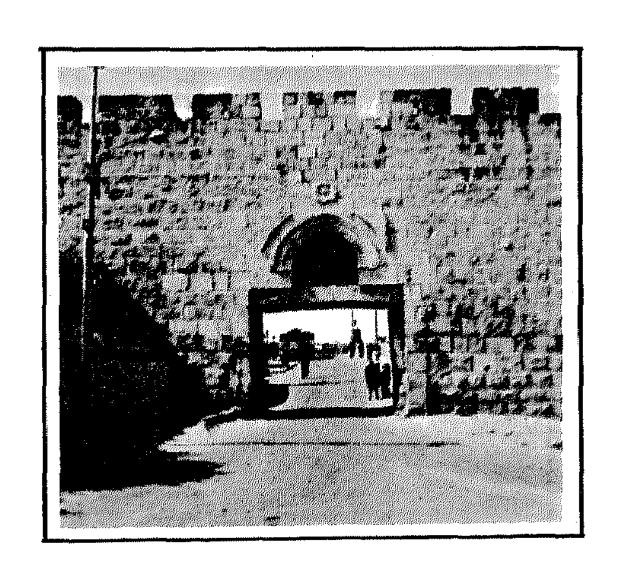
بـاب الـــذهـبي



جانب من سور القدس



باب الأسباط الذي دخله عمر بن الخطاب فاتحا



باب المغاربة دليل على إرتباط المغاربة بالقدس

الفصل التاسع

القدس تحت الاحتلال البريطاني

- الاحتلال البريطاني للقدس الشريف.
- حال القدس بعد الاحتلال البريطانيِّ.

الفصل التاسع

القدس تحت الاحتلال البريطاني

الاحتلال البريطانيّ للقدس الشريف:

بالنظر إلى صورة الموقف العسكريّ التركيّ العثمانيّ العام وقت الهجوم البريطانيّ على القدس، كانت الدولة التركيّة العثمانيّة قد فقدت ولايات العراق بأسرها، وأصبحت دفاعات الدولة العثمانيّة عن مناطق آسيا الصغرى الجنوبيّة ضعيفة، وانهار الوجود التركيّ العثمانيّ في معظم بلاد الشام خاصة عام ١٩١٧م/١٣٣٦هـ، وهي السنة التي احتل فيها البريطانيون مدينة القدس.

ولم تكن حال دفاعات الدولة العثمانيّة عن مدينة القدس بأحسن مما هي عليه الصورة العسكريّة العامة للدولة التركيّة العثمانيّة. فعلى الرغم من جدارة اللواء علي فؤاد القائد العثمانيّ الذي أُحيل إليه أمر الدفاع عن القدس، وعلى الرغم من بسالة الجند التركيّ العثمانيّ الممثل في الفيلق العشرين، تبقى أمور أكثر فاعلية، مثل نجاحات القوات البريطانيّة في المنطقة، وشدة جهدها العسكريّ، وجدارة تنظيمها وتدريبها، وتفوق معداتها العسكريّة وقدراتها القتاليّة، كلها أمور ساعدت على إضعاف الجبهة الدفاعيّة العثمانيّة عن القدس، وأثرت على معنويات الجند العثمانيّ هناك. بالإضافة إلى أن العثمانيين كانوا يتوقعون وصول قوات ألمانية مساعدة، ولكن دون جدوى. فقدر اللواء علي فؤاد أن صمود دفاعاته أمام القوات البريطانيّة لا يتجاوز أكثر من يوم وليلة على أعلى تقدير، وأصبحت في نظره مسألة الدفاع عن القدس مسألة شكليّة لابد معها من تأمين خطوط انسحاب آمنة تقلل من خسارة الفيلق العشرين. ولهذا لم يصمد الجند العثمانيّ في مقاومة الحصار البريطانيّ الذي أقامه أللنبي Allenby على المدينة المقدّسة.

وفي اليوم الثامن من ديسمبر عام ١٩١٧م، ترك عزت بك المتصرف العثمانيّ مدينة القدس بعد أن عهد إلى كل من كامل الحسيني مفتي القدس وحسين سليم الحسيني رئيس بلديتها بتسليم المدينة للبريطانيين.[١]

(١) طوطح وبولس، تاريخ القدس ودليلها، القدس، ١٩٣٠م، ص ٣٥.

وفي اليوم التاسع من الشهر نفسه خرج حسين سليم الحسيني وتوفيق صالح الحسيني ومفتشا الأمن عبد القادر العلمي وأحمد شريف وعدد من الشباب هم محمد المهتدي وجواد إسماعيل الحسيني وحنا إسكندر اللحام حاملين العلم الأبيض إشارة إلى التسليم .[٢] وهكذا استسلمت المدينة المقدّسة للبريطانيين المستعمرين تحت ضغط القوة العسكريّة وظروف الحرب العالميّة الأولى .

وعندما احتل البريطانيون بيت المقدس بقيادة الجنرال أللنبي Allenby في ١١ ديسمبر ١٩١٧م/١٣٣٦هـ ، خاطب أللنبي Allenby السكان مبينا أهمية بيت المقدس وقدسيّتها قائلا :

«وفضلا عن ذلك بما أن مدينتكم محترمة في نظر أتباع الديانات الثلاثة الكبرى ، وترابها مقدس في نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاثة المذكورة منذ قرون وأجيال ، أود أن أحيطكم بأن لكل بناء مقدس أو معبد ، أو أي مكان مخصص للعبادة من أي شكل وإلى أي طائفة من الطوائف الثلاثة ، سيصان ويحتفظ به عملاً بالعادات المرعيّة وبالنسبة إلى تقاليد الطائفة التي تملكه[٣] » .

وخلال هذه الأحداث ، وفي خضم التصريحات البريطانيّة المطمئنة للعرب والمسلمين ، والمعترفة بمكانة القدس الدينيّة وحماية الأماكن المقدّسة فيها ، يأتي وعد بلفور المشؤوم المضاد للوجود العربيّ الإسلاميّ في فلسطين ، الوعد الذي صممه السياسيون الإنجليز بالتعاون الكامل مع الدوائر الصهيونيّة العالميّة ومع القوى الاستعماريّة الأخرى .

وجاء رد أهالي مدينة القدس في احتفال أقامه أدباء مدينة القدس في ليلة الحادي والعشرين من أبريل ١٩١٨م/١٣٣٧هـ ، فنصبوا في قاعة الحفل خريطة مجسمة لفلسطين كتب فوقها عبارة : «هذه ياقوم فلسطين مقبرة أجداد العرب العظام» . وكتب تحتها عدد من أبيات الشعر[٤] .

أرض فلسطين التي بوركت أرض الميامين بني يعرب
ياخير أرض الله لا تيأسي مالي عن حبك من مذهب
إنا سنفديك بأرواحنا ونرتقي متعصب الركب
حتى ترى كالشمس في خدرها تضيء من المشرق والمغرب

(٢) الدباغ ، بلادنا فلسطين ، بيت المقدس(٢) ، ص ١٧٢ .
(٣) العارف ، المفصل ، ص ٣٨٤ .
(٤) الدباغ ، بلادنا فلسطين ، القدس(٢) ، ص ص ٢٣٠-٢٣١ .

حال القدس بعد الاحتلال البريطانيّ

وضـع الـبريطانيون مدينـة القـدس تحت الإدارة العسكـريّة ، وجاءت لجنة يهوديّة صهيونيّة للعمـل إلى جانب الإدارة العسكـريةّ البريطانيّة من أجل تنفيذ وعد بلفور ، الرامـي إلى تأسيس وطـن قومـيّ لليهـود فـي أرض فلسطين أولاً ثم مـن الفرات إلى النيل أرضـك يا إسرائيل .

وأجبر الكولونيل رونالد ستورز Ronald Storrs الحاكم العسكريّ البريطانيّ العام في القـدس وجهـاء مدينـة القـدس من مسلمين ونصارى على الاجتماع باللجنة اليهوديّة الصهيونيّة التي قدمت إلى القـدس للإعـداد لتنفيذ مخططات الاستيطان اليهـوديّ في فلسـطين عامة ، وهو أمر ظل المسلمون والنصارى في فلسطين يخشونه لأنه خطر يهدد كيانهم ومستقبلهم ويعتدي على حقوقهم القوميّة .(٥) وهيّأ ستورز إجتماعاً آخر في السابع والعشرين من أبـريل عام ١٩١٨م يلتقي فيه وجهاء مدينة القدس باللجنة الصهيونيّة بزعامة حاييم وايزمان من أجل أن تبينّ اللجنة الصهيونيّة أهداف اليهود ومقاصدهم في فلسطين. ومن جملة ما قاله حاييم وايزمان في هذا الاجتماع : «أنا وإن كنت قد ولدت بعيداً عن هذه الـبلاد فليس بغـريب عنهـا. ولا يصـح القول بأن اليهود قادمون على فلسـطين بل هم راجعون إليها . . . وغرضنا كيهود أن نحيي تقاليدنا المجيدة الماضية ونصلهـا بالمستقبل لنوجد فيها نظاماً أخلاقيّاً فكريّاً ينشأ منه عالم جديد . . . وهو جل المراد من جعل فلسطين وطناً قوميّاً لليهـود»(٦) .

حاول ستـورز أن يقنـع زعماء القدس من المسلمين ببيع ممر يؤدي إلى حائط البراق مقدماً مبلغ ثمانين ألف جنيه قال عنها ستورز إنها بالإمكان أن تصلح الخراب الذي حل بقبـة الصخـرة ، وهذا ممر ليس له أدنى قيمة ماديّة أو معنويّة ، لكن زعماء القدس من المسلمـين رفضـوا المحـاولـة وأعـادوا تشكيل الجمعيّة الإسـلاميّة التي تختص بشؤون الممتلكات الإسلاميّة في مدينة القدس جواباً على تلك المحاولة وإسكاتاً لكل المحاولات البريطانيّة الرامية إلى تهويد مدينة القدس .(٧)

وطلب اليهـود من ستـورز أن يقنـع وجهاء مدينة القدس من المسلمين ببيع حائط

(٥) قاسمية ، خيرية ، النشاط الصهيونيّ في الشرق العربيّ وصداه، ١٩٠٨م - ١٩١٨م، بيروت ، ١٩٧٣م، ص ٣٥٣.

(٦) الدباغ ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (٢)، ص ٢٣٣ .

(٧) الدباغ ، بلادنا فلسطين، ببت المقدس (٢)، ص ٣٣٥ .

البراق لليهود، ولما عرض الأمر على كامل الحسيني مفتي القدس كان جوابه: «لايستطيع أي إنسان أن يتصرف بأملاك الوقف الإسلاميّ ولا سيما هذا المكان، على وجه التخصيص، بأي مبلغ مهما كان حتى ولو إلى مسلم فكيف إذا كان طالب الشراء يهودياً، ونحن نعرف أهداف اليهود لامتلاك الحائط ومافي جوانبه[٨]»

وكان جواب أهالي القدس على تلك المحاولات الصهيونيّة المتلاحقة تشكيل الجمعيات والمنتديات الأدبيّة والثقافيّة والسياسيّة لإفشال تلك المحاولات من جهة والمحافظة على المقدسات الإسلاميّة وما يلحق بها من وقف وغيره من جهة أخرى. وأخذت هذه الجمعيات والمنتديات تعلم عدداً من الشباب المسلم اللغة العبريّة لمتعابة ماتنشره الصحف الناطقة بالعبريّة من معلومات وأفكار حول مخططات اليهود الرامية إلى تهويد القدس وفلسطين. وكان من بين النوادي التي تأسست في مدينة القدس، النادي العربي برئاسة الحاج أمين الحسيني، ومنتدى آل دجاني، والجمعيّة الإسلاميّة، والجمعيّة الفدائيّة، والجمعيّة المشتركة الإسلاميّة النصرانيّة، كلها جمعيات لمقاومة أهداف الصهيونيّة والتصدي لخططها الاستعماريّة، والحيلولة دون تمكين اليهود من شراء الأراضي في القدس الشريف، وإيفاد أعداد من الشباب الفلسطينيّ إلى القرى الفلسطينيّة لإثارة الفلاحين فيها ضد أطماع اليهود ومخططاتهم، وهذا الأمر اعترف به حاييم وايزمان نفسه.[٩] وعقدت هذه الجمعيات مؤتمراً في القدس حضره مسلمون ونصارى في الفترة بين ٢٧ يناير ـ ١٠ فبراير ١٩١٩م قرروا فيه أن فلسطين (سورية الجنوبيّة) لا تنفصل عن سورية الشمالية، وهي بلد مستقل متحرر عن كل السيادة والنفوذ والحماية الأجنبيّة[١٠]. وصدر في مدينة القدس صحيفة سمية باسم سورية الجنوبيّة لصاحبها حسن البديري وعارف العارف وهما من مدينة القدس.

ودعا الجنرال بولز مدير عام إدارة بلاد العدو الجنوبيّة يعني فلسطين زعماء البلاد الفلسطينيّة إلى اجتماع عقده في القدس في العشرين من فبراير عام ١٩٢٠م تلا عليهم قرار دول الوفاق القاضي بانتداب دولة بريطانيا على فلسطين، وكان وعد بلفور الرامي إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين قد أدمج في وثيقة صك الانتداب.[١١]

(٨) قاسمية، النشاط الصهيونيّ، ص ٣٨٤

(٩) الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١١٦.

(١٠) الكيالي، تاريخ فلسطين، ص ١٣٥.

(١١) السفري، عيسى، فلسطين العربيّة بين الانتداب والصهيونيّة، جـ١، يافا، ١٩٣٧م، ص ٣٨.

وتمادى اليهود في بشاعة أطماعهم الصهيونيّة يوم تقدم كل من إبراهيم اسحق كوك حاخام اليهود الأكبر في فلسطين ومجلس الرّبانيين اليهود في فلسطين وسيشكن نائب رئيس الجمعيّة الصهيونيّة بطلب رسميّ إلى بولز الحاكم العسكريّ البريطانيّ العام على فلسطين أن يسلمهم المسجد الأقصى جميعه.[١٢]

وفي عهد الإدارة المدنيّة البريطانية في حكم فلسطين في ظل الانتداب البريطانيّ افتتح اللورد بلفور الجامعة العبريّة في القدس في مارس عام ١٩٢٥م[١٣]، واعتبر المقادسة اليوم الذي وصل فيه بلفور إلى القدس يوم حداد عام، ويوم إضراب شامل أغلقت المتاجر والمدارس أبوابها استنكاراً لقدومه. وأصدر الإنجليز قانوناً يقضي بعقاب كل من يشترك في هجمات على اليهود في كل أنحاء فلسطين، وذلك ضمن قانون العقوبات العام الصادر عن الإدارة المدنيّة البريطانيّة في فلسطين عام ١٩٢٦م.

بدأ اليهود يخططون لامتلاك حائط البراق وهو الحائط الغربي للمسجد الأقصى الذي يعتقد المسلمون أنه المكان الذي ربط في البراق ليلة الإسراء، ومنه أصبح هذا الحائط يعرف بحائط البراق الذي هو ملك للمسلمين ومحفوظة ملكيته في صكوك خاصة محفوظة لدى دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس الشريف، علماً بأن طول هذا الحائط يصل إلى حدود مائة وستة وخمسين قدماً وارتفاعه في حدود ست وخمسين قدماً. وتعود غاية اليهود من امتلاك هذا الجزء من المسجد الأقصى إلى خططهم الرامية إلى امتلاك المسجد الأقصى جميعه بزعم أنه مكان الهيكل.

قاوم المسلمون في فلسطين وغيرها خطة اليهود هذه، فعقدوا مؤتمر إسلامياً في القدس الشريف في نوفمبر عام ١٩٢٨م، حضره ممثلون عن العالم الإسلاميّ، قرروا فيه أن لا حق لليهود في مكان البراق من حيث الملكيّة أو تغيير معالمه أو إضافة جديد عليه أو وضع أي أدوات عليه مؤقتاً كان ذلك أم دائماً. وتعهد المؤتمرون أن يدافع المسلمون عن حقهم في الحائط إذا لم توقف الحكومة البريطانيّة اليهود عند حدهم تجاه هذه المسألة التي ظلت مثاراً للقلاقل بين المسلمين واليهود ومثاراً للجدل والنقاش في الداخل والخارج خاصة في المحافل الدوليّة.

---

(١٢) الهيئة العربيّة العليا، مطامع اليهود في المسجد الأقصى، بيروت، نشرة شهر ذي الحجة عام ١٣٨٠هـ.

(١٣) مجلة شؤون فلسطينيّة، العدد ٢٤ أغسطس ١٩٧٣م، حول المسائل التعليميّة والجامعات والمعاهد العليا في فلسطين.

وعقد في مدينة القدس المؤتمر الإسلاميّ العام الأول عام ١٩٣١م بدعوة من الحاج محمـد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلاميّ الأعلى فيها[١٤]، وذلك لتنبيه الـرأي العـام العربيّ والإسلاميّ إلى حظر اليهود وخطر الاستعمار البريطانيّ على القـدس وفلسـطين. وأوصى المؤتمـر بإنشـاء جامعـة إسلاميّة في القدس باسم جامعة المسجد الأقصى، وتشكيل شركة زراعيّة إسلاميّة لانقاذ أراضي فلسطين، وإعادة تسيير خط سكة حديد الحجاز لأنها وقف إسلاميّ، وطالبوا مقاطعة المصنوعات الصهيونيّة. ولكن المؤتمر فشل في تحقيق أهدافه العامة والخاصة لأن الحكومة البريطانيّة قاومت مطالبه بكـل الـوسائل، وأحبطت مشروع جامعة المسجد الأقصى ومشروع الشركة الزراعيّة الإسلاميّة، ومشروع إحياء سكة حديد الحجاز.

وعقد في القدس مؤتمر نسائي في ٢٦ أكتوبر عام ١٩٢٩م حضره نساء فلسطينيات من كل أنحاء فلسطين، وقررت الحضور رفض وعد بلفور ورفض الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين، وإقامـة حكومة فلسطينيّة وطنيّة تكـون مسؤولة أمـام مجلس برلمانيّ فلسطينيّ وطنيّ.[١٥]

ولمـواجهـة الأعباء الاقتصاديّة والماليّة في القدس بخاصة وفلسطين بعامة تأسس في مدينة القدس الشريف أو بنك وطنيّ فلسطيني سمي البنك العربيّ عام ١٩٣٠م، وغدا هذا البنك وبشكل تدريجي مؤسسة ماليّة فلسطنيّة عربيّة إسلاميّة دوليّة، وأضح في أيامنا الحـاضرة من البنـوك العـالميّة ذات السمعـة الـطيّبة، ومن البنوك العالميّة ذات الشهرة الواسعة والمكانة العالميّة المرموقة.

وانـطلقت من المجلس الإسـلاميّ الأعـلى في القـدس فكـرة تأسيس جمعيّة الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصبحت هذه الفكرة حقيقة عندما انبثقت هذه الجمعيّة عن مؤتمر علماء فلسطين وفقهائها الذي انعقد في مدينة يافا الفسلطينيّة، وتأسست لهذه الجمعيّة عدة فروع في المدن والقرى الفلسطينيّة هدفها تقوية الروح الإيمانيّة بين الأهالي

(١٤) عقـد المؤتمـر الإسلاميّ على مستوى العالم الإسلاميّ فحضره عدد كبير من رجالات العالم الإسلاميّ أذكر على سبيل المثال لا الحصر: محمد إقبال ومولاي محمد علي من الهند ورؤوف باشا من سيلان ومحمل آل حسين كاشف الغطاء وإبراهيم الواعظ من العراق، وشكري القوتلي من سورية ومحمد رشيد رضا ومحمد علي علوية وعبد الرحمن عزام من مصر ورياض الصلح من لبنـان ومحمـد محمد زبارة من اليمن ومحمد دروزة من نابلس بفلسطين وكامل الداودي الدجاني من يافا بفلسطين وعبد القادر المظفر من القدس وغيرهم.

(١٥) الكيالي، تاريخ فلسطين، ص ٢٤٨.

من جهة وتقوية الروح الوطنيّة فيهم من جهة أخرى.[١٦]

وأنشىء في مدينة القدس مصرف زراعيّ عربي برأس مال مقداره ستون ألف جنيه فلسطيني"[١٧] هدفه الأول تحسين الأراضي الزراعيّة في فسلطين والعمل على حمايتها خوفاً من أن يستولي اليهود عليها بالقوة أو بالشراء. وما هذه المؤسسات العربيّة الفلسطينيّة إلا جزءاً من سياسة عرب فلسطين الرامية إلى مواجهة المخططات الصهيونيّة، وإفشال المخططات الاستعماريّة البريطانيّة في فلسطين، وكسب القوى العربيّة والإسلاميّة إلى جانب الحق الفلسطينيّ وتأييده.

وفي مدينة القدس نظمت المعارض الخاصة بالمنتوجات الزراعيّة والصناعيّة الفلسطينيّة والعربيّة جواباً واقعياً وفاعلاً للمعارض التي أخذ اليهود في فلسطين يقيمونها، وأخذت حكومة الإنتداب البريطانيّ تشجع المعارض اليهوديّة ذات الصفة الصناعيّة والزراعيّة والإعلاميّة، فحضر المندوب الساميّ البريطانيّ على فلسطين المعرض الذي أقامه اليهود في مارس ١٩٣٤م، وسمح لأعداد كبيرة من اليهود في العالم بحضور المعرض الزراعيّ الصناعيّ اليهوديّ في فلسطين[١٨] تيسيراً لسبل الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين، وإقناعاً لليهود بفائدة تجمعهم في فلسطين والفائدة السياسيّة والاقتصاديّة المرجوة لليهود من وراء ذلك.

وبعد الاضراب الفلسطينيّ عام ١٩٣٦م، وصلت إلى مدينة القدس اللجنة الملكيّة البريطانيّة في ١١ نوفمبر عام ١٩٣٦م، وضعت تقريراً مفصلاً عن الحوادث في فلسطين وعن الوضع فيها وعن مرئياتها تجاه ذلك. وعرضت اللجنة التقرير على البرلمان البريطانيّ، موصية فيه بتقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين عربيّة ويهوديّة تضم الدولة العربيّة شرقي الأردن مع القسم الشرقيّ والجنوبيّ من فلسطين. وتضم الدولة اليهوديّة القسم الشمالي والغربي من فلسطين. أما منطقة القدس وبيت لحم فتوضع تحت الانتداب البريطانيّ الدائم عليها. وقد رفض العرب ذلك.[١٩] وقامت حكومة الانتداب البريطانيّ على فلسطين بنقل الحكم في فلسطين من يد السلطات المدنيّة إلى السلطات العسكريّة لمواجهة الموقف الفلسطينيّ ضد الاستعمار البريطانيّ وضد التغلغل اليهوديّ الصهيونيّ في بلادهم بمساعدة بريطانيا.

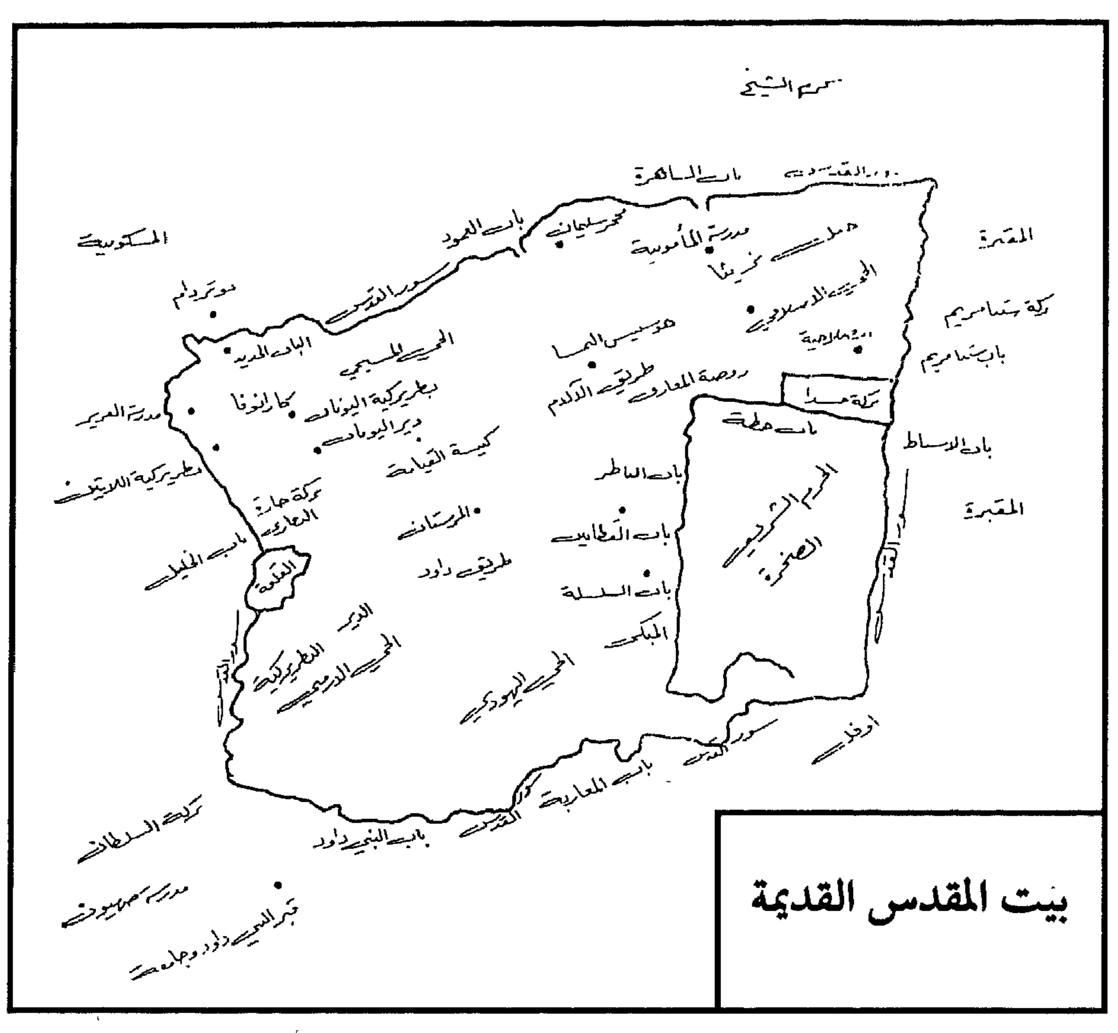
(١٦) الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (٢)، ص ٢٧٦.
(١٧) الكيالي، تاريخ فلسطين، ص ٢٨٦.
(١٨) السفري، فلسطين العربيّة، ص ٢٠٥.
(١٩) الكيالي، تاريخ فلسطين، ص ٣٤٨.

وقام اليهود بنسف فندق الملك داود في مدينة القدس، حيث تقيم سكرتاريّة الحكومة العامة وقسم من القيادة العسكريّة لحكومة الانتداب البريطانيّ، وأخذ اليهود يقومون بعمليات إرهابيّة في القدس الشريف ليس ضد العرب الفلسطينيين وحدهم، وإنما ضدّ بريطانيا أيضا كقوة ضاغطة على الحكومة البريطانيّة لإجبارها على تقديم مساعدة أكبر لهم ولتكون قوة ضاغطة على الفلسطينيين لصالح اليهود. ووصل الإرهاب الصهيونيّ اليهوديّ أوجه عندما اغتال اليهود اللورد موين وزير الدولة البريطانيّ في الشرق الأوسط في مدينة القاهرة في ٦ نوفمبر عام ١٩٤٤م[٢٠]، وكان المغتالون من يهود عصابة شتيرن. ونسف اليهود الإرهابيون السفارة البريطانيّة في إيطاليا في يوم الأربعاء الموافق ٢٧ نوفمبر ١٩٤٦م.[٢١]

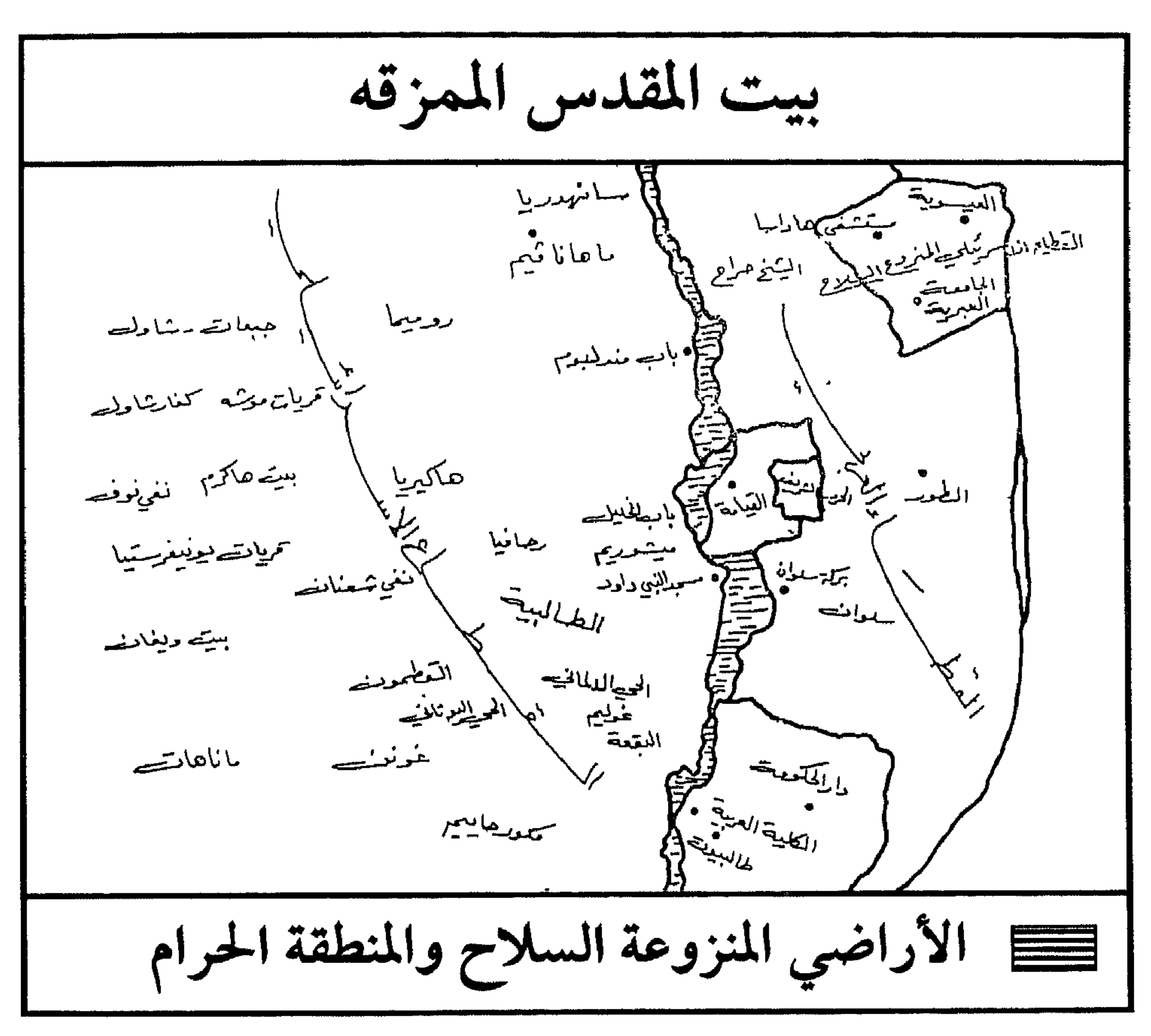
---

(٢٠) الكيالي، تاريخ فلسطين، ص ٣٢٥، والدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس (٢)، ص ٢٨٤، وفلاح خالد علي، فلسطين والانتداب البريطانيّ، ط١، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٥٢.

(٢١) رسالة من السفارة الأمريكيّة في روما إلى وزير الخارجيّة الأمريكيّة، مؤرخة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٦م في شأن المؤتمر الصحفيّ الذي عقده البروفسور جوهان سمير تنكو Johan Smer-tenko نائب رئيس الجمعية الأمريكيّة اليهوديّة لتحرير فلسطين. والرسالة المذكورة منشورة ضمن وثائق تاريخ فلسطين المعاصر للدكتور عبد الفتاح حسن أبو علية.



نقلاً عن الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس، (٢)، ص ٤٧ .



نقلاً عن الدباغ، بلادنا فلسطين، بيت المقدس، (٢)، ص ٣٠٠.

الفصل العاشر
القدس في ظل الاحتلال اليهودي الصهيوني

إن اليهـوديّة الصهيونيّة حركة سياسيّة تاريخيّة تمتد جذورها إلى عهد انقراض مملكة يهوذا التي لم تُعمّر طويلاً، وإنما هي فترة عابرة من فترات تاريخ فلسطين الطويل الذي ظل العرب فيه على معظم حقبه التاريخيّة هم سادة البلاد.

إسرائيل تضم القدس

أصـدر الكنيست الإسرائيليّ في ٢٧ يونيو ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ قراراً كان على هيئة إضافة فقرة جديدة على قانون قديم هو قانون الإدارة والنظام لعام ١٩٤٨م/ ١٣٨٧هـ، وتنص الفقـرة هذه على تطبيق قانـون الإدارة والنـظام على جميع مسـاحة الأرض التي سيطرت عليها إسرائيل.[١]

وفي يونيو عام ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ، صدر أمـر إسرائيليّ يقضي بأن مسـاحة أرض إسرائيل المشمـولـة في الجدول المرافق بالأمر كلها خاضعة لقانون قضاء وإدارة الدولة الإسرائيليّة. وقد حدد الجدول المرافق بالأمر منطقة تنظيم بلديّة القدس في حدود تمتد من قلندية شمالا إلى قرى صور باهر وبيت صفافا جنوباً. ومن بيت حنينا غرباً إلى قرى الطور والعيسويّة وعناتا والرام شرقاً.[٢]

وصـدر في ٢٩ يونيو ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ قرار إسرائيليّ يقضي بحـل مجلس أمـانـة القـدس العـربيّة، وفصـل أمـين المجلس روحي الخطيب وألحق موظفو أمانة القدس العربيّة وعمالها بجهاز بلدية القدس الموحدة، وأسندت رئاستها إلى الصهيونيّ المتعصب ضد العرب تيدي كوليك.[٣]

---

(١) الخطيب، روحي، تهويد القدس، عمّان، ١٩٧٠م، ص ١٢.
(٢) د. الكسواني، سالم، المركز القانونيّ لمدينة القدس، ط٢، عمّان، ١٩٧٨م، ص ٢١٧.
(٣) د. النـابلسيّ، تيسير، الاحتلال الإسرائيليّ للأراضي العربيّة في ضوء القانون الدوليّ لعام ١٩٧٥م، ص ١٢١ وما بعدها.

الفصل العاشر

القدس في ظل الاحتلال اليهودي الصهيوني

- إسرائيل تضم القدس.
- اليهود يخربون المسجد القدسيّ الشريف.
- تهويد أراضي القدس وماحولها.
- تهويد الكثافة السكانيّة في القدس.

وقامت إسرائيل بإلغاء جميع القوانين والأنظمة الإداريّة الأردنيّة المعمول بها في مدينة القدس قبل أن تحتلها إسرائيل عام ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ في محاولة منها لإبعاد مدينة القدس وحجبها عن الأسرة العربيّة . وقد تطلب هذا إشرافاً إسرائيلياً على جميع المؤسسات في المدينة وعلى مرافقها الخاصة والعامة . وأصدرت إسرائيل قراراً يقضي بتطبيق جميع القوانين الإسرائيليّة على مدينة القدس المحتلة ، وعرف هذا الإجراء بقانون التنظيمات القانونيّة والإداريّة لعام ١٩٧٠م/ ١٣٩٠هـ ، وشمل هذا القانون مدينة القدس . وقامت إسرائيل بتهويد القضاء والشؤون الاقتصاديّة والمرافق العامة والخاصة والشؤون الاجتماعيّة[٤] وغيرها من شؤون الحياة في المدينة المقدسة .

اليهود يخربون المسجد القدسيّ الشريف

قصف اليهود بمدافعهم المسجد القدسيّ الشريف أكثر من مرة ، فقصفوه في ٢٢ أغسطس عام ١٩٤٨م/ ١٣٦٧هـ بقذيفتين إحداهما سقطت عند حائط البراق ، وسقطت الثانية على سطح المسجد الأقصى المبارك . وقصف اليهود المسجد الأقصى مرة ثالثة في ٢٣ أغسطس من السنة نفسها . وسقطت قنابل اليهود على سطح الصخرة نفسها . لم يكتف اليهود في حرب عام ١٩٤٨م/ ١٣٦٧هـ بقذف المسجد القدسيّ الشريف ، وإنما قذفوا بقنابلهم عدة أحياء في القدس القديمة ، ومنها ما أصابت مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى وقبة المعراج وغيرها .[٥]

وفي ٣ أبريل ١٩٤٩م/ ١٣٦٩هـ قسمت هيئة الأمم مدينة القدس الموحدة إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ القدس العربيّة وهي القدس القديمة ومساحتها (٥٥٥) فداناً أي ما نسبته في حدود (٤٨ , ١١) بالمائة من مساحة القدس الموحدة وقتذاك .

٢ ـ القطاع اليهوديّ من القدس ومساحته (٤٠٦٥) فداناً أي مانسبته في حدود (١٣ , ٨٤) بالمائة من مساحة القدس الموحدة آنذاك .

٣ ـ القطاع الدوليّ والأراضي الحرام أي أنها لا للعرب ولا لليهود ، مساحتها (٢١٤) فداناً أو ما يعادل ما نسبته في حدود (٣٩ , ٤) بالمائة من القدس الموحدة . وتشتمل هذه المنطقة على مقر المندوب الساميّ البريطانيّ ، وهذا المقر موجود على جبل مطل هو جبل المكبر ، وبعد رحيل المندوب الساميّ على فلسطين أصبح هذا المكان مقراً

(٤) النابلسي ، الاحتلال ، ص ١٢٢ .

(٥) الدباغ ، بلادنا فلسطين ، بيت المقدس (٢) ، ص ص ٢٩٩-٣٠٢

لهيئة الرقابة الدوليّة المشرفة على خط الهدنة الموقعة بين المملكة الأردنية الهاشمية وإسرائيل في ٣ أبريل ١٩٤٩م/ ١٣٦٨هـ، بالإضافة إلى منطقة هداسا والجامعة العبريّة وجبل سكوبس ومنطقة فاصلة بين القطاعين العربيّ واليهوديّ. وكانت بوابة مندلبوم تصل بين القطاعين العربيّ واليهوديّ.

وتقع الأماكن المقدسة الإسلاميّة والنصرانيّة في القدس القديمة، ففيها الحرم القدسيّ الشريف وعدد كبير من المساجد الإسلاميّة والأوقاف الإسلاميّة والحارات القديمة والمكتبات القديمة والمساكن القديمة المتوارثة وغيرها من المعالم ذات الطابع الدينيّ والأثريّ. وتقع الأماكن النصرانيّة المقدسة في القدس القديمة أيضاً وتأتي كنيسة القيامة على رأسها.

إحتل اليهود ما تبقى من القدس عام ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ، ودمرت قنابلهم عدداً من المساجد الإسلاميّة والكنائس النصرانيّة والمدارس والمستشفيات وأحرقتها. وأصابت قنابلهم المسجد الأقصى بأضرار، وأوقعت خراباً في مئذنة باب الأسباط وغير ذلك ممّا نتج عن القصف العشوائيّ المتعمد.

وبعد ساعات قليلة من احتلال اليهود للقدس وصل الجنرال موشيه دايان ومعه عدد من زعماء اليهود مدينة القدس واتجهوا جميعا إلى حائط البراق وقال دايان عند الحائط: «رجعنا ولن نتخلى عن القدس». وقال ليفي اشكول رئيس حكومة العدو الإسرائيليّ: «إن هذا يوم عظيم في التاريخ اليهوديّ». وصرح أبا إيبان وزير خارجيّة العدو قائلا: «إن إسرائيل لا تفكر في الانسحاب من القطاع الأردنيّ بالقدس»[٦]

وقد أهان اليهود المقدسات الإسلاميّة وغير الإسلاميّة في مدينة بيت المقدس، فدخلوا القدس الشريف بصورة خليعة، وبصورة تحدٍ لشعور المسلمين ليس بالنسبة لأهلها فحسب، بل لكل المسلمين في كل ديارهم وأماكن وجودهم. ففي اليوم الثالث من شهر أغسطس اشتبك المسلمون العرب من سكان بيت المقدس مع بعض الجنود اليهود بسبب دخول هؤلاء المسجد القدسيّ الشريف بصورة خليعة مزرية. وقام رئيس حاخامات جيش العدو في ١٥ أغسطس ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ بإقامة الصلاة اليهوديّة من أجل هيكلهم، وأقيمت مثل تلك الصلوات اليهوديّة عدة مرات في بيت المقدس من قبل الجنود واليهود غير العسكريين وبعض المنظمات اليهودية.

وفي اليوم الثامن عشر من أغسطس ١٩٦٩م/ ١٣٨٨هـ قام جماعة من اليهود

(٦) الدباغ، القدس (٢)، ص ٣٠٦.

الأوروبيين بزيارة حائط البراق ثم المسجد الأقصى المبارك وقاموا بأداء طقوس دينيّة يهوديّة حول مسجد الصخرة وهم يتلون المزامير والأدعية اليهوديّة وبعض فقرات من التوراة بالإضافة إلى مجموعة أناشيد صهيونيّة.[٧] وتحدوا بذلك كل الشعور الإسلاميّ المحليّ والخارجيّ، محاولين بذلك لفت أنظار العالم إليهم، طامعين في الاستيلاء التام على المسجد القدسيّ الشريف بكامله، ثم تدميره لإقامة معبدهم في تلك البقعة الإسلاميّة المقدسة.

ولم يقف اليهود عند هذا الحد من الإهانة والاستهزاء بالمسلمين في كل بقاعهم، بل قاموا بعمل إجرامي جديد يضيف جديداً إلى ممارساتهم الإجراميّة في بيت المقدس. ففي الساعة السابعة من صباح يوم الخميس بتاريخ السابع من جمادى الآخرة عام ١٣٨٩هـ الموافق ٢١ أغسطس ١٩٦٩م دبر اليهود مسألة الحريق العظيم للمسجد الأقصى، مما أدى إلى خسائر فادحة ماديّة ومعنويّة قد لا تقدر بثمن أو مال. فالتهمت النار المنبر العظيم الذي أمر بصنعه نور الدين زنكيّ عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ لمسجد حلب، ثم بعد مدة نقل إلى المسجد الأقصى في عهد صلاح الدين الأيوبيّ، وكان ذلك عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ[٨]. فكان الخراب عظيماً، فقضى الحريق أيضا على القبة الخشبيّة الداخليّة من قبة المسجد الأقصى، بزخارفها وما فيها من فنٍ إسلاميّ بديع مصنوع من خشب الأبانوس المطعم بالفضة دون استخدام المسامير في الخشب. والتهمت النار الجناح الشرقيّ من المسجد الأقصى، القسم المعروف بجامع عمر بن الخطاب. والتهمت النار أيضا سقف المسجد الجنوبيّ ومحراب صلاح الدين وغيرها من التحف التاريخيّة التي لا تقدر بمال[٩].

وقام اليهود بحفريات حول الحائطين الجنوبيّ والغربيّ للمسجد القدسيّ الشريف، ممّا أدّى إلى اختراق أساسات حائط المسجد الأقصى والأروقة المجاورة للمسجد القدسيّ الشريف في أربعة مواقع بعمق عشرين متراً، هي: أسفل محراب المسجد الأقصى،

---

(٧) الخطيب، تهويد القدس، عمّان، ١٩٧١م، ص ص ٤٠-٤١.

(٨) الدباغ، القدس (٢)، ص ص ٣١٢-٣١٣.
- القدس تاريخ وصور، مطابع الكرمل الحديثة، بيروت (بدون) ص ٤٢.
- السائح، عبد الحميد، ماذا بعد احتراق المسجد الأقصى، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٥١.

(٩) السائح، ماذا بعد إحراق المسحد الأقصى، ص ٥١
- الهيئة العربيّة العليا، الجريمة اليهوديّة النكراء، إحراق المسجد الأقصى، بيروت، ١٩٦٩م، ص ١١.

وأسفل جامع عمر بن الخطاب، الجناح الجنوبيّ الشرقيّ للمسجد الأقصى، وتحت الأبواب الثلاثة للأروقة الواقعة في أسفل المسجد الأقصى، وتحت الأروقة الجنوبيّة الشرقيّة للمسجد الأقصى.

وعليه قامت الهيئة الإسلاميّة في القدس بواجبها تجاه ما فعلته الحفريات اليهوديّة حول المسجد القدسيّ الشريف، فطالبت سلطات الاحتلال باغلاق الفجوات وإيقاف الحفر لكن إسرائيل ظلت تسوف وتراوغ. وقامت الهيئة الإسلاميّة في القدس وإدارة الأوقاف الإسلاميّة فيها بكشف أخطار الحفريات الإسرائيلية فأصدرتا أربع وثائق مهمة جداً حول هذا الأمر، الأولى عبارة عن تقرير من مهندس الأوقاف في القدس فيه تفصيلات للحفريات التي قامت بها إسرائيل حول المسجد القدسيّ الشريف، مؤرخاً في السابع من شهر يوليو عام ١٩٧٤م. ومذكرة إحتجاج واستنكار شديدة اللهجة بتاريخ التاسع من شهر يوليو عام ١٩٧٤م. وتقريراً آخر لمهندس الأوقاف بالقدس حول الحفريات في جنوبي المسجد الأقصى بتاريخ السابع عشر من شهر يوليو عام ١٩٧٤م. وتقرير من مهندس الأوقاف رفع إلى مدير الأوقاف بالقدس حول بطء عملية إغلاق الفجوات التي أحدثها الحفر في أسفل الحائط الجنوبيّ للمسجد القدسيّ الشريف بتاريخ الثامن من شهر أغسطس عام ١٩٧٤م[*]

وقام اليهود وبشكل قهريّ وإرغاميّ ظالم بتفريغ منطقة ماحول المسجد القدسيّ الشريف من جهاته المزدحمة بالعقارات من السكان العرب، وقاموا بمصادرة عقارات خمسة أحياء مجاورة في الجهة الغربيّة الجنوبيّة، وإجلاء خمسة آلاف من أهالي المقدس، وتصديع أبنية أربعة أحياء أخرى عن طريق الحفريات المخالفة لاتفاقيّة لاهاي ولقرارات اليونسكو، وهدم عشرات منها، وإجلاء سكانها وتعويض الباقي، وتهديد تسعة عشر ألفاً آخرين من أهل باقي الأحياء الغربيّة والشماليّة المحيطة بالمسجد بحجة ازدحام بعضها بالسكان أو عدم توافر منافع صحية في البعض الآخر، أو تداعي غيرها بسبب القدم . . .[١٠]

وواصل اليهود إعتداءهم على المراكز الدينيّة النصرانيّة في القدس الشريف، فاعتدوا

(*) أمانة القدس، مذكرة حول مواصلة سلطات الاحتلال العسكريّ الإسرائيليّ اعتداءاتها لتغيير أوضاع مدينة القدس والمدن والقرى الفلسطينيّة المحيطة بها وتهويدها كمرحلة لتهويد المناطق المحتلة أجمع، إعداد روحي الخطيب أمين القدس، ص ص ٧ - ١٦.

(١٠) القدس، تاريخ وصور، ص ٤١.

على كنيسة القيامة أقدم الكنائس النصرانية في بيت المقدس، وأقدم كنيسة في العالم. فحطموا قناديلها الموضوعة فوق القبر المقدس، وسرقوا الكثير من محتوياتها. واعتدوا على دير الأقباط القريب من كنيسة القيامة. وأحرقوا خمسة مراكز لطباعة الكتب الدينيّة النصرانيّة. وضغطوا على عدد من أفراد الطوائف الدينيّة النصرانيّة وأجبروهم على النزوح من مساكنهم وعقاراتهم وغير ذلك من الممارسات غير الإنسانية[١١]. وأن مثل هذه الأعمال الإجراميّة اليهوديّة تبين مدى الفرق في أساس المعاملة بين اليهود المجرمين المعادين للإنسانيّة وبين المسلمين المشهورين بتسامحهم وعنايتهم الشديدة بأمور غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

وهكذا دنس اليهود المسجد الأقصى الشريف، وانتهكوا حرمته، وانتهكوا حرمة كنيسة القيامة، الكنيسة المقدسة لدى النصارى. ولم يهتم اليهود ولم يبالوا بمشاعر المسلمين ولا بمشاعر النصارى وطوائفهم المختلفة. فدخل جنودهم بأسلحتهم الأماكن الإسلاميّة المقدسة، والأماكن النصرانيّة المقدسة في بيت المقدس الشريف. وعبث شبابهم وشاباتهم بكل القيم ذات الصلة بالأمور الدينيّة بما أبدوه من تصرفات إنحلاليّة منافية لكل القيم الإنسانيّة ومنافية لكل أدب واحتشام.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الاحتلال الإسرائيّلي للضفة الغربيّة بما فيها القدس الشريف والمقدسات الإسلاميّة فيه قد أهمل إلى حد كبير أمر المقدسات الإسلاميّة وشؤونها، مما اعتراها التلف والخراب بسبب عبث إسرائيل الناجم عن البحث عن الآثار اليهوديّة التاريخيّة في مناطق المسجد القدسيّ الشريف، مما أدى إلى تصدع جدران المسجد الأقصى وقواعده وغيره من المباني والمنشآت الدينيّة القائمة في ساحة المسجد القدسي الشريف، بالإضافة إلى ما فعلته عوامل الطقس والإهمال وعدم الصيانة المستمرة لتلك المقدسات، فتخرب جزء منها، وتصدع وتلف الجزء الآخر، مما أصبح بحاجة ماسة إلى إصلاح، وتأتي مباني المسجد الأقصى وقبة مسجد الصخرة على رأس المنشآت الدينيّة الإسلاميّة التي تحتاج إلى إعمار وصيانة وترميم وتجديد. وظلت إسرائيل تضع العراقيل أمام مشروعات ترميم المنشآت الإسلامية في القدس الشريف، وهو أمر ينطبق تماماً على مخططاتهم السياسيّة الواسعة. يقول هرتزل الزعيم الصهيونيّ العالميّ: «إذا حصلنا يوماً على القدس، وكنت لا أزال حياً وقادراً على القيام بأي عمل، فسوف أزيل كل شيء ليس مقدساً لدى اليهود فيها، وسوف أحرق الآثار التي مرت عليها

---

(١١) القدس، تاريخ وصور، ص ٤٣.

قرون»[١٢]. وقال تيدي كوليك رئيس بلدية القدس بعد الاحتلال: «إن السيادة الإسرائيليّة على القدس الموحدة أمر ضروري. . .»

وقال مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل السابق: «إن القدس هي عاصمة إسرائيل إلى الأبد»[١٣].

تهويد أراضي القدس وماحولها

بعد أيام قليلة من احتلال اليهود للقدس الشريف قامت الجرافات الإسرائيليّة بجرف المنطقة القريبة من المسجد القدسي الشريف وتدمير حيّ عربيّ بأكمله. وجرف اليهود منطقة شارع الأنبياء، والمنطقة القريبة من البراق ومنطقة باب العامود وهي جميعها مناطق قديمة أثرية تدل على عتاقة المدينة وعمق تاريخها. ونتج عن هذا الجرف أن تصدعت المبانيّ القريبة من مناطق الجرف منها مؤسسات تعليميّة ومرافق عامة ومستشفيات ومراكز صحيّة بالإضافة إلى عدد كبير من المباني السكنيّة، وكلها إجراءات يهوديّة لتفريغ القدس القديمة من سكانها العرب كوسيلة عمليّة من وسائل تهويد مدينة القدس بكاملها.

وفي الثامن من يناير عام ١٩٦٨م/ ١٣٨٧هـ أصدرت إسرائيل قراراً يقضي بمصادرة (٣٣٤٥) دونماً من أرض منطقة الشيخ جراح ووادي الجوز وجبل سكوبس والتلة الفرنسيّة.

وأصدرت إسرائيل قراراً آخر في الرابع عشر من شهر أبريل عام ١٩٦٨م/ ١٣٨٨هـ يقضي بضم (٢٠٠) دونم من أرض مدينة القدس القديمة، ثم ألحقت هذا القرار بقرار آخر يقضي بضم (٣٠٠) دونم من أرض مدينة القدس القديمة من الجزء الجنوبي منها. ثم ضمت (١١٦) دونماً من أرض القدس القديمة الواقعة داخل السور القديم. وصادرت كذلك (١٠٠) دونم من حي المغاربة في القدس القديمة وأجلت سكانه العرب.

ونتجت عن تلك المصادرات اليهوديّة لأرض القدس القديمة أن فقد عرب مدينة القدس بالقوة والظلم والتعسف (٥٩٥) عقاراً سكنياً تحتوي على (١٠٤٨) شقة سكنيّة و (٤٣٧) محلاً تجارياً و (٥) مساجد و (٤) مدارس وزاويتين إسلاميتين وسوقاً أثرياً

(١٢) د. أبو علية، عبد الفتاح و د عويس، عبد الحليم، بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ، دار المريخ للنشر بالرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٥٣.

(١٣) أبو علية، وعويس، بيت المقدس، ص ٥٤.

يسمى بسوق الباشورة وشارعاً تجارياً يسمى باب السلسلة وبعض العقارات التابعة للوقف الإسلاميّ[١٤] . ولم يكن هدف إسرائيل من وراء تلك المصادرات أخذ الأرض في القدس القديمة فحسب وإنما طمس الهوية العربية الاسلامية فيها، وتقليل الأثر العربي الإسلامي في المدينة . ولم تقف إسرائيل عند هذا الحد من مصادرات الأراضي العربيّة في مدينة القدس، بل أصدرت قراراً في الثلاثين من أغسطس عام ١٩٧٠م/ ١٣٩٠هـ يقضي بمصادرة (١١٦٨٠) دونماً من أرض العرب في القدس ومن أرض العرب في القرى العربيّة المجاورة لبيت المقدس مثل الرام وقلندية وبيت حنينا وهي قرى في شمال القدس والنبي صمويل وبيت إكسا في غرب القدس وبيت صفافا وصور باهر في جنوب القدس .

ونلحظ هنا أن إسرائيل أخذت تصادر أراضي عربيّة من قرى مجاورة وملاصقة لمدينة القدس وذلك من أجل تنفيذ مشروع إسرائيليّ جديد يهدف إلى إقامة ما يعرف بالقدس الكبرى.[١٥] التي تضم القدس الموحدة وعدداً من القرى العربيّة المحيطة بالمدينة المقدسة، وهو مشروع واسع يجري العمل فيه بشكل تدريجي متلاحق مهيئين له كل الامكانات الماديّة والطاقات البشريّة والظروف السياسيّة .

وصادرت إسرائيل في الأول من فبراير عام ١٩٧٢م/ ١٣٩١هـ أرضاً عربيّة جديدة من المناطق المحيطة بالقدس قدرت بـ (١٧٠٠) دونم كانت كلها من أرض شعفاط وأرض الشيخ جراح .[١٦]

وهكذا استطاعت إسرائيل من خلال هذه الإجراءات الظالمة التعسفيّة المتمثلة في مصادرات أراضي مدينة القدس والقرى المحيطة بها أن تقلب ميزان الملكيّة العقاريّة في مدينة القدس الشريف لحسابها، وهو أمر لا يستند إلى الحق ويخالف القانون الدوليّ مخالفة صريحة .

وفي مراحل متأخرة زادت إسرائيل من المساحات الأرضيّة المصادرة من عرب مدينة القدس ومن عرب القرى المجاورة للقدس مثل قرى: بيت جالا والنبي يعقوب وعناتا والعيزريّة والنبي صمويل .

(١٤) الخطيب، روحي، القدس تحت الاحتلال، مقال منشور في مفكرة القدس لعام ١٩٧٨م، ص ١٣ .

(١٥) د. قاسمية، خيرية، الإجراءات الصهيونيّة لتهويد القدس الشريف، مقال مشور في مجلة القدس المحتلة، العدد ٢٠٩، ٨ تشرين الأول ١٩٧٩م، ص ١٧ .

(١٦) د. قاسمية، الإجراءات الصهيونيّة، ص ١٧ .

ومن مظاهر التعسف الإسرائيليّ أن اليهود منعوا السكان العرب من البناء في مساحات واسعة شملت مناطق كثيرة من القدس. وحددت مناطق واسعه أطلقت عليها اسم المناطق الخضراء يمنع إقامة البناء عليها لأنها حدائق ومتنفس للمدينة، وهي في الواقع وسيلة لتفريغ السكان العرب من مدينة القدس. وهكذا قلت مساحة الأرض العربيّة في القدس الشريف، ولم يبق لهم سوى بعض الأراضي داخل المناطق السكنيّة المقامة عام ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ.

ونتيجة لمصادرة الأراضي التي أتبعها اليهود في مدينة القدس، أصبح اليهود يضعون أيديهم على (٥٦٠٠٠) دونم من أصل (٦٣٠٠٠) دونم هي مساحة القدس القديمة[١٧] أي القدس التي بقيت للعرب بعد تقسيم المدينة على أثر هدنة عام ١٩٤٩م/ ١٣٦٨هـ الموقعة بين الأردن وإسرائيل. فبعد أن كان العرب يملكون ٨٣٪ من أرض القدس عام ١٩٤٨م/ ١٣٦٨هـ، أصبحوا في نهاية السبعينات من القرن الحالي يملكون ١٤٪ من أراضي المدينة، ويملك الأجانب المقيمين في المدينة ٣٪ وباقي الأراضي سيطر اليهود عليها بطرق غير قانونيّة.

وبدأت إسرائيل تخطط لقدس كبرى موحدة، وهو ما أشارت إليه جريدة دافار الإسرائيليّة في عددها الصادر في الثلاثين من شهر سبتمبر ١٩٧٥م، تقول الجريدة: «صرح مسؤول إسرائيليّ كبير أن خريطة القدس الموسعة التي تمت الموافقة عليها في الكنيست الإسرائيليّ والتي رسمت بإيعاز من رئيس الوزراء الإسرائيليّ، شملت منطقة واسعة تمتد من الخان الأحمر شرقاً وقرية بتين (بيت إيل) الواقعة شمال مدينة البيرة شمالاً، ومدينة الخليل عند مستعمرة كريات أربع التي أنشأتها إسرائيل بعد عام ١٩٦٨م جنوباً، واللطرون أو مستعمرة بيت شميس غرباً».

وقال المسؤول الإسرائيليّ الكبير: «إنه ومن أجل أن نؤمن القدس مدينة موحدة عاصمة لإسرائيل فإن علينا أن نؤمن فيها أكثريّة يهوديّة. وعلينا أن نقلل من النقاش حول مشكلتها، كما لا توجد ضرورة لعرض الحلول السياسّية المختلفة ووضع المشروعات والمقترحات لحلها، كل ذلك من أجل تخدير العالم لينسى هذه القضية»[١٨].

---

(١٧) عرفة، عبد الرحمن، الاستيطان: التطبيق العمليّ للصهيونيّة، ط ١، دار الجليل للنشر، ١٩٨١م، ص ٢٢٤.

(١٨) جريدة دافار الإسرائيليّة، العدد الصادر في تاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٧٥م، نقلا عن الترجمة العربيّة الواردة في مذكرة أمانة القدس، إعداد روحي الخطيب، ١٩٧٧م.

ويكون مشروع القدس الكبرى المقرر من قبل الكنيست الإسرائيليّ مشروع يوسع حدود مدينة القدس في أراضي المدن والقرى المحيطة بها فيضم تسع مدن وستين قرية عربيّة فلسطينية.[١٩] ولتنفيذ هذا المشروع قامت إسرائيل بمصادرة الأراضي المحيطة بالقدس وبناء المستوطنات الإسرائيليّة عليها كما هو الحال في إنشاء مستوطنة كالية الواقعة على الشاطيء الشماليّ للبحر الميت، وتبعد عن القدس حوالي أربعين كيلاً. ومستوطنة كريات أربع الملاصقة لمدينة الخليل والتي أقيم فيها منطقة صناعيّة. ومستوطنة عوفرة الواقعة في شمال مدينة رام الله. ومستوطنة هناني في الأراضي العربيّة شرق بلدة العيزريّة. ومستوطنة افراتا على أراضي عرب السواحرة في جنوب شرق القدس. ومستوطنة في أرض قلندية قرب مطار قلندية وهي خاصة بالصناعة. ومستوطنة تاكواع في جنوب مدينة بيت لحم، ومستوطنة معاليه أدوميم في منطقة الخان الأحمر مفتاح الطريق إلى القدس من جهة مدينة أريحا والبحر الميت، وأقيم فيها مدينة صناعيّة. ومستوطنة جيعون الواقعة على أرض قرية الجيب العربيّة في غرب مطار قلندية. ومستوطنة اللطرون الواقعة على أرض جبل اللطرون في موضع يسمى جبل المقطم. ومستوطنة جبل الطويل في مدينة البيرة. ومستوطنة بيت عور التحتة القريبة من قرية بيت عور العربيّة الفلسطينيّة. وأقام اليهود مستوطنتين في أراضي النبي صمويل، ومستوطنة قرب مدينة بيت جالا الفلسطينيّة القريبة من مدينة بيت لحم، ومستوطنة قرب قرية دير جرير.[٢٠]

وهكذا أقام اليهود الإسرائيليون هذا الكم الهائل من المستوطنات اليهوديّة في القدس والمدن أو القرى المحيطة بها لإقامة القدس الكبرى الموحدة على حساب أرض عرب فلسطين هادفين من وراء ذلك إلى:

١ ــ جعل مدينة القدس الكبرى عاصمة إسرائيل بعد أن صادر اليهود الأراضي العربيّة بالقوة والظلم والسلاح.

٢ ــ العمل على إسكان أعداد من اليهود تكون نسبتهم تفوق كثيراً نسبة السكان العرب الفلسطينيين في القدس الكبرى.

---

(١٩) مذكرة أمانة القدس، إعداد روحي الخطيب، ١٩٧٧م. انظر المستوطنات اليهودية في القدس في:

HRH Crown Prince Hassan Ibn Talal Astudy on Jerusalem, Amman, 1979.

(٢٠) ارجع إلى مذكرة أمانة القدس حول معالم تغيير أوضاع مدينة القدس إعداد روحي الخطيب أمين القدس، ص ص ٢٣-٢٩.

٣ ــ تغيير الطابع العربي لمدبنة القدس وما حولها ليحل مكانه طابع يهوديّ في ظل القبول بسياسة الأمر الواقع الذي يفرض طابعاً عمرانياً وثقافيّا وسكانيّاً يهوديّاً في مدينة القدس الشاملة ليكون الحل الحتمي لصالح اليهود.

٤ ــ تقطيع أوصال سبل الاتصالات والمواصلات بين البلدان الفلسطينيّة من خلال زرع المستوطنات اليهوديّة في مناطق فاصلة لتكون البلدان الفلسطنيّة تحت رحمة إسرائيل وتأثيرها ومؤثراتها.

٥ ــ العمل على إيجاد طوق دفاعيّ يهوديّ محصن يحيط بمدينة القدس كوسيلة دفاعيّة عنها، وهو أمر يخطط له اليهود لأنهم غاصبون ومحتلون وتراودهم حالات قلق واضطراب دائم على الرغم من آلة السلاح التي يقتنوها.

٦ ــ استغلال المستوطنات كمدن صناعيّة لإضعاف اقتصاد عرب فلسطين وإجبارهم على أن يظلوا قوة عاملة مستخدمة لصالح الاقتصاد اليهوديّ مما يجعل اقتصادهم اقتصاداً تابعاً وخاضعاً لأهواء السياسيين الإسرائيليين المتطرفين عنهم والمعتدلين ومما يلحق بهما.

٧ ــ عزل مدينة القدس عن غيرها من مدن فلسطين وقراها ممّا يركز في المدينة الطابع اليهوديّ ويقلل من التأثير العربيّ الفلسطينيّ فيها، وهذا بدوره يركز مفهوماً سياسيّا يخدم مخططات إسرائيل في الحاضر والمستقبل، خاصة في ظل غياب التخطيط والتنسيق على الجهة الأخرى.

وبإلقاء نظرة على مواضع الاستيطان اليهوديّ في مدينة القدس وماحولها، نجد أن المستوطنات اليهوديّة المقامة حتى الثمانينات من هذا القرن تطوق المدينة من جهة وتقطع أوصال التجمع العربيّ من جهة أخرى. نذكر على سبيل المثال لا الحصر الحيين اليهوديين المقامين عام ١٩٦٩م في داخل مدينة القدس القديمة وهما مستوطنات حي المغاربة ومستوطنات الحي اليهوديّ. وهناك مستوطنات تطوق المدينة مثل مستوطنات شرق جبل سكوبس المسماة بمستوطنات التلة الفرنسيّة وقد أقيمت تلك عام ١٩٦٩م. ومستوطنات قرى بيت صفافا وشرفات وبيت جالا المقامة عام ١٩٧٤م. ومستوطنات بيت حنينا المسماة بحي النبي يعقوب المقامة عام ١٩٧٣م. ومستوطنات حي الشيخ جراح المسماة رامات إشكول المقامة عام ١٩٦٨م. ومستوطنات منطقة شعفاط وعناتا المسماة تل عناتوت المقامة عام ١٩٧٤م. ومستوطنات منطقة صور باهر المسماة بحي تل بيوت المقامة عام ١٩٧٣م. ومستوطنات أخرى أقيمت في شمالي القدس تسمى مستوطنات حي سانهدريا عام ١٩٧٣م، ومستوطنات عطروت ومعلومات ودفنا وجيلو

وراموت وغيرها.[٢١]

ومازالت إسرائيل تبني المستوطنات في ضواحي مدينة القدس وحولها إمعاناً في سياسة القمع والظلم واحتلال الأراضي العربيّة بالقوة وتحت حماية الجيش الإسرائيليّ وحرابه ودباباته. وأقدم دليلاً على هذا إحتلال إسرائيل لجبل أبو غنيم بالقوة والشروع في بناء مستوطنة عليه. وجبل أبو غنيم على الرغم من مساحته الصغيرة إذا ما قيست بمساحات المستوطنات المقامة في القدس لكنه يظل يتمتع بموقع ممتاز مطل على مدينة القدس من جهة ويشرف على معالم مدينة بيت لحم مسقط رأس عيسى عليه السلام، وحيث كنيسة المهد من جهة أخرى، فهو جبل مطل على منطقتين مقدستين. والسبب الرئيس في حرص إسرائيل على إقامته لأنه يقطع أجزاء المناطق العربيّة ويشتت وحدتها ويعيق عمليات الاتصال الطبيعي بين السكان العرب، ويصبح هؤلاء تحت رحمة اليهود في تنقلاتهم وطرق مواصلاتهم واتصالاتهم. كما أنه مشروع سياحيّ مهم لاستقبال زوار المقدسات النصرانيّة فهو حلقة وصل بين القدس وبيت لحم، وبالإضافة إلى أهمية موقعه الاستراتيجيّ المطل على المنطقة برمتها.

ومن أساليب تهويد المناطق العربيّة ما قامت به إسرائيل من فتح نفق حول المسجد الأقصى تحت سوره مدعية وجوده قبل ذلك. والواقع أن جميع الأقوام الذين سكنوا القدس وحكوماتهم عنوا كثيراً بمسألة المياه في المدينة، وما هذه الأنفاق إلّا لتأمين عملية توفير المياه للمدينة. ففي حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م بنى سكان مدينة القدس القدماء نفقاً تحت الأرضي في الصخرة يصل المدينة بعين أم الدرج، مما يسهل وصول السقاة إليها، وكان هذا النفق وغيره من الأنفاق المماثلة يفيد السكان وقت الحصار فيختبئون فيه.

ومثال آخر على حفر الأنفاق القديمة ما فعله الملك العادل أبو بكر عام **١١٩٣م/٥٨٩هـ** حين جلب ماء العروب إلى مدينة القدس، وتبعد العروب عن مدينة القدس في حدود[٢٢] كيلاً. وبنى العادل أيضاً حوضاً للسقاية في الجهة الجنوبيّة من مدينة القدس.[٢٣] وقد تطلب مثل هذه المشروعات أعمال حفر الأنفاق لهذه الغاية.

---

(٢١) عرفة، الاستيطان، ص ٢٣٤.

الفرحان، يحي، قصة مدينة القدس، المنظمة العربيّة للتربية والعلوم، دار الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينيّة، ص ١٤٨.

(٢٢) الدباغ، بلادنا فلسطين، جـ٩، ق٢، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٥م، ص ٢٥.

(٢٣) الموسوعة الفلسطينيّة، جـ٣، ص ٥٣٥.

والغريب حقاً أن يستخدم النفق الذي فتحه اليهود في القدس لأغراض سياحيّة وجمع الأموال من السياح والمتفرجين ، فيدفع الواحد منهم مبلغ (١٥) دولاراً أمريكياً تذكرة دخوله .

تهويد الكثافة السكانيّة في القدس

تحاول إسرائيل جاهدة تهويد الكتلة السكانيّة المقيمة في مدينة القدس الكبرى حتى يصبح عدد اليهود في المدينة أكثر بنسبة كبيرة جدا من نسبة عدد السكان العرب المقيمين فيها . وبناءً عليه قامت إسرائيل باتخاذ عدد من الإجراءات والقوانين والوسائل التي تخدم أغراضها، نذكر من أهمها :

١ ــ شجعت إسرائيل الهجرة اليهوديّة إلى مدينة القدس، وشجعت على الاستيطان فيها مساهمة في كل جهد يركز الاستيطان اليهوديّ في المدينة .

٢ ــ منعت إسرائيل عرب القدس الغربيّة الذين طردهم اليهود منها عام ١٩٤٨م/ ١٣٦٨هـ من العودة إلى أرضهم وأملاكهم، ووصل عدد هؤلاء العرب إلى ٦٠,٠٠٠ نسمة، واعتبرتهم إسرائيل في حكم الغائبين، فصادرت أرضهم وجميع ممتلكاتهم بموجب قانون الغائبين الذي سنته إسرائيل من أجل مصادرة ممتلكات العرب في مدينة القدس وغيرها، علماً بأن هذا القانون مخالف تماما لقوانين هيئة الأمم وقراراتها ويتعارض كذلك مع مبادىء القانون الدولي.[٢٤]

٣ ــ شكلت إسرائيل لجنة إعمار وتطوير الأحياء اليهوديّة في مدينة القدس، مهمتها الإشراف على إسكان اليهود في المدينة والمحافظة على أحيائهم ومستوطناتهم .[٢٥]

٤ ــ تضييق الخناق على عرب القدس عن طريق تطويقهم بأحياء سكنيّة يهوديّة، وعن طريق إضعاف اقتصادهم وتقليل فرص العمل المتاحة لهم، وغير ذلك من مجالات تضييق الخناق لإرغام السكان العرب على ترك المدينة والرحيل عنها إلى المناطق العربيّة المجاورة .

٥ ــ شكلت إسرائيل لجنة للبحث عن أملاك اليهود في مدينة القدس القديمة لأخذها من السكان العرب،[٢٦] علماً بأن إسرائيل كانت ومازالت تطرد السكان العرب من مدينة القدس وغيرها من البلدان الفلسطينيّة وتصادر أملاكهم دونما رادع .

---

(٢٤) القدس تاريخ وصور، ص ٣٨.

(٢٥) قاسمية، خيرية، الإجراءات الصهيونيّة لتهويد القدس الشريف، ص ١٩ .

(٢٦) قاسمية، خيرية، الإجراءات الصهيونيّة، ص ١٩ .

وظهرت أصوات يطالبون بكل وقاحة طرد العرب من مدينة القدس، فصرح الحاخام اليهوديّ مئير كاهانا مؤسس رابطة الدفاع اليهوديّة المتطرفة في مايو عام ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ: «أن إبقاء تسعين ألفاً من العرب في القدس يحول المدينة في المستقبل إلى إيرلندا شماليّة أخرى».

٦ ــ قامت إسرائيل بإحصاء سكان القدس في يوليو عام ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ، ومنعت جميع السكان العرب الغائبين الذين لم يكونوا موجودين في القدس عند إجراء الإحصاء من حق العودة إلى المدينة وكانوا وقتذاك في حدود عشرين ألف عربي خارج المدينة وقت الاحصاء، على الرغم من أن هذا الإجراء يخالف ماورد في المادة الثالثة من الميثاق العالميّ لحقوق الإنسان، ومخالفاً لقرار هيئة الأمم رقم ١٩٤ بتاريخ ١١ ديسمبر عام ١٩٤٨م/ ١٣٦٨هـ القاضي بإعادة جميع اللاجئين الفلسطينين إلى بلادهم وإعادة أملاكهم[٢٧].

٧ ــ قامت السلطات الإسرائيليّة بعد احتلال مدينة القدس عام ١٩٦٧م بتدمير أحياء عربيّة بكاملها. بحجة أنها قديمة أو بحجة فتح طرق جديدة، أو بحجة تشجير المنطقة وزراعتها من أجل تحسين المدينة وغير ذلك من الحجج الواهية التي تهدف أولاً وآخراً إلى تهجير عرب القدس وتقليل نسبتهم في المدينة.

٨ ــ وضعت إسرائيل مجموعة من القوانين والإجراءات المعقدة لمنح رخص بناء للمواطنين العرب، وأصبحت رخصة البناء تحتاج إلى شهور وأحياناً إلى سنوات، كما أن رخصة البناء مكلفة إلى حد كبير جداً حتى لا يتمكن العربيّ من ذوي الدخل المحدود أو المتوسط من البناء في مدينة القدس رغم الزيادة الكبيرة في أعداد عائلاتهم، وهذه وسيلة ضغط عليهم لإجبارهم على الرحيل من مدينة القدس وخاصة المدينة القديمة لتتاح لليهود فرصة تغيير معالم المدينة من النمط العربيّ إلى النمط اليهوديّ ضمن مخطط إسرائيليّ واسع يهدف إلى إجلاء ثمانية عشر ألف عربي من سكان الأحياء الإسلاميّة في القدس القديمة خاصة تلك الأحياء المحيطة بالمسجد القدسيّ الشريف.[٢٨]

٩ ــ ولزيادة عدد سكان القدس من اليهود وما يلحق بها من زيادة في مصادرة الأراضي العربيّة في المدينة، تم إنشاء عمارتين كبيرتين في المنطقة العربيّة بحي الشيخ جراح

(٢٧) أبو علية وعويس، بيت المقدس، ص ٥٩.

(٢٨) مذكرة أمانة القدس، إعداد روحي الخطيب، ص ٣٠.

لاستخدامها مكاتب حكومية، والأرض التي أقيمت عليها هاتين العمارتين الكبيرتين هي في الأصل كانت مستشفى عربيّ. وعمرت هاتين العمارتين بالموظفين العاملين في وزارتي الزارعة والإسكان الإسرائيليتين الذين يقومون بمهمة إقامة العقارات اليهودية في مدينة القدس العربيّة. وأمر مناحييم بيغن عام ١٩٨٠م بمصادرة (٣٧) دونماً من أرض العرب في حي الشيخ جراح بالقدس العربيّة من أجل إقامة مباني الذي قرر نقله إلى القدس العربية قبل مدة قليلة من موافقة الكنيست الإسرائيليّ على مشروع قانون يقضي بضم مدينة القدس العربيّة لتصبح مع القدس الغربيّة مدينة موحدة مشكلة عاصمة إسرائيل.(٢٩)

وتتضح سياسة التهويد السكانيّ في مدينة القدس من خلال الأرقام التالية(٣٠)، وهي أرقام إحصائيّة تقريبية.

عام	مسلمون	نصارى	عرب	يهود	النسبة المئوية لليهود
١٩٤٦م	٦٠,٥٦٠	٤٤,٨٥٠	١٠٥,٤١٠	٩٩,٦٩٠	٤٨,٦٪
١٩٤٨م	٤٠,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	٦٥,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	٦٠,٦٪
١٩٦٧م	٥٤,٩٦٣	١٢,٦٤٦	٦٧,٦٠٩	١٩٥,٠٠٠	٧٤,٢٪
١٩٨٠م			١٢٠,٠٠٠	٢٨٠,٠٠٠	٧٠٪
١٩٨٢م			١١٤,٠٠٠	٣٣٧,٠٠٠	٧٥٪

نلحظ من قراءة الجدول السكانيّ أن نسبة السكان العرب في القدس أخذت في التناقص بعد عام ١٩٤٦م/ ١٣٦٥هـ، وبان هذا النقص بشكل واضح عام ١٩٤٨م/ ١٣٦٧هـ، حيث نشوب الحرب الفلسطينيّة اليهوديّة. فنقص عدد العرب المسلمين

(٢٩) كيت ماجواير، تهويد القدس، مركز الدراسات العربيّة، بيروت، ١٩٨١م/١٤٠١هـ، ص ٤٨.

(٣٠) هذه أرقام إحصائية تقريبيّة وردت عن إحصاءات السكان من قبل هيئة الأمم المتحدة حين وضعت مشروعات التقسيم وكذلك دائرة المعارف البريطانية وتيرنس بريتي Ternes Pritte في كتابه القدس عن "Whose Jerusalem"

- كيت ماجواير، تهويد القدس، ص ١٤، ١٥.
- الفرحان، يحيى، قصة مدينة القدس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص ص ٩٨-٩٩.

٢٠,٠٠٠ نسمة ونقص عدد العرب النصارى في حدود ٢٠,٠٠٠ نسمة، ويعود هذا النقص الملحوظ إلى عمليات الطرد القهريّ الذي مارسه اليهود ضد السكان العرب من مسلمين ونصارى بغية تهويد القدس. وبالمقابل زادت نسبة السكان اليهود في حدود ١٢٪ لأن إسرائيل شجعت على هجرة اليهود إلى المدينة وساعدتهم على السكن فيها تمهيداً لزيادة كثافة اليهود السكانيّة تلبية لمخططاتهم الرامية إلى السيطرة على القدس برمتها.

ونلحظ من خلال الإحصاء التقريبي لعدد سكان القدس عام ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ أن عدد السكان اليهود زاد في حدود ٩٥,٠٠٠ نسمة، بينما وصلت زيادة السكان العرب المسلمين في حدود ١٥,٠٠٠ نسمة وهي نسبة قليلة إذا ما قورنت بنسبة الزيادة في عدد اليهود. وملحوظة أخرى وهي تناقص عدد العرب النصارى في القدس، حيث نقص عددهم في حدود ١٢,٠٠٠ نسمة لأن معظمهم سافر إلى الولايات المتحدة وكندا ودول أوربا نتيجة لاحتلال اليهود لكل مدينة القدس عام ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ.

وبإلقاء نظرة على نسبة السكان العرب واليهود عام ١٩٨٠م/ ١٤٠١هـ نجد زيادة كبيرة في عدد السكان اليهود، فزادوا في حدود ٨٥,٠٠٠ نسمة عمّا كانوا عليه عام ١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ، علماً بأن زيادة عدد السكان العرب لم تتعدى في حدود ٥٣,٠٠٠ نسمة على الرغم من كثرة نسلهم وتناسلهم ـ وتجدر الإشارة هنا إلى أن العرب المعنيين بالأمر هم في معظمهم مسلمون.

ونجد عدد السكان اليهود عام ١٩٨٢م/ ١٤٠٣هـ زاد في حدود ٥٧,٠٠٠ نسمة وهي زيادة لا يمكن أن تكون بسبب كثرة الانجاب لأن هذا ليس من طبعهم ولا من سمتهم، وإنما سببه فتح أبواب مدينة القدس على مصراعيها أمام هجرة يهوديّة مدروسة ومخطط لها. وبالمقابل فإن عدد العرب نقص في حدود ٦٠٠٠ نسمة نتيجة للضغط الذي يمارسه اليهود على السكان العرب لإجبارهم على الرحيل أو اختلاق القوانين التي تمنع إقامتهم وتسبب في هجرتهم القهريّة تحت ظروف عدة لا تحتمل أو نتيجة قوانيين ظالمة مخالفة لكل المعايير الدوليّة والقيم الإنسانيّة. ومازال عدد اليهود في القدس في ازدياد بسبب الاحتلال، وبالمقابل مازال عدد السكان العرب لم يبرح مكانه إذا ما قيس بالنسبة إلى الزيادة المطردة في عدد اليهود.

الفصل الحادي عشر

القدس ثقل ديني وسياسي و واجب العالم الاسلامي نحوها

- القدس ثقل دينيّ وسياسيّ.
- القدس ثقل سياسيّ.
- واجب العالم الإسلاميّ.
- لجنة القدس.
- أهداف لجنة القدس.
- تشكيل لجنة القدس.

الفصل الحادي عشر

القدس ثقل ديني وسياسي وواجب العالم الاسلامـي نحوهـا

القدس ثقل دينـيّ وسياسـيّ

مّما لا شك فيه أن القدس الشريف تظل تشكل مركز ثقل دينيّ لدى أتباع الديانات السـماويّة : اليهوديّة والنصرانيّة والإسلام . وستظل القدس عاصمة دينيّة أبدية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، مهما اعترى تاريخها من حوادث، كبرت مساحة المدينة أم صغرت، زاد عدد سكانها أم قلوا، قوى نشاطها الاقتصاديّ أم ضعف، تطوّرت المدينة أم ظلت راكدة .

القدس ثقل سياسيّ

ظلت القدس عاصمة سياسيّة على مر حقب تاريخها السياسيّ . ففي العهد اليبوسـيّ كانت القدس أو مدينة السلام كما كانت تسمى وقتذاك عاصمة لليبوسيين في ظل عهد ملكهم ملكي صادق . وهي من أقدم بقع الدنيا التي ذكرت في التاريخ القديم، آمن أهلها في عهد ملكي صادق بالله الواحد، وآمن ملكها بالتوحيد، وبهذا تكون القدس وملكي صادق لهما فضل كبير على العالم بأسره لأن في هذه المدينة وضعت أسس الحياة الدينيّة ذات المعتقد الواحد منذ نحو (٤٠٠٠) سنة من وقتنا الحاضر .

وينسب المؤرخ جريجـور يوس أبـو الفـرج المعروف بابن العبريّ بناء مدينة السلام وتـأسيسهـا إلى ملكي صادق اليبـوسي[١] . وأورد صاحب كتـاب الأندس الجليل عن القـدس: « . . . إن ملكي صادق نزل بأرض بيت المقـدس وقطن بكهف من جبالها يتعبد فيه واشتهر أمره حتى بلغ ملوك الأرض الذين هم بالقرب من أرض بلاد الشام

---

(١) ابن العـبري، جريجـوريوس الملطيّ، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، ١٩٥٨م، ص ١٤ .

وغيرها وعددهم اثنا عشر ملكاً فحضروا إليه، فلما رأوه وسمعوا كلامه اعتقدوه وأحبوه حباً شديداً ودفعوا له مالاً ليعمر به مدينة القدس، فاختطها وعمَّرها وسماها بيت السلام، فلما انتهت عمارتها اتفق الملوك كلهم أن يكون ملكي صادق ملكاً عليهم وكنوه بأبي الملوك، فكانوا بأجمعهم تحت طاعته واستمر حتى مات بها».

وتأسيساً عليه فإن مدينة القدس في عهد ملكي صادق كانت مركز حكم هذا الملك وعاصمة ملكه، وفيها كل مؤسسات الحكومة الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، فهي مركز حكم يبوسيّ قائم وعاصمة لليبوسيين في ظل سيادة حكم المدن. ولو أن أرض ملكي صادق توسعت لظلت القدس عاصمة دولته.

وفي عهد نبي الله داود عليه السلام أصبحت مدينة السلام اليبوسيّة عاصمة دولته الصغيرة بعد أن استولى عليها من اليبوسيين. ونظم داود عليه السلام شؤون دولته وجعل كل مؤسساتها في القدس. وفي عهده قامت حروب كثيرة وفتن داخليّة عظيمة أزعجت الحكومة وقللت من سيادتها وسلطتها. ومات داود عليه السلام عن عمر يناهز الواحدة والسبعين بعد حكم دام في حدود أربعين سنة، ودفن في القدس التي سماها مدينة داود في مسجد يعرف باسم مسجد داود عليه السلام[٢]. وفي عهد سليمان بن داود عليه السلام وسع مدينة داود عليه السلام، وزاد في عمرانها حتى أصبحت مساحتها في حدود (٥٥) فداناً، لأن عهد سليمان عليه السلام عهد رخاء تجاريّ، وكان له أساطيل تجاريّة في البحرين المتوسط والهنديّ[٣].

إن الرخاء والهناء الذي تمتع به اليهود في عهد نبي الله سليمان عليه السلام لم يدم طويلاً لأنه في أواخر عهد سليمان فرضت ضرائب باهظة على السكان، فثاروا وثارت القبائل اليهوديّة. ولما توفي سليمان عليه السلام خلفه ابنه رحبعام الذي كان أشد من والده في معاملته للقبائل اليهوديّة. فقام عشر أسباط من اليهود هم وقبائلهم فأسسوا كياناً سياسيّاً منفصلاً عن القدس، وجعلوا شكيم عاصمة هذا الكيان، ونصبوا عليهم يربعام أحد المناهضين لسليمان عليه السلام ملكاً، ومنع يربعام جماعته من اليهود من زيارة القدس. ولم يدم عمر مدينة القدس كعاصمة يهوديّة موحدة أكثر من (٧٣) سنة فقط[٤]، وهذا زمن قصير جداً من عمر مدينة القدس السياسيّ والتاريخيّ الذي يصل إلى

---

(٢) الدباغ، مراد، بلادنا فلسطين، في بيت المقدس (١)، ص ص ٣٢-٣٣.
(٣) بوست، جورج، قاموس الكتاب المقدس، جـ١، بيروت، ١٩٦٤م، ص ٤٨٢.
(٤) الدباغ، بلادنا، بيت المقدس (١)، ص ٣٨.

أكثر من (٤٠٠٠) سنة.

وبعد الفتح الإسلاميّ ودخول عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدينة إيلياء (القدس)، أصبحت المدينة عاصمة أجناد فلسطين في ظل التقسيمات الإداريّة الإسلاميّة. وصارت مدينة بيت المقدس مركز الثقل السياسيّ الاسلاميّ في فلسطين لكل أجنادها وكورها، ومعروف جداً أنه توجد حدود سياسيّة بين الأجناد والكور في ظل الدولة الإسلاميّة الواسعة.

وفي عهد الصليبيين أسس هؤلاء مملكة القدس الإفرنجيّة واتّخذ بلدوين لقب ملك القدس بموافقة جميع الزعماء الصليبيين من دينيين وعسكريين، وتم تتويجه في يوم عيد الميلاد من سنة ١١٠٠م/ ٤٩٤هـ وكان التتويج قد تم في كنيسة المهد في مدينة بيت لحم. وامتد حكم مملكة القدس الإفرنجيّة من ١١٠٠ ـ ١١٨٧م /٤٩٤ ـ ٥١٣هـ أي أن هذه الفترة تزيد عن فترة حكم الدولة اليهوديّة في القدس.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مدينة القدس في ظل السيادة الإفرنجيّة كانت تشكل مركز الثقل السياسي لهذه الدولة التي امتدت حدودها وهي في قمة عهدها من العقبة على البحر الأحمر إلى بيروت على البحر المتوسط غرباً، ومن الشرق وصلت حدودها إلى منطقة ليست بعيدة عن وادي الأردن (منطقة غور الأردن)[٥]. وأصبح لهذه المملكة التي عاصمتها القدس ساحلاً طويلاً مّما مكنها أن تبقى على اتصال مع العالم الأوربيّ الغربي[٦]. وفي مدينة القدس رتب الصليبيون شؤون دولتهم وإدارتها، وأنشأوا فيها كل مؤسساتهم وأجهزتهم الحكوميّة، ومن هذه العاصمة ظلت تدار دفة حكم المملكة الصليبيّة.

أما عن صفة القدس السياسيّة في العهد العثمانيّ، لابد أن نأخذ بعين الاعتبار مسألتين: الأولى أن الدولة العثمانيّة دولة ولايات وسناجق لا حدود سياسيّة بينها، وهي تخضع لتغيرات إداريّة أحياناً تكون واسعة وأحياناً تكون في حال تغيير متكرر. والثانية أن اتساع الولاية أو السنجق قابل للامتداد والتقلص في صل التنظيمات الإداريّة العثمانيّة التي تتحكم فيها الظروف السياسيّة والاجتماعيّة والمتغيرات التي تصاحبها.

وهذا هو حال القدس في ظل الحكم العثمانيّ، حيث شكلت بيت المقدس لوءاً من ألوية إيالة دمشق في ظل التقسيمات والتوزيعات الإداريّة العثمانية في عهد السلطان

(٥) د. عاشور، سعيد، الحركة الصليبيّة، جـ١، القاهرة، ١٩٣٦م، ص ٣٣٩.
(٦) حتي، فيليب، تارخ سورية ولبنان وفلسطين، جـ ٢، بيروت، ١٩٦٠م، ص ٢٣١.

العثمانيّ سليمان القانوني. وظلت القدس ردحاً من الزمن تشكل الثقل السياسيّ في فلسطين، وهي مركز اللواء وفيها مؤسساته وأجهزته الإداريّة والسياسيّة، وفيه يقيم المسؤولون العثمانيون. وفي عام ١٨٣٩م/ ١٢٥٥هـ عينت بريطانيا قنصلا لها في القدس، وهو أول قنصل أجنبي يقيم في المدينة قبل غيره من قناصل الدول الأخرى[٧].

وفي عام ١٨٧٤م/ ١٢٩١هـ جعل العثمانيون بيت المقدس مركز ثقل سياسيّ ودينيّ مهم، فجعلوا منها متصرفيّة خاصة ترتبط مباشرة بنظارة الداخليّة العثمانيّة في مدينة استانبول.[٨] وأصبحت مدينة القدس مركز المتصرفيّة التي يتبعها من الأقضية: بئر السبع وغزة والخليل وبيت لحم وأريحا ويافا واللد والرملة ورام الله والمجدل. كما أن عدداً من سكان المتصرفيّة أصبح عضواً في البرلمان العثمانيّ على أثر الحكم الدستوري العثمانيّ الذي جرى بموجبه انتخاب نوابه عن فلسطين، ففاز كل من روحي الخالدي وسعيد الحسيني من القدس وحافظ السعيد من يافا بمقاعد نواب في مجلس النواب العثمانيّ ومركزه استانبول[٩].

وامتدت حدود هذه المتصرفية من مناطق جنوبيّ غزة إلى مصب نهر العوجا شمالي يافا، وهو ساحل طويل على البحر المتوسط. وامتدت شمالاً حتى نابلس وجنوباً حتى نهاية قضاء بئر السبع. ومن الشرق إلى غور الأردن والبحر الميت[١٠].

ونلحظ من امتداد سنجق القدس (متصرفيّة القدس) في العهد العثماني أنه يشمل الجزء الأكبر من فلسطين أرضاً وسكاناً حسب الترتيبات العثمانيّة الإداريّة، وذلك نظراً لأهمية القدس الدينيّة والتاريخيّة والسياسية والسياحيّة والدبلوماسيّة. فشمل سنجق القدس (٣٢٨) قرية، وكان عدد سكانها وقتذاك أكثر من (٤٠٠) ألف نسمة أو ما يقارب نصف مليون نسمة. وظلت مدينة القدس عاصمة هذا السنجق في ظل متصرفيّة القدس العثمانيّة.[١١]

وطبق العثمانيون مواد دستورهم الصادر عام ١٨٧٦م/١٢٦٣هـ على متصرفيّة

---

(٧) الدباغ، القدس (١)، ص ٢٧.
(٨) الدباغ، القدس (١)، ص ٤٢.
(٩) سالنامة دولت عليه لعام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م، ص ٩١،٩٦.
(١٠) من خريطة متصرفيّة القدس الشريف ١٨٧٤ ـ ١٩١٧م، الدباغ، القدس (١)، ص ٤٣.
(١١) د. الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص ٣٧.

القـدس، فكـان فيهـا مجالس إداريّة منتخبـة ومعينة على مستوى السنجق كله بها فيه أقضيتـه جميعهـا. وكـان فيه نظام قضـائيّ ومحاكم شرعيّة مسؤولة عن تطبيق الشريعة الإسلاميّة تابعة مباشرة إلى شيخ الإسلام. وتمتعت الطوائف النصرانيّة واليهوديّة بنمط ذاتيّ فيما يتعلق بقضايا الزواج والطلاق والإرث وحرية ممارسة الشعائر الدينيّة بموجب نظام الملة[١٢].

وظلت مدينـة القـدس عاصمة دينيّة وسياسيّة بعد أن استولى البريطانيون عليها، جاعلين فيها إدارة عسكريّة شملت جنوبي فلسطين. وعين على المدينة حاكم عسكريّ بريطانيّ هو الكولونيل رونالد ستورز ''Ronald Storrs'' وأصبحت القدس مركز الحكم العسكري البريطاني في فلسطين، وفيها كانت تعقد المشاورات والاتصالات السياسيّة. وظلت مدينة القدس تطبق فيها الأنظمة العثمانيّة في ظل الإدارة العسكرية المؤقتة التي تدار من قبل هيئة عسكريّة تعمل تحت إدارة مدير عام يتلقى الأوامر من القائد الأعلى وهو الجنرال أللنبي Allenby عن طريق القائد العام.

وقامت بريطانيا بنقل الحكم العسكريّ إلى حكم مدني تكون مدينة القدس مركزه ومقره، وكان هذا الانتقال قد تم عام **١٩٢٠**م/ **١٣٣٩**هـ.

وعين هربرت صموئيل اليهوديّ مندوباً سامياً على البلاد الفلسطينية قبل أن يصدر صك الانتـداب الـرسميّ الصـادر عن عصبـة الأمم والمقـر من قبلهـا في **٢٩** سبتمر **١٩٢٣**م/**١٣٤٢**هـ. وأصبحت القـدس في ظل الإدارة المدنيّة البريطانيّة مركز الثقل السياسي لهذه الإدارة، ففيها دار الانتداب البريطاني، وفيها يقيم المندوب السامي على فلسـطين وكـذلـك المنـدوب السـامي المعـين على شرقي الأردن، ومنهـا كانت تصدر المـراسلات الرسميّة، وفيها مراكز الحكم والإدارة ومؤسساتها وأجهزتها وكل متطلبات الحكم والإدارة. وفيها عقدت الاجتماعات الرسميّة والسياسيّة والمؤتمرات المحليّة وذات الطابع الاقليميّ. فهي بلا أدنى شك عاصمة البلاد الفلسطينيّة وهي تشبه تماماً المدن التي كانت تشكل مراكز ولايات أو متصرفيات في عهد العثمانيين، وأصبحت فيما بعد عواصم لدول عربيّة حديثة. والقدس هي عاصمة فلسطين، وهي عاصمة الدولة الفلسطينيّة.

(١٢) الكيالي، تاريخ فلسطين، ص ص ٣٧ ـ ٣٨.

واجب العالم الإسلاميّ

إن قضية القدس هي قضية كل مسلم على ظهر البسيطة فالخطر الصهيونيّ هو خطر على كل المسلمين لأنه استعمار واهم يهدد الجميع . فالقدس تحظى بمكانة فريدة في نظر العالمين العربيّ والإسلاميّ نظراً لمكانتها الدينيّة بالنسبة لهم .

إن مأساة القدس التي هي جزء من المأساة الفلسطينيّة تعدّ مثلاً حياً وواقعياً للواقع الذي يشهده العالم الإسلاميّ اليوم، إذ لولا هذا الواقع المؤلم الذي يعيشه العالم الاسلاميّ لما ضاعت القدس ولما ضاعت فلسطين، ولما تجاسر العدو على اغتصابها .

وبناء عليه فإن العالم الإسلاميّ بأسره مطالب اليوم قبل الغد بتحرير القدس وفلسطين من اليهود الصهاينة المعتدين على حق العالمين : العربي والإسلاميّ . إن القدس تنتظر من العرب والمسلمين من يحررها من الاحتلال، فمن لها بعد صلاح الدين؟ إن واجب العالم الإسلاميّ نحوها أن يهيىء نفسه لجهاد طويل كي يعيد القدس وفلسطين إلى أهلها . إن العالم الإسلامي بأسره مصر على حقه في مقدساته التي رواها بدمه، مصر على تحقيق الهوية الإسلاميّة لتلك البقاع المقدسة رغم ما يحدث من أمور طارئة في ظل أوضاع طارئة . لقد ظهرت بوادر أمل كبير يوم أن شكل المؤتمر السادس لوزراء خارجيّة الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلاميّ المنعقد بمدينة جدة عام ١٩٧٥م/ ١٣٩٥هـ لجنة القدس لخدمة قضيتها .

لجنة القدس :

تشكلت لجنة القدس بتوصية من المؤتمر السادس لوزراء خارجية الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلاميّ المنعقد في جدة عام ١٩٧٥م/ ١٣٩٥هـ، حيث إن القدس الشريف يتبوأ مكانة مرموقة وذات طابع مميز في نفوس جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لارتباطه بعقيدتهم الدينيّة الإسلاميّة، ولما له من مقام كبير في تاريخهم السياسيّ والحضاريّ، زد على هذا ارتباطه بالديانات السماويّة الأخرى : اليهوديّة والنصرانيّة، فالقدس ملتقى الأديان والحضارات تعايش فيه الناس على اختلاف دياناتهم وأجناسهم وحضارتهم في ظل حكم إسلاميّ عادل فيه التسامح والأمن والاطمئنان للجميع .

بادرت الدول الإسلاميّة ممثلة في منظمة المؤتمر الإسلاميّ إلى عقد مؤتمر إسلامي في أعقاب الاعتداء السافر والماكر على المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م/ ١٣٨٩هـ، وانتهاك حرمته بارتكاب جريمة مدبرة قامت بحرقه، فعقد المؤتمر الإسلاميّ العاشر في مدينة

فاس بالمغرب، وأسند رئاسة لجنة القدس الشريف إلى الملك الحسن الثاني ملك المغرب.

أهداف لجنة القدس

يمكن تلخيص الواجب الذي أنيط بلجنة القدس بالنقاط التالية :

١ ــ دراسة وضع القدس الشريف.

٢ ــ متابعة تنفيذ القرارات المصادق عليها، والقرارات التي سيصادق عليها مستقبلا من قبل مؤتمرات وزراء الخارجية للدول الإسلامية.

٣ ــ متابعة القرارات المصادق عليها حول القدس من مختلف الهيئات والمحافل الدوليّة.

٤ ــ الاتصال بالمنظمات الدوليّة الأخرى التي قد تساعد على حماية القدس الشريف.

٥ ــ تقديم مقترحات للدول الإسلامية الأعضاء ولكل المنظمات ذات الاهتمام بأمر القدس وشؤونه، وتقديم مقترحات في شأن الخطوات التي يجب اتخاذها لضمان تنفيذ القرارات لمجابهة التطورات الجديدة والطارئة.

٦ ــ الدفاع عن قضية القدس الشريف في كل المحافل والمؤتمرات الدولية، والتعريف بعدالتها.

٧ ــ إعداد خطة إعلاميّة كاملة تصاغ في وثيقة علميّة تبين أهمية القدس الشريف دينيًا وسياسيًا وحضاريًا، وأحقيته التاريخيّة والقانونيّة، وإظهار عروبته وحق المسلمين في ولايته.

تشكيل لجنة القدس

تشكلت لجنة القدس من ممثلين عن خمسة عشر بلداً إسلامياً من بين البلاد الإسلاميّة الأعضاء ينتخبون لمدة ثلاث سنوات من قبل مؤتمر وزراء الخارجيّة للدول الإسلاميّة المنتظمة في منظمة العالم الإسلاميّ. وتجتمع هذه اللجنة بدعوة من رئيسها الملك الحسن الثاني، ملك المملكة المغربية، أو بدعوة من الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلاميّ.

ومن الواضح أن على هذه اللجنة مسؤولية كبيرة جداً، فعليها واجب عرض الحقائق الخاصة بشعب فلسطين، خاصة سكان القدس الشريف. وعليها بيان واقع الاحتلال الصهيوني للمدينة المقدسة، وما أحدثه هذا الاحتلال من ممارسات الضم والتهويد في المدينة، وما أحدثه فيها من استيطان يهوديّ داخل السور في المدينة القديمة وخارج

السور في أحيائها الحديثة. وعلى اللجنة عرض مسائل تفريغ القدس الشريف من سكانها العرب، والإرهاب الذي يمارسه، وتدمير الأبنية وإزالتها، والتضييق على أهاليها في مجالات التعليم والثقافة، والحفريات التي يقوم بها اليهود تحت المسجد الأقصى، وانتهاكهم حرمة الأماكن المقدسة وحق المواقع الآثاريّة في المدينة. فعلى اللجنة، لجنة القدس مهمات كبيرة وشاقة، وعليها في الوقت نفسه أن تبقى مستعدة للعمل في جو التطورات والطوارىء.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن اليهود الإسرائيليين أهملوا أمر المقدسات الاسلاميّة وشؤونها بعد احتلالهم القدس القديمة، مما اعترى هذه المقدسات التلف والخراب بسبب عبث إسرائيل الناجم عن البحث عن الآثار اليهوديّة التاريخيّة في منطقة المسجد الأقصى، فأدّى ذلك إلى تصدع جدرانه وقواعده، بالإضافة إلى تصدع عدد كبير من المباني العربّية القديمة ذات الطابع التاريخيّ، زد على هذا كله ما فعله الطقس والإهمال وعدم الصيانة المستمرة والمتلاحقة، فتخرب جزء، وتصدع الجزء الآخر من المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وماحولهما من منشآت دينيّة ومباني ذات طابع تاريخيّ مهم، وهذا الأمر يخالف كل الأعراف والقوانين الدولية.

وأصبح المسجد الأقصى ومسجد الصخرة والمباني العربيّة القديمة وغيرها من المنشآت بحاجة ملحة إلى إصلاح، وصار من الضروريّ جداً ومن الواجب الحتميّ على العالم الإسلاميّ حكومات وشعوب وفرادى أن يهبوا لتعمير القدس، والمحافظة على طابعها التاريخيّ العربي والإسلاميّ، ومساعدة أهلها في عمليات تعمير منازلهم وفي عمليات البناء، مما يدعم صمودهم في وجه مخططات إسرائيل الراميّة إلى تهويد المدينة سكاناً وعمراناً وطابعاً يهودياً تحت مجموعة كبيرة من أساليب التهويد ودهاليزه، وهنا يكمن واجب العالم الإسلامي كمقدمة أولى من مقدمات عودة القدس إلى أهلها، وعودة المقدسات الإسلاميّة إلى المسلمين أصحاب الحق والولاية على بيت المقدس.

وبالمقابل ظلت إسرائيل تضع كل العراقيل أمام مشروعات تعمير مدينة القدس وترميم المنشآت الدينيّة والاجتماعيّة والوقفيّة وغيرها، وانتهى الأمر بقبول إسرائيل المحتلة لبيت المقدس أن تقوم منظمة اليونسكو الدوليّة بترميم ما تلف وما خرب من منشآت في القدس القديمة على نفقة العالم الاسلامي. وقد تحمل هذا الجهد دول إسلاميّة وهيئات إسلاميّة ومؤسسات إسلاميّة ذات طابع أهلي، ومسلمون فرادى.

قامت المملكة العربيّة السعوديّة بدعم عمران بيت المقدس ومنشآته الدينيّة،

والمنشآت ذات الطابع الاجتماعيّ والإنسانيّ فيه. فتبنت اللجنة الشعبيّة لمساعدة مجاهدي فلسطين والتي يرأسها صاحب السمو الملكيّ الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود حملة لجمع التبرعات لدعم القدس وصمود أهلها، فجمعت مبلغ أربعة ملايين ونصف المليون ريال سعوديّ.

وقدمت المملكة العربيّة السعوديّة مبلغ عشرة ملايين دولار أمريكي لدعم العمران والترميم في بيت المقدس من خلال صندوق القدس التابع لمنظمة المؤتمر الإسلاميّ.

وقدمت المملكة العربيّة السعوديّة مبلغ ثلاثين مليون دولار أمريكيّ لتنفق تحت إشراف البنك الإسلاميّ للتنمية من أجل العمران والبناء والإسكان والترميم وغيرها، وهي مرحلة ضروريّة من مراحل دعم صمود الأهلي في بيت المقدس.

واستجابت المملكة العربيّة السعوديّة لنداء منظمة اليونسكو العالمية للمحافظة على المقدسات الإسلاميّة والآثار التاريخيّة العربيّة والإسلامية في بيت المقدس، فتبرعت بمبلغ عشرة ملايين دولار أمريكي لهذا الغرض.[١٣]

وبادر مركز تلفزيون الشرق الأوسط بلندن مشكوراً بحملة جمع التبرعات لمدينة القدس سمّاها «نداء القدس» في ١١ أبرايل ١٩٩٧م/ ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ، فجمع هذا النداء مبلغ ثمانية ملايين دولار أمريكي ساهم فيه أهل الخير السعوديون بما جاد به سخاؤهم، وكان على رأسهم خادم الحرمين الشريفين فتبرع بمبلغ مليون دولار أمريكي، وتبرعت حرمه المصون بمبلغ نصف مليون ريال وابنه صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد بمبلغ نصف مليون دولار. وتقوم المملكة بدعم قضية القدس في المحافل الدولية والمؤتمرات العالمية.

وتساهم المملكة الأردنية الهاشميّة في دعم مدينة القدس وصمود أهلها العرب. فساهمت الحكومة في عمليات الترميم والبناء والمحافظة على الوقف الإسلاميّ في المدينة فهو في حد ذاته إرث إسلامي متتابع يجب المحافظة عليه في طابعه الدينيّ والانسانيّ وقامت المملكة الأردنية الهاشميّة بدعم قضية القدس في كل المحافل الدوليّة والمؤتمرات العالميّة.

واهتمت حكومة المملكة الأردنيّة الهاشميّة بأمر ترميم المسجد القدسيّ الشريف بعد أن قصفه اليهود الإسرائيليون بقنابلهم في ٢٢ أغسطس عام ١٩٤٨م/١٣٦٨هـ،

(١٣) أخذت هذه المعلومات الاحصائية من مكتب اللجنة الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين بالرياض.

وقصفوه مرة أخرى في ٢٣ أغسطس من العام نفسه، فسقطت قنابل على سطح الصخرة نفسها.

قامت الحكومة الأردنيّة فطلبت من الحكومة المصريّة إرسال عدد من المهندسين وخبراء آثاريين وخبراء تعمير وترميم لتفقد ما أصاب الصخرة والمسجد الأقصى من خراب وتلف. ووضع المهندسون خطة عملية تنفيذيّة لإصلاح ما أتلف على يد اليهود الإسرائيليين المجرمين الذين لا يقدرون حرمة المقدسات الإسلاميّة ولا يعبأون بالمسلمين فقدرت اللجنة المبلغ اللازم فكان في حدود (٤٢٠,٠٠٠) دينار أردني. ولما كان حال الحكومة الأردنية الماليّ لا يساعدها على القيام بالإعمار، فقد ألفت وفودا زاروا الحكومات العربيّة لجمع التبرعات الحكوميّة والفرديّة، فجمعوا مبلغ (١٦٧,٠٠٠) دينار أردني، ودفعت الحكومة العراقية وقتذاك مبلغ (٧٣,٠٠٠) دينار أردني. أما الباقي فتبرع به الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربيّة السعوديّة. وتم تعمير المسجد القدسي الشريف عام ١٩٧٧م/١٣٨٦هـ[١٤].

وساهمت وتساهم جمهوريّة مصر العربيّة بجهد سياسيّ دوليّ كبير لدعم قضية القدس في المجالات الدولية والمحافل والمؤتمرات والاجتماعات ذات الصلة بمدينة بيت المقدس. ومعروف لدى الجميع مدى الثقل السياسيّ والدوليّ والشعبي لجمهورية مصر العربيّة على مستوى السياسة الإقليميّة وعلى مستوى السياسة الدولية.

هذا إلى جانب الدعم السياسيّ والماديّ والمعنوي التي تلقاها مدينة القدس من الدول العربيّة والدول الإسلاميّة في المحافل الدوليّة واجتماعات هيئة الأمم المتحدة وغيرها من المؤسسات الإقليمة والدوليّة، وأخص بالذكر هنا ما تلقاه قضية بيت المقدس من دعم ماديّ ومعنوي من قبل دولة الامارات العربية المتحدة، وما تلقاه من مساندة المملكة المغربيّة حيث إن ملكها هو رئيس لجنة القدس.

(١٤) الدباغ، بلادنا، القدس (٢)، ص ص ٣٠٥ـ ٣٠٦.

الخاتمة

مما لاشك فيه أن مدينة القدس تأتي في قائمة المدن العالميّة والدوليّة ذات التاريخ العريق من جهة وذات المركز الدينيّ الكبير من جهة أخرى، وذلك بإجماع شهادات التاريخ في كل حقبة، تلك الشهادات الأصلية والمتأصلة، إذ أن تلك العراقة الدينيّة والتاريخيّة تمتد إلى عهد تاريخيّ متوغل في القدم لايقل بحال من الأحوال عن خمسة آلاف سنة. وبناء عليه فإن عتاقة بيت المقدس وقدمه التاريخي المتعمق والمتأصل أكسب المدينة المقدسة قدرة على الاستمرار، وأكسبها المحبة والاحترام لدي جميع فئات البشر بأجناسهم ودياناتهم ومذاهبهم المختلفة.

وأن أوج تلك المدينة وعظمتها وقمة احترامها قد تحقق في العهد الإسلاميّ في كل حقبة ودولة، ولم يأت ذلك من فراغ أبدا وإنما انطلق من عمق المفهوم الدينيّ الإسلاميّ، وعمق ما يتحلي به المسلمون بموجب مبادىء الإسلام من احترام وتقدير للدين وللديانات السماويّة في كليتها، وهذه الصفات في جلها وثوابتها قد لا تتوافر لدى غير المسلمين.

وتأسيساً عليه فإن البشر الذين يحق لهم أن يحكموا تلك المدينة العالمية المقدسة ويشرفوا عليها هم المسلمون لأن هذا الحق، حق الحكم والإشراف هو ملك لمن يتحلى بكل صفاته ذات الأساس الدينيّ والتاريخيّ والإنسانيّ والحضاريّ، وهي شهادة يعتز بها كل إنسان منصف ومقدر للحوادث، وهي ثوابت يركز عليها العالم الإسلاميّ وترتكز على أساسها حقوقه ومطالبه.

ولابد أن يظل هذا الحق معمولاً به ومقرراً لأنه الوسيلة الصحيحة الذي يرسخ مبدأ الأمن والاستقرار والنظام في تلك المدينة المقدسة وفي خارجها أيضا ويسهل هذا بدوره على أمم الأرض أن تمارس حقها الدينيّ والمقدس في المدينة المقدسة التي يشترك في احترامها وتقديسها أصحاب الديانات السماويّة الثلاث، وقد قدرها القدماء الأوائل من الموحدين والمعتقدين بوجود إليه واحد لاشريك له. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن

النـاس كانـوا على التوحيد والإخلاص كما كان عليه أبوهم آدم أبو البشر عليه السلام حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان بدعة من تلقاء أنفسهم» .[١]

وقد توصلنا إلى قناعة تامة بأن أرض المسجد الأقصى هي البقعة نفسها التي عرفت قديماً وحديثاً بأرض المسجد القدسيّ الشريف في مساحته الكاملة وحدوده المحددة بالسور المحيط بتلك البقعة المقدسة التي باركها الله تعالى في القرآن، وهي أرض الإسراء والمعراج. قال تعالى: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾**.[٢]

وكعمق دينيّ وتاريخيّ لقدسيةّ المسجد الأقصى وقداسته مايراه عدد من العلماء من أن الذي بنى المسجد الحرام هو آدم عليه السلام ويجوز أيضا أن تكون الملائكة هي التي بنت المسجد الأقصي بعد بنائها البيت الحرام بإذن الله تعالى ونستند في هذا على مارواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أمر الله تعالى ببناء بيت في الأرض، وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلق آدم، ثم إن آدم بنى فيه ما بنى، وطاف به ثم الأنبياء بعده ثم استتم بناءه إبراهيم عليه السلام» .[٣]

إن قدسية المسجد الأقصى وقداسته الدينيّة أمر بدهيّ ولا يحتاج إلى إثبات أو برهان مادام أن تلك القداسة وردت في القرآن الكريم، وبناء عليه فإننا نلحظ مدى تعميم تلك القدسية والقداسة والبركة على المسجد الأقصى وعلى بيت المقدس على اعتبار أنهما أرض فيها بقعة المسجد الأقصى وهي واقعة على أرض فلسطين باعتبار أن المسجد الأقصى جزء من أرض بيت المقدس وبيت المقدس جزء من أرض فلسطين. ومن هنا تأتي المسؤولية الدينيّة الشاملة على كل أتباع الدين الإسلاميّ، على كل المسلمين في جميع أمصارهم ومواقعهم، فعليهم جميعا كمسلمين حماية تلك المقدسات وصونها وتحريرها والدفاع عنها وصيانتها والمحافظة على رقيها وتطويرها وازدهارها، فهو واجب إسلاميّ كامل وشامل على كل مسلم لا على جماعة إسلامية بعينها؛ ويتحمل الشعب الفلسطيني المسؤولية الأولى في هذا المقام.

ويعد مسجد عمر بن الخطاب الذي بني في موضع من بقعة المسجد القدسيّ الشريف، هو أول مسجد بناه المسلمون الأوائل في بلاد الشام قاطبة. وقد بنى الخليفة

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، رسائل من السجن، جمعها محمد العبده.

(٢) سورة الإسراء: الآية (١).

(٣) انظر: القرطبيّ، الجامع، شبير، بيت المقدس وماحوله، وجمال مسعود، الطريق إلى بيت المقدس.

الأموي الوليد بن عبد الملك المسجد الأقصى على الموضع نفسه الذي بنى عليه الخليفة الـراشـد عمر بن الخطاب المسجد المسمى باسمه، وكلاهما كان قد بنى مسجده على أساس موضع مسجد سابق.

وقد أقام الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة على موضع في بقعة المسجد القدسيّ الشريف في حدوده الشاملة ومفهومه الكامل. وبناء مسجد قبة الصخرة في العهـد الأمـويّ يشهد بكل صدق وأمانة وبكل إجلال وإكبار على ماكان يتحلى به المعماريون في بلاد الشام من فن وذوق معماري إسلامي يتباهي به المسلمون في كل بقاع الدنيا بما وصلوا إليه من تقدم معماريّ وبنائيّ وفنيّ. وتعد قبة الصخرة من أهم آثار الفن المعـماري الأمـوي الإسلامي، وهي بلا شك أقدم أثر إسلاميّ معماريّ فنيّ في تاريخ العـمارة الإسـلاميّة. وبنـاء عليه، ومن خلال النـظرة المعـماريّة الفنيّة الإسـلاميّة لقبة الصخـرة فإنه لابد من المحافظة على هذا التراث الإسلاميّ وصونه وتعميره كلما انتابه شيء من الخـراب، وهـو أمـانة إسلاميّة لابد من العناية بها ودفاع عنها وحمايتها، فهو واجب إسلاميّ ووطنيّ في آن واحد.

وامتـاز العهد الإسلاميّ في بيت المقدس بالمحافظة على تلك المقدسات الإسلامية والعنـاية بها في عهـد الأمـويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين والحكومات العربية الإسلاميّة المتعاقبة في السيادة والحكم والإشراف على بيت المقدس ومافيه من مقدسات دينية. وهو أمر يعتز به المسلمون لأنه أمر دينيّ يفرضه عليهم دينهم الإسلامي الحنيف الذي يعنى بالشؤون الدينية والاجتماعية والمدنية للمسلمين وغيرهم من الناس الذين هم تحت إدارتهم وحكمهم وإشرافهم.

وبرزت أهمية بيت المقدس الدينيّة كما كان عهدها في السابق لدى العثمانيين فكان دورهم كبـيرا في مجال تحفيز الهمم الإسلامية ضد بريطانيا وحلفائها في الحرب العالمية الأولى، حين أعلن السلطان محمـد رشـاد الخـامس بوصفـة خليفـة المسلمـين الجهاد الإسلاميّ ضد دول الوفاق. فأقيم حفل دينيّ إسلاميّ كبير في ساحة المسجد القدسيّ الشريف بمنـاسبـة وصـول راية النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة المنورة إلى بيت المقدس، بلد الجهاد الإسلاميّ الذي تحمل ومازال يتحمل أعباء حقد اليهود وغيرهم. وكـان الهـدف من وراء هذا التجمع الإسلاميّ الكبير في بيت المقدس هو حث الهمم الإسلاميّة خاصة الجند العثمانيّ المحارب ضد دول الوفاق.

وهب المسلمـون جماعـات ودول وفرادى لإصلاح المسجد القدسيّ الشريف بعدما

أصابه من دمار وخراب نتيجة القصف المدفعيّ اليهوديّ للمقدسات الإسلاميّة في حرب عام ١٩٤٨م/ ١٣٦٨هـ، وحرب ١٩٦٧م/ ١٣٨٦هـ، فدمرت قنابل اليهود الصهاينة وأحرقت الكثير من منشآت المسجد القدسيّ الشريف ودمرت عدداً من المساجد الأخرى في القدس، وعدداً من المؤسسات الحضاريّة والمدنيّة والاجتماعيّة في تلك المدينة المقدسة. ولما دخل دايان وأقطاب اليهود الصهاينة بيت المقدس عام ١٩٦٧م/ ١٣٨٦هـ، زاروا حائط البراق، وقال دايان: «لقد رجعنا ولن نتخلي عن القدس» وقال وقتها ليفي إشكول رئيس حكومة إسرائيل: «إن هذا يوم عظيم في التاريخ اليهوديّ».

وقد أهان اليهود المقدسات الإسلاميّة وغير الإسلاميّة في بيت المقدس، فدخلوا المسجد القدسيّ الشريف في صورة خليعة متحدين الشعور الإسلاميّ كله والطاقات الإسلاميّة كلها، والإمكانات الإسلاميّة برمتها. ولم يقف اليهود عند هذا الحد من الإهانة والاستهزاء بالمسليمن في كل بقاعهم، بل قاموا بعمل إجراميّ جديد يضيف جديداً إلى ممارساتهم الإجراميّة في بيت المقدس وغيرها من أرض فلسطين. ففي الساعة السابعة من صباح يوم الخميس بتاريخ السابع من جمادي الآخرة ١٣٨٩هـ/ ٢١ أغسطس ١٩٦٩م دبر اليهود مسألة الحريق العظيم للمسجد الأقصى وصاحب ذلك خسائر فادحة ماديّة ومعنوية لاتقدر بثمن. وهكذا دنس اليهود بأعمالهم الإجراميّة المسجد القدسيّ الشريف، وانتهكوا حرمته. ولم يبالوا بمشاعر ملايين المسلمين في الداخل والخارج، فهم طائفة شاذة ومنحرفة وماديّة لا يهمها إلا مصلحتها، وبذلك فهم مرفوضون من الجميع مسلمين ونصارى. وبناءً عليه فإن الأمة الإسلاميّة وشعوب الدنيا ترفض أن يكون اليهود والصهاينة هم أصحاب الولاية على بيت المقدس، ويرفضون أيضاً الاحتلال الصهيوني له أو الإشراف عليه من قبل أولئك الحاقدين على الإنسانيّة برمتها. ويظل أمر الولاية على القدس والإشراف السياسيّ والإداريّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ على كل شؤونها ومناحي الحياة فيها بيد المسلمين، ويتحمل العرب الفلسطينيون زمام المبادرة في هذا الأمر.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

١ ــ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، جامع الأصول في أحاديث الرسول، دمشق ١٩٦٩م.

٢ ــ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، دار الكاتب العربي، بيروت ١٩٨١م.

٣ ــ إمام، رشاد، مدينة القدس في العصر الوسيط، تونس ١٣٦٩هـ.

٤ ــ أمانة القدس، مذكرة حول مواصلة سلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي اعتداءاتها لتغيير أوضاع مدين القدس والمدن والقرى الفلسطينية المحيطة بها وتهويدها كمرحلة لتهويد المناطق المحتلة أجمع، إعداد روحي الخطيب، أمين القدس.

٥ ــ بروكلمان، كارل، الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٤٩م.

٦ ــ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة (بدون).

٧ ــ التل، صفوان، بناء وزخارف قبة الصخرة في القدس، مؤتمر بلاد الشام، فلسطين، الجامعة الأردنيّة، ١٩٨٠م.

٨ ــ ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت (بدون).

٩ ــ الاصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، القاهرة ١٩٦١م.

١٠ ــ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن، المفردات في غريب القرآن، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة (بدون).

١١ ــ أنطونيوس، جورج، يقظة العرب، بيروت ١٩٦٦م.

١٢ ــ البخاري، أبو عبد الملك محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، المكتب الإسلامي، استانبول، ١٩٧٩م.

١٣ ــ ابن البطريق، سعيد، نظم الجوهر (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) الجزء الثاني.
١٤ ــ ابن بطوطة، أبو عبد الله بن إبراهيم، رحلة ابن بطوطة، دار التراث، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
١٥ ــ بوست، جورج، قاموس الكتاب المقدس، جـ١، بيروت، ١٩٦٤.
١٦ ــ ابن تيمية، شيخ الإسلام، اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم، تصحيح وتعليق محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، ١٣٩٠هـ.
١٧ ــ ابن تيمية، شيخ الإسلام، مجموع الفتاوى، المجلد السابع والعشرون منها.
١٨ ــ ابن تيمية، شيخ الإسلام، رسائل في السجن، جمعها محمد العبدة.
١٩ ــ جارودي، روجيه، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٨م.
٢٠ ــ الجراعي، تقي الدين أبي بكر بن زيد، تحفة الراكع والساجد، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٢١ ــ جريدة دافار الإسرائيلية، العدد الصادر في تاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٧٥م.
٢٢ ــ جريدة فلسطين، صادرة في يافا عدد (٢) أكتوبر ١٩١٢م.
٢٣ ــ جريدة الشرق الأوسط، عدد ٤٧٧٤، بتاريخ ١٩٩١/١٢/٤م
٢٤ ــ جريس، سمير، القدس: المخططات الصهيونية، الاحتلال، التهويد، مؤسسة الدراسات الفلسطينيّة، بيروت ١٩٨١م.
٢٥ ــ جلبي، أوليا جلبي، سياحتنامة سى، ترجمة إلى الإنجليزيّة اصطفان حنا اصطفان، القدس (بدون).
٢٦ ــ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، بيروت، ١٩٦٤م.
٢٧ ــ حتي، فيليب، تاريخ العرب، بيروت، ١٩٧٤م.
٢٨ ــ حتي فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، جـ٢، بيروت، ١٩٦٠م.
٢٩ ــ حتي فيليب، مختصر تاريخ لبنان، بيروت، ١٩٦٨م.
٣٠ ــ ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء السادس، دار المعرفة، بيروت (بدون).
٣١ ــ حسن، محمد أحمد، المسجد الأقصى في الكتب المقدسة (بدون).
٣٢ ــ حلاق، حسان، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، بيروت ١٩٧٨م.
٣٣ ــ الحنبلي، مجير الدين العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة

المحتسب، عمان ١٩٧٣م، ودار الجليل، بيروت (بدون).
٣٤ ــ ابن حيان، صحيح ابن حيان.
٣٥ ــ ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة.
٣٦ ــ الخطيب، روحي، تهويد القدس الأول والثاني، الجزء الأول، عمان ١٩٧١م.
ـ خسرو، ناصر، سفر نامة.
٣٧ ــ الخطيب، روحي، القدس تحت الاحتلال، مقال منشور في مفكرة القدس لعام ١٩٧٨م.
٣٨ ــ خسرو، ناصر، سفر نامة.
٣٩ ــ الخوري، شحادة، ونقولا، خلاصة تاريخ الكنيسة، القدس (بدون).
٤٠ ــ الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، في بيت المقدس، الجزء الأول والجزء الثاني، دار الطليعة، بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
٤١ ــ الدمشقي، ميخائيل، تاريخ حوادث الشام ولبنان، نشره الأب لويس معلوف، بيروت ١٩١٢م.
٤٢ ــ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، العبر في أخبار من غبر، الجزء الثالث، الكويت ١٩٦٦م.
٤٣ ــ راشد، سيد فرج، القدس عربيّة إسلاميّة، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٤٤ ــ رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون، دمشق، ١٩٧٤م.
٤٥ ــ السائح، عبد الحميد، القدس: تاريخاً وحضارة ومستقبلاً، بحث قدم إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، ٤ـ٩ جمادي الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩ـ٢٤ نيسان/ أبريل ١٩٨٠م.
٤٦ ــ السائح، عبد الحميد، ماذا بعد احتراق المسجد الأقصى، القاهرة، ١٩٧٠م.
٤٧ ــ المنامة دولت عليه لعام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.
٤٨ ــ سفر الملوك، الاصحاح (٢)، (٥)، (١١).
٤٩ ــ سفر التكوين، (١٤)، (١٨).
٥٠ ــ السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، جـ١، يافا، ١٩٣٧م.
٥١ ــ سليم، محمد، الإسراء والمعراج، المختار الإسلامي للطبع والنشر، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥٢ ــ سليمان، موسى، رحلات في الأردن وفلسطين (مترجم)، منشورات دائرة الثقافة والفنون، الأردن، عمّان، ١٩٨٧م.
٥٣ ــ سورة الإسراء، الآية (١)، (٤)، (٥)، (٦)، (٧)، (٨)
٥٤ ــ سورة البقرة، الآية (١٣٠)، (١٣٢)، (١٣٦)، (١٤٤)
٥٥ ــ سورة التين، الآيات (١)، (٢)، (٣).
٥٦ ــ سورة المائدة، آية (٢١).
٥٧ ــ سورة الأنبياء، آية (٧١)، (٧٢)، (٧٣).
٥٨ ــ سورة ق.
٥٩ ــ شبير، محمد عثمان، بيت المقدس وما حوله، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٦٠ ــ الشناوي، عبد العزيز محمد، الدولة العثمانيّة دولة إسلاميّة مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.
٦١ ــ الشهرستاني، أبو الفتح عمر بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيالي، بيروت ١٩٧٥م.
٦٢ ــ صحيح مسلم.
٦٣ ــ صحيح البخاري.
٦٤ ــ صحيح ابن حبان.
٦٥ ــ صحيح بن خزيمة.
٦٦ ــ الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، الجزء الثالث، القاهرة، ١٩٦٢م.
٦٧ ــ طمسن، جون، قاموس الكتاب المقدس، بيروت ١٩٦٤م.
٦٨ ــ ظاظا، حسن، إسرائيل ركيزة للاستعمار بين المسلمين، مجلة البحوث الإسلاميّة، القاهرة ١٩٧٣م.
٦٩ ــ العابدي، محمود، الآثار الإسلاميّة في فلسطين والأردن، عمّان (بدون).
٧٠ ــ العابدي، محمود، قدسنا، معهد البحوث العربيّة، القاهرة (بدون).
٧١ ــ ابن العبري، جريجوريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.
٧٢ ــ العودة، إبراهيم، تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، صيدا، لبنان، ١٩٣٦
٧٣ ــ العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، القدس، ١٩٦١م.

٧٤ ـ العارف، عارف، تاريخ القدس، دار المعارف بمصر، ١٩٥١م.
٧٥ ـ العـارف، عارف، تاريخ قبـة الصخـرة المشرفـة والمسجـد الأقصى المبارك، القدس، ١٩٥٠م.
٧٦ ـ د. عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، جـ١، القاهرة، ١٩٣٦م.
٧٧ ـ ابن عبـد ربـه، أبو عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، المجلد السادس، دار الكتاب العربي، بيروت (بدون).
٧٨ ـ عبد الملك، بطرس، وآخرون، الكتاب المقدس، الجزء الثاني، بيروت ١٩٦٧م.
٧٩ ـ عبد الهادي، عبد الجليل، العلوم الدينيّة واللسانيّة في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، المؤتمـر الثـالث لتـاريخ بلاد الشـام، الجـامعـة الأردنيّة، ١٩٨٠م.
٨٠ ـ عرفـة، عبـد الـرحمن، القـدس تشكيل جديد للمـدينـة، دراسـات صامـد الاقتصاديّ، عمّان ١٩٨٦م.
٨١ ـ عرفة، عبد الرحمن، الاستيطان: التطبيق العملي للصهيونية، ط ١، دار الجيل للنشر، ١٩٨١م.
٨٢ ـ أبو علية، عبد الفتاح حسن، وعبد الحليم عويس، بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٨٣ ـ أبـو علية، عبـد الفتـاح حسن، بيت المقـدس في العهـد الإسـلامي، ضمن موضوعات عن تاريخ القدس في كتاب تاريخ مدينة القدس، بيروت ١٩٨٤م.
٨٤ ـ أبـو علية، عبـد الفتـاح حسن، وثـائق تاريخ فلسـطين المعاصر، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٨٥ ـ عرفـان، نظام الـدين وعـلي ماهـر الدجاني، القدس. إيمان وجهاد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧م.
٨٦ ـ العسلي، كامل، هاهو العلم في بيت المقدس، المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنيّة، عمان ١٩٨٠م.
٨٧ ـ عياض، القاضي، الشفا في التعريف بحقوق المصطفى.
٨٨ ـ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، بيروت (بدون).
٨٩ ـ الفرحان، يحيى، قصة مدينة القدس، سلسلة المدن الفلسطينية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينيّة (بدون).

٩٠ ـ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، الجزء الرابع، دار إحياء التراث، بيروت ١٩٦٦م.
٩١ ـ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القاهرة ١٩٥٩م.
٩٢ ـ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٦٣.
٩٣ ـ ابن القيم، الإمام شمس الدين الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.
٩٤ ـ قاسمية، خيرية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه، مركز أبحاث منظمة التحرير، بيروت ١٩٧٢م.
٩٥ ـ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت (بدون).
٩٦ ـ ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، ١٩٦٦م.
٩٧ ـ كرد علي، محمد، خطط الشام، الجزء الثالث، دمشق، ١٣٤٣-١٣٤٧هـ/ ١٩٢٥ - ١٩٢٨م.
٩٨ ـ د. الكسواني، سالم، المركز القانوني لمدينة القدس، ط ٢، عمّان، ١٩٧٨م.
٩٩ ـ كوبرلي، محمد فؤاد، قيام الدولة العثمانيّة، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة ١٩٦٧م.
١٠٠ ـ الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، بيروت، ١٩٧٣م.
١٠١ـ كيت ماجواير، تهويد القدس، مركز الدراسات العربية، بيروت، ١٩٨١م/١٤٠١هـ.
١٠٢ ـ مجلة شؤون فلسطينية، العدد ٢٤ أغسطس ١٩٧٣، حول المسائل التعليمية والجامعات والمعاهد العليا في فلسطين.
١٠٣ ـ مجلة القدس الشريف، مقال عنوانه: زيارة إلى التراث في بيت المقدس، الحلقة الرابعة، كامل العسلي، العدد الأول، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
١٠٤ ـ المحفوظات المصريّة، وثائق المحفوظات الملكيّة المصريّة، حوادث عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، محفوظات جـ٤.
١٠٥ ـ مسعود، جمال عبد الهادي، الطريق إلى بت المقدس، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٠٦ ـ منظمة التحرير الفلسطينيّة، القدس تاريخ وصور، مطابع الكرمل الحديثة، بيروت (بدون).
١٠٧ ـ الموسوعة الفليسطينيّة، القسم العام، المجلد الثالث والمجلد الرابع.
١٠٨ ـ د. النابلسي، تيسير، الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية في ضوء القانون الدولي لعام ١٩٧٥م.
١٠٩ ـ النتشة، رفيق، الإيمان بين الوحي والعقل، طبعة أولى، الرياض، ١٩٩٢م.
١١٠ ـ النتشة، وياغي، وأبو علية، فلسطين، تاريخاً وقضية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١١١ ـ النويري، شهاب الدين أبو أحمد بن عبد الوهاب البكري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصريّة، القاهرة، (بدون).
١١٢ ـ هذا بلاغ للناس، لإنقاذ المسجد الأقصى، الطبعة الثالثة، ١٩٣٨م.
١١٣ ـ هرتزل، ثيودور، مذكرات هرتزل، تل أبيب ١٩٣٤م، نشرة مترجمة إلى العربية، بيروت ١٩٧٣م.
١١٤ ـ الهراوي، الإرشادات في معرفة الزيارات.
١١٥ ـ هيئة الأمم المتحدة، مشروعات التقسيم.
١١٦ ـ الهيئة العربيّة العليا، الجريمة اليهوديةالنكراء، إحراق المسجد الأقصى، بيروت ١٩٦٩م.
١١٧ ـ الهيئة العربيّة العليا، مطامع اليهود في المسجد الأقصى، بيروت، نشرة شهر ذي الحجة عام ١٣٨٠هـ.
١١٨ ـ ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، الجزء الخامس، دار صادر، بيروت ١٩٥٥-١٩٥٧م.
١١٩ ـ اليعقوبي، أحمد بن أبي واضح الكاتب، تاريخ اليعقوبي، الجزء الأول والجزء الثاني، دار صادر، بيروت (بدون).

مصادر ومراجع أجنبيّة:

1. Buckingham, Travels in Palestine through the countries of Bashan and Gilėad East of the River of Jordan (London, 1821).
2. Creswell, Ashort Thomson Account of Early Muslim Architecture (London, 1949).
3. Dixson, william, H., The Holy Land (Leipzig, 1865).
4. Mandel Neville, Turks Arab and Jewish Immigration into Palestine, (Oxford, 1965).
5. Pritte, Ternes, Whose Jerusalem.
6. Toyembee, Arnold, A study of History (London, 1945).
7. Thomson, Rev. W.M., The Land of the Book (London, 1865).

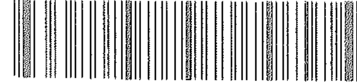


هذا الكتاب

ليس كتابا إعلاميا دعائيا عن القدس المدينة المقدسة في كل الشرائع السماوية، لا يعتنق أي فكر سياسي موجه، إنه كتاب يأخذ من القدس سمتها التاريخي الموشى بجلائل قدسيتها وعراقة تاريخها هذا الكتاب دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، كتاب ينبش في الحفريات التاريخية المكتوبة حول المكان ولأن هذه الدراسة تأخذ بناصية الحرفية الأكاديمية الموضوعية فإنها تضع الحقائق مجردة موثقة لتقول كل شئ حول الموضوع إن التاريخ ينتفض حيا في هذه الدراسة ليقول

إن القدس عربية لنا

ردمك : ٩٩٦٠-٢٤-٤٦٤-٤



9960-24-464-4